

مَنْهَجُ  
أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ  
وَمَنْهَجُ الْأَشَاعِرَةِ  
فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى

تَأَلَّفَ  
خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللطيفِ بْنِ مُحَمَّدٍ نَوْرُ  
الجزء الثاني

مَكْتَبَةُ الْغُرَابِ وَالْأَنْثَرِيَّةِ  
المدینة النبویة - ت : ٨٢٤٣-٤٤

منهج

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

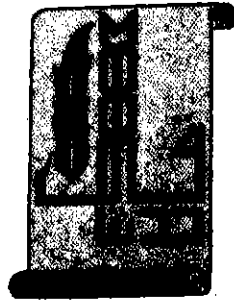
وَمِنْهُمْ الْأَشَاعِرَةُ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

مكتبة الغرباء الأثرية



هاتف: ٨٢٤٣٠٤٤ - ف: ٨٢٦٤١٠٦

ص.ب: ١٤٤٩ - المدينة النبوية

المملكة العربية السعودية

ترخيص: ٤٥٨٠/ك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب في الأصل رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ونوقشت في ١٤/١٠/١٤١٣ هـ وأعضاء لجنة المناقشة أصحاب الفضيلة المشايخ :

١ - فضيلة الدكتور : صالح بن سعد السحيمي مشرفاً .

٢ - فضيلة الدكتور : صالح بن فوزان الفوزان عضواً .

٣ - فضيلة الدكتور : علي بن عبد الرحمن الحذيفي عضواً .

وبتوفيق من الله أجزيت هذه الرسالة بتقدير ممتاز ، وأوصت اللجنة بطبعها لتعم الفائدة .



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾<sup>(١)</sup>

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيباً ﴾<sup>(٢)</sup>

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٢

(٢) سورة النساء الآية : ١

(٣) سورة الأحزاب الآيتان : ٧٠ - ٧١

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه ، انظر : سنن ابن ماجه ٦٠٩-٦١٠ وانظر سنن الترمذي ٤٠٤/٢ - رقم ١١٠٥ وقال الترمذي : حديث حسن . وانظر رسالة الشيخ الألباني « خطبة الحاجة » .

أما بعد :

... فقد يسر الله تعالى لي بعد إكمال الدراسة بكلية الحديث والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الالتحاق بقسم العقيدة في الدراسات العليا، ثم بعد الفراغ من السنة الأولى المنهجية اخترت موضوعاً لرسالة العالمية الماجستير بعنوان : « منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى » بينت فيه منهج أهل السنة والجماعة في مسائل التوحيد وأدلته في أنواعه الثلاثة، وهذا المنهج وإن كان واضحاً مؤلفاً فيه إلا أنني حاولت العزوَ إلى المتقدمين من الأئمة مما تيسر لي من أقوالهم وربط ذلك بما قعده المتأخرون ، بل إنني قد وجدت بعض القواعد التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في رسالته التدمرية قد سبقه إليها بعض الأئمة قبله ، كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله .

حاولت كذلك بيان منهج الأشاعرة في التوحيد في مسائله وأدلته . وقد يكون تناول منهجهم في توحيد الألوهية عملاً جديداً، كما حاولت جمع منهجهم بصورة متكاملة في توحيد الربوبية المسمى عندهم بتوحيد الأفعال والذات ، بما في ذلك الأحكام المتعلقة به من الحكمة وغيرها ، وهذا ما جرى عمله أيضاً في توحيد الأسماء والصفات .

### أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

ترجع أهمية الموضوع إلى المباحث المتناولة فيه ، فإنها في أصل الدين في إلهية الرب وربوبيته وأسمائه وصفاته، ولا شك أن الإخلال بهذا الأصل خطر عظيم جداً ، وبما أن الأشاعرة فرقة كبيرة ولها انتشار واسع وينتسب إليها كثير من



العلماء ويلقبون أنفسهم بأهل السنة والجماعة ، كان لابد من دراسة وافية لمنهجهم في هذا الباب حتى تتضح الحقيقة وتتجلى للناس .

وقد اخترت عرض هذا الموضوع بصورة هي أشبه بالمقارنة بين منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة ، مع تقديم منهج أهل السنة بالذكر أولاً لأسباب منها :

### السبب الأول :

إن الأصل تقديم القول الحق مدعماً بأدلته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ونقل أقوال أعلام الهدى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من الأئمة المرضيين الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والديانة ولا شك أن المسلم الذي يستغني الحق بعد اطلاعه عليه يأخذ به ، فإذا اطلع ثانية على ما يخالفه - وفي هذه الرسالة على منهج الأشاعرة خاصة - رده ولم يقبله مهما أثبت الشبهات ، إذ لا قرار للشبهات مع الحق الثابت المتيقن ، ولذلك فقد قدمت منهج أهل السنة والجماعة بالذكر عند كل مسألة .

### السبب الثاني :

المعاونة على بيان حقائق بعض الفرق ، فإن الأشاعرة تعد طائفة كبيرة وينتسب إليها بعض العلماء الذين اشتهروا بعلومهم في الحديث والفقه وأصوله والتفسير وغير ذلك ، وهم مع ذلك ينتسبون إلى أهل السنة والجماعة ، فبقي كثير من الناس - ممن لم يتقن أصول الأشعرية - مترددين في الحكم عليهم ، هذا مع بقاء كثير من الأشاعرة على منهجهم لعدم اطلاعهم على منهج أهل السنة الحقيقي ،

وعدم جمع منهجهم مقارناً به ليظهر ما فيه من خلل واضطراب، وإن الأشاعرة وإن كانوا قد كتب عنهم كثير من العلماء والأئمة والباحثين في كتابات وموضوعات متفرقة، إلا أن الناس في حاجة إلى جمع منهجهم في المسائل والأدلة في التوحيد كله في موضع واحد ليتضح المنهج كله فيظهر عندئذ ما فيه من خلل واضطراب وبعد عن الحق والصواب في كثير من مسائله وأدلته.

### السبب الثالث :

إن زيادة انحراف الفرقة الواحدة واختلافها ظاهرة شائعة، تعلم بالاطلاع على أقوالها عند أول نشأتها ثم في مراحل بعد ذلك، فكما أن الأشاعرة تغير منهجهم في الأسماء والصفات خاصة في المرحلة التي بدأت بظهور إمام الحرمين الجويني، ثم صاروا أقرب إلى المعتزلة كما يظهر ذلك في بعض كتابات الغزالي والرازي، فإنه يبدو لي أنهم تغيروا كذلك في توحيد الألوهية فانحرف فيه متأخروهم، وذلك لصلتهم الوثيقة بالصوفية، فكان لابد لبيان صحة هذا الرأي من دراسة لمنهج الأشاعرة الكلي في هذا النوع عند متقدميهم ومتأخريهم، فالتقدمون لم يظهر فيهم ما ظهر عند المتأخرين من الشرك في الألوهية، بل أثر عنهم التنصيص على بعض ما ينزع فيه المتأخرون من أن الدعاء عبادة وكذا الاستغاثة وغير ذلك، بل أثر عنهم إنكارهم لبعض الأعمال الشركية لما ظهرت في أزمته، كتعظيم قبور الأكابر والالتجاء إلى أصحابها، والتبرك بالحيطان والأعمدة، والتمسح بها ورجاء النفع منها. وفي إبراز مثل هذه الأشياء إفحام للمتأخرين المقلدة لهم في الأسماء والصفات والأفعال، الذين قد ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالصوفية القبورية.

## خطة الرسالة - ومنهجي فيها :

أما الخطة ففي مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة وفهارس . أما المقدمة ففيها بيان الخطة والمنهج وأهمية الكتابة في هذا الموضوع

وأما التمهيد فقد اشتمل على أربعة فصول هي : تعريف التوحيد ، والتعريف بأهل السنة والجماعة ، والتعريف بالأشاعرة ، ومعنى كلمة « منهج »

### الباب الأول

منهج أهل السنة والجماعة ، ومنهج الأشاعرة في توحيد الألوهية .

#### الفصل الأول : منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية :

وفيه مبحثان : مبحث في المسائل ومبحث في الأدلة : فمبحث المسائل فيه الكلام عن حقيقة توحيد الألوهية ببيان معنى كلمة (إله) والعبادة وإطلاقاتها وأنواعها ، ونقل أقوال لبعض الأئمة المتقدمين في بعض أنواعها - خاصة التي أخل بها كثير من المتأخرين من الطوائف - وبيان شروط كلمة التوحيد ، وبيان منزلته ، ثم بيان ما يضاده . وأما المبحث الثاني - وهو مبحث الأدلة - ففيه ذكر أنواع الأدلة الدالة على هذا التوحيد ، مع بيان وجه دلالة العقل على حسنه ، وبيان المراد من تحسين العقل له .

#### الفصل الثاني : منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية :

وفيه مبحثان ، مبحث في المسائل ومبحث في الأدلة : فمبحث المسائل بينت فيه أسباب عدم إفراد المتقدمين والمتأخرين له بالتصنيف ، مع بيان الغموض العام

للمنهج الأشعري فيه ، وذكرت اعتراضات المتأخرين منهم لإدخاله ضمن أنواع التوحيد ، وبينت صلة الأشعرية بالصوفية وأثر هذه الصلة على المتأخرين ، وذكرت أقوالاً لبعض المتقدمين منهم يخالفها أكثر المتأخرين . وأما مبحث الأدلة فذكرت فيه الدليل المعتمد لإثبات استحقاق الله للعبادة ، وموقفهم من الأدلة القرآنية الدالة على توحيد الألوهية ، وذكرت منع متأخريهم تنزيل الأدلة التي نزلت في المشركين على من أشبههم في شركهم ممن انتسب إلى الإسلام ، ثم ذكرت أقيسة المتأخرين العقلية لتبرير بعض صور الشرك ، مع المناقشة .

## الباب الثاني

### منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الربوبية

#### الفصل الأول : منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية :

وفيه مبحثان ، مبحث في المسائل ومبحث في الأدلة ، أما مبحث المسائل ففيه بيان حقيقة توحيد الربوبية ، ومقتضيات الإقرار لله بالربوبية ، مع تفريع في الكلام عن القدر ، وبيان منزلة توحيد الربوبية ، وبعض الأحكام المتعلقة بالأفعال كالحكمة والخير ، والكلام عن التحسين والتقبيح العقليين ، والأسباب والمسببات ، وأفعال العباد . وأما مبحث الأدلة ففيه مسلك القرآن في الرد على من انحرفت فطرتهم ، ثم الأدلة الدالة على الربوبية كالقطرة ومعجزات الأنبياء ، والآيات الكونية ، والمقاييس العقلية .

## الفصل الثاني : منهج الأشاعرة في توحيد الربوبية :

وفيه مبحثان ، مبحث في المسائل ، ومبحث في الأدلة ، فمبحث المسائل فيه بيان حقيقة توحيد الربوبية ، ومنزلته ، ومقتضياته والأحكام المتعلقة بأفعال الله .  
وأما مبحث الأدلة ففيه بيان دليل الحدوث ، وبرهان التمانع ، ومنزلة الأدلة العقلية في الاستدلال له ، مع المناقشة .

## الباب الثالث

### منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الأسماء والصفات

#### الفصل الأول : منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات :

مبحث المسائل وفيه : بيان المنهج في الأسماء الحسنى والصفات من حيث الإثبات والتنزيه بقواعدهما ، وأقوال نافعة عن المتقدمين فيه ، ومبحث الأدلة فيه : بيان الاعتماد على الأدلة الشرعية وحدها وسببه ، وعدم اعتبار المعارضة بين الدليل السمعي والعقلي والكلام عن التفويض والتأويل ، ومباحث أخرى .

#### الفصل الثاني : منهج الأشاعرة في توحيد الأسماء والصفات :

مبحث المسائل وفيه : بيان المنهج في الأسماء الحسنى وبعض الإشكالات فيه ، ثم الصفات ، ووجه شبههم للمعتزلة فيما يشبته من صفات المعاني ، والشبه التام لهم فيما عدا ذلك ، والكلام عن قاعدة التنزيه ، وذكر شبهاتهم التي لأجلها نفوا كثيراً من الصفات . ثم مبحث الأدلة وفيه : منزلة الأدلة العقلية

والنقلية في هذا الباب ، وتوهم التعارض بينهما ، والتأويل والتفويض .

## الباب الرابع

صحة منهج أهل السنة والجماعة وسلامته من الاضطراب

واضطراب منهج الأشاعرة وانهيائه

وهذا الباب خلاصة الأبواب المتقدمة وثمرتها ونتيجتها ، مع فوائد كثيرة جديدة في فصل الأشاعرة خاصة ، تتضمن إقرارات لبعض كبار علماء الأشاعرة بخطأ ما كانوا عليه وسبب ذلك - مع ذكر إلزامات كثيرة تلزم من سلك المنهج الأشعري وإشكالات لا يمكنهم حلها إلا بتعسف .

- ثم ذكرت خاتمة الرسالة ضمنيتها أهم النتائج التي توصلت إليها ، مع التوصية .

### ٢- المنهج الذي سرت عليه :

أولاً : أنقل الأقوال من مصادرها الأصلية ، فقول أهل السنة أنقله من كتب أهل السنة ، وقول الأشاعرة من كتبهم . وإذا اختلفت الأشاعرة في مسألة قد أنقل ممن قرر المسألة من المتأخرين حيث استقر المذهب . وأركز في منهج أهل السنة على النقل من المتقدمين حتى يعلم أن ما جاء به شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن من اختراعهما .

ثانياً : عرضت المناهج الكلية العامة في المسائل والأدلة ، إذ أصول الدين قائمة على أمرين : على المسائل وعلى الأدلة كما قرر الأئمة رحمهم الله تعالى ، فالمسائل الكلية التي تبحث في توحيد الألوهية هي : حقيقة توحيد

الالوهية ، ومنزلته ، وشروط تحقيقه ، وبيان ما يضافه . والمسائل الكلية التي تبحث في توحيد الربوبية هي : حقيقته ، ومقتضيات الإقرار للربوبية ومنزلته ، والأحكام المتعلقة به . والمسائل التي تبحث في الأسماء والصفات : قاعدة الإثبات ، وقاعدة التنزيه وغير ذلك . . وأما الأدلة الكلية فهي :

أنواع الأدلة المستدل بها ، ومنزلة الاستدلال بالدليل العقلي والنقلي ، وبعض العوارض التي تعرض للدليل النقلي كالتأويل والتفويض .

وقد أمثل أحياناً لإيضاح الفكرة ببعض الجزئيات ، كالتنصيص على بعض أنواع العبادات خاصة التي هي من موارد النزاع ، وفي مسألة إثبات الصفات - مثلاً - عند الأشاعرة أتناول بعض الصفات بالتفصيل كالسمع والبصر والكلام والإرادة .

ثالثاً : حاولت عرض الموضوعات بكلام أبعد ما يكون عن التعقيد الكلامي الجاري على قواعد المنطقيين ، إلا في مواضع معدودة اقتضتها الحاجة . ولم ألتزم ذكر تمهيد عند كل مبحث خشية الإطالة والتكرار ، وإنما اكتفيت بذكر خطة عامة في أوله .

رابعاً : مناقشة الأقوال - إن وجدت اعتراضات على أهل السنة - تكون عند عرض أقوال الأشاعرة ، مع ملاحظة أن الإجابة على أكثرها تكون متضمنة عند عرض منهج أهل السنة ، ولذلك أكتفي بالإحالة في مثل هذه الحالة ، وقد أكتفي ببيان اضطراب المنهج الأشعري وتناقضه - وهذا خاصة في الباب الرابع ، إذ هو المقصود أصالة - ولأن ما ذكرته تفصيلاً في منهج أهل

السنة يكفي لرد قول الأشاعرة المخالف له، إذ لا قرار لشبهة مع حق ثابت متيقن.

خامساً: عزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور في الهامش وخرجت الأحاديث والآثار من مصادرها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بالتخريج منهما إذ المقصود معرفة صحته، وأكثر أحاديث الرسالة فيهما. وإن كان في غيرهما خرجته من أكثر من مصدر وأنقل قول من بين درجته من المتقدمين إن وجدت لهم قولاً وإلا فمن المتأخرين. وعرفت بالأعلام بذكر الاسم كاملاً وتحديد الطبقة بذكر الوفاة، وأنص على عقيدة المترجم له إلا إذا كان في زمن لم تظهر فيه الأشاعرة فالأصل في هذه الرسالة أنه من أهل السنة وإلا بينته، وقد أترك التنصيص كذلك إذا نقلت عنه في الأصل ما يدل على عقيدته، أو إذا كان مشهوراً شهرة تغني عن الذكر، أو إذا لم يقتض المقام ذلك كما في التعريفات اللغوية غالباً. ولم أترجم للصحابة رضوان الله عليهم ولا للأئمة الأربعة ولا لمن كان حياً من المعاصرين.

سادساً: عملت فهارس للآيات والأحاديث والأعلام والمراجع، ورتبتها على حروف المعجم إلا فهارس الآيات فرتبتها على حسب ترتيب السور في المصحف.



تنبيه :

يلاحظ أنني نقلت عن التفتازاني مع أن الشائع أنه ماتريدي، وعن هذا إجابتان إجمالية وتفصيلية :

فالإجمالية هي :

أولاً : إن الأشاعرة يصرحون بقرب الماتريدية منهم، وأن مذهبهم أحد مذهبي أهل السنة .

ثانياً : إن التفتازاني قد أخذ عن الإيجي الأشعري ، ولذلك فهو لا يكاد يخرج في كتابه المقاصد في علم الكلام وشرحه عن كتاب الإيجي : المواقف في علم الكلام – ولذلك فلم أنقل له شيئاً إلا من هذا الكتاب .

والإجابة التفصيلية بذكر المواضع التي نقلت فيها كلامه :

الموضع الأول ص ١٩٤ – وفيه نقلت كلامه عن صور اتخاذ المشركين للشفعاء عند الله ، والسبب فيه ما ذكرته إجمالاً ، ولأنه تأييد لكلام الرازي الأشعري ، فلم أكتف بكلام التفتازاني وحده .

الموضع الثاني ص ١٩٧ . نقلت كلامه في أن توحيد العبادة لا يثبت إلا بالشرع ، لأنه نص على هذه المسألة بخصوصها ، مع العلم بأن الأشاعرة ينفون تحسين العقل وتقبيحه ، فأصلهم هو : عدم العلم بحسن توحيد العبادة إلا بخطاب الشرع .

الموضع الثالث ص ٣٣٠ والرابع ص ٣٤٨ . والإجابة عنهما كالإجابة عن  
الموضع الأول .

الموضع الخامس ص ٣٦٣ - وهذا الموضع هو في الحقيقة توثيق لكلام  
الظواهري الأشعري ، إذ هو الناقل لكلام التفتازني فنقلته من مصدره مباشرة .

الموضع السادس ص ٥١٠ . والإجابة عليه كالإجابة على الخامس إلا أن  
الناقل هنا هو الباجوري .

وفيما عدا ذلك لا أُنقل كلامه نصاً ، ولكن قد يرد ذكر كتابه ضمن  
مجموعة مراجع في الهامش وذلك للموافقة التامة - ولما ذكرته إجمالاً .

وأحمد الله تعالى وأشكره على تيسيره وامتنانه ، وأشكر كل مشايخي الذين  
تلقيت عنهم العلم وأخص منهم مشرفي على هذه الرسالة فضيلة الشيخ الدكتور /  
صالح بن سعد السحيمي رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة ،  
وعضوي لجنة المناقشة؛ فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / صالح بن فوزان بن  
عبدالله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء  
وفضيلة الشيخ الدكتور / علي بن عبد الرحمن الحذيفي ، عضو هيئة التدريس  
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوي .

كما أشكر كل من ساعدني بإعارة كتاب أو إبداء رأي ونصيحة أو غير ذلك  
من الإخوان الزملاء ، جزى الله الجميع خيراً ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلى الله  
وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

## التمهيد

الفصل الأول : تعريف التوحيد

الفصل الثاني : التعريف بأهل السنة والجماعة

الفصل الثالث : التعريف بالأشاعرة.

الفصل الرابع : تعريف كلمة منهج.

## الفصل الأول : تعريف التوحيد

### المبحث الأول : المدلول اللغوي <sup>(١)</sup> :

هو مصدر وحد يوحد توحيداً ، فهو على وزن تفعيل ، ويعني : الحكم والعلم بأن الشيء واحد . فالكلمة تدور معانيها على الوحدة والانفراد والتفرد .

### المبحث الثاني : المدلول الشرعي عند أهل السنة والجماعة :

المقصود من التفعيل : النسبة كالتصديق لا للجعل ، فمعنى وحدت الله : نسبته إلى الوحدةانية لا جعلته واحداً <sup>(٢)</sup> ، لأن وحدانيته : صفته ، وليست بجعل جاعل ، أما التوحيد فهو فعل المكلف ، ولذلك جاء في القاموس : « التوحيد : إيمان بالله وحده » <sup>(٣)</sup> .

والتعريف الجامع للتوحيد هو : « إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعلاً » <sup>(٤)</sup> . والمعبود هو الله وحده .

فقوله : « إفراد المعبود بالعبادة » المقصود به توحيد القصد والطلب ، وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل ، وهو توحيد الله في عبادته وحده .

وقوله : « مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعلاً » : المقصود به : توحيد

---

(١) انظر الصحاح للجوهري ٥٤٧/٢ ومعجم مقاييس اللغة ٩٠/٦ - مادة : (وحد)

(٢) انظر لوامع الأنوار للسفاريني ٥٦-٥٧

(٣) القاموس المحيط ص ٤١٤ - مادة : (وحد)

(٤) هذا التعريف للسفاريني في لوامع الأنوار ٥٧/١ ، وقصده بالمعبود : الله تعالى .

المعرفة والإثبات . فالله هو الواحد سبحانه لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته المتفرد بالخلق والربوبية فلا يشركه أحد في ذلك .

وكما يلاحظ فإن هذه القسمة ثنائية ، ويمكن تقسيمه قسمة ثلاثية ،<sup>(١)</sup> وهي : توحيد الألوهية وهو قوله : « إفراد المعبود بالعبادة » . وتوحيد الربوبية ، وهو في قوله : « مع اعتقاد وحدته ذاتاً ... وأفعالاً » ، وتوحيد الأسماء والصفات : « مع اعتقاد وحدته ... صفاتٍ »

وهذا التقسيم صحيح للآتي :

١- إن النصوص الكثيرة دلت على أن من حكم الله عليهم بالشرك كان عندهم نوع إيمان ، وهو في أن الله هو الخالق الرازق ، فلا بد إذاً من التفريق بين النوعين من حيث المفهوم ، ومن أدل الآيات وأصرحها قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾<sup>(٣)</sup> أي لا تشركوا به أحداً في العبادة وأنتم تعلمون أنه خالقكم ورازقكم ...

٢- إن للسلف عبارات صريحة تفيد إثبات نوعين من التوحيد ، ومن هؤلاء :

---

(١) انظر هذه التقسيمات في : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣١/١٠ ومنهاج السنة النبوية ٣/٣١٣ ومدارج السالكين ١/٤٨-٥١ وتجريد التوحيد للمقرئ ص ٤٥/٤٥ وتيسير العزيز الحميد ص ٣٣-٣٦ .

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وعطاء ، وعكرمة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري ، رحمهم الله جميعاً . وأقولهم مذكورة في الباب الأول إن شاء الله فلا حاجة إلى إثباتها هنا <sup>(١)</sup> ، وأذكر هنا قول الإمام الطحاوي <sup>(٢)</sup> وهو : « نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : إن الله واحد لا شريك له ، ولا شيء مثله ، ولا شيء يعجزه ، ولا إله غيره » <sup>(٣)</sup> ، فقلوه : « في توحيد الله » : توحيد عام يشمل الثلاثة ، ثم فصله بقوله : « ولا شيء مثله » وهو توحيد الأسماء والصفات وقوله : « ولا شيء يعجزه » أي في أفعاله ، وهو توحيد الربوبية ، وقوله : « ولا إله غيره » أي لا معبود بحق غيره وهو توحيد الألوهية .

ومع هذا التفريق من حيث المفهوم إلا أن هذه الأنواع مرتبطة ارتباطاً وثيقاً فإن بينها علاقة تضمن وتلازم <sup>(٤)</sup> .

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، لأن عبادة الله تكون فرع الإقرار به وتوحيده في ربوبيته ، ولذلك كان توحيد الألوهية متضمناً له .

(١) تراجع هؤلاء الأعلام وأقوالهم مذكورة في الصفحات ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٧٦-١٧٧ .  
(٢) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، إمام حافظ فقيه ولد سنة (٢٣٩ هـ) صنف كتباً كثيرة منها : عقيدته المشهورة ، وشرح معاني الآثار ، توفي سنة (٣٢١ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ١٥/٢٧ ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ١٠٢/١ .

(٣) انظر متن عقيدة الطحاوي مع الشرح ص / ٧٤ ، ٩٩ ، ١٠٨ ، ١١١ .

(٤) انظر منهاج السنة ٣/٣١٣ ودرء تعارض العقل والنقل ٧/٣٩١ وتجريد التوحيد ص / ٤٥ .

وشرح الطحاوية ص / ٧٩ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ .

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية ، فالحاجة والافتقار للخالق الرازق  
المنعم يبعثان على الرغبة فيما عند الله والخضوع والتذلل له - فهذا هو الاستلزام ،  
لذلك كان من أدلة القرآن لإثبات الألوهية لله وحده : إلزام المشركين باعترافهم  
بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية <sup>(١)</sup> .

وتوحيد الأسماء والصفات متضمن لتوحيد الربوبية لأن الصفات منها الذاتية  
والفعلية ، والفعلية منها اللازمة والمتعدية . ولاشك أن أفعال الله المتعدية هي  
ربوبيته فبذلك كان توحيد الأسماء والصفات شاملاً له . . وأيضاً إن السبب الذي  
تستحق به العبادة : الاتصاف بصفات الكمال والتزهر عن صفات النقص ، وهذا هو  
وجه العلاقة بين توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات . أي أن توحيد  
الأسماء والصفات - لاشتماله على توحيد الربوبية - مستلزم لتوحيد الألوهية .

### المبحث الثالث : المدلول الاصطلاحي للتوحيد عند الأشاعرة :

ذكر الأشاعرة تعريفين للتوحيد وهما :

الأول : إثبات الوحدة في الذات والصفات والأفعال ، فوحدانية الذات تنفي  
تركيب الذات وتنفي تعددها ، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في صفات الله من  
جنس واحد ، وتنفي مشابهة صفات الخلق لصفاته ، ووحدانية الأفعال تنفي أن  
يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد <sup>(٢)</sup> .

---

(١) انظر هذا الاستدلال ص ١٠٧-١١٣ .

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرية التوحيد ص ٥٩-٦٠ .

وهذا التعريف قد أطبق عليه متقدمو الأشاعرة ومتأخروهم ، وظاهر أنه لم يشمل توحيد الألوهية ، وماشملة من أنواع فيه إجمال في بعضه ، كما سيتضح إن شاء الله .

الثاني : « أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً »<sup>(١)</sup> .

وهذا التعريف شامل لأنواع التوحيد الثلاثة المتقدم ذكرها عند أهل السنة ، مع ملاحظة الإجمال الذي سيأتي تفصيله في توحيد الأسماء والصفات والأفعال إن شاء الله .

وهذا التعريف وإن كان شاملاً للأنواع الثلاثة إلا أن النوع الأول وهو توحيد الألوهية لا نجد له ذكراً في كتبهم ، بل حتى إن الذي أورد هذا التعريف في كتابه لم يذكره - وهو إبراهيم الباجوري<sup>(٢)</sup> ، بل ذكر ما يستلزم مناقضته - كما في قوله الذي سيأتي ذكره إن شاء الله<sup>(٣)</sup> .

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١٠ /

(٢) هو إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي المصري ، ولد في الباجور بمصر سنة (١١٩٨ هـ)

تولى مشيخة الأزهر ، له مؤلفات منها شرح جوهرة التوحيد ، توفي سنة (١٢٧٧ هـ) انظر

الأعلام للزركلي ١/ ٦٦-٦٧ ومعجم المؤلفين ١/ ٨٤ .

(٣) انظر ص ١٦٧ .



## الفصل الثاني : التعريف بأهل السنة والجماعة

### المبحث الأول : المدلول اللغوي والاصطلاحي للسنة.

تدور كلمات أهل اللغة في معنى السنة على معان هي :

أنها : « الطريقة والسيرة »<sup>(١)</sup> « والأمر الواضح ... وتكون في الخير والشر »<sup>(٢)</sup> أي أنها لا تقيّد بكونها شراً أو خيراً.

ومنهم من قيدها بالخير فقال : « السنة : الطريقة المستقيمة المحمودة ... وسن فلان طريقاً من الخير يسنه : إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه »<sup>(٣)</sup>

وسواء قيل بالتحديد أو لم يقل به في المعنى اللغوي، فإنه لا بد من تحييدها بالمعنى الطيب المستقيم فيما نحن بصددده.

وللعلماء تعريفات للسنة بحسب العلم الذي يبحث عنه مثل الأصول والفقه والحديث<sup>(٤)</sup> إلا أن الذي يعنينا هنا أنها :

طريقة الرسول ﷺ المبينة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ - وطريقة

---

(١) هذا تعريف ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤٠٩ . مادة : (سن)

(٢) هذا تعريف ابن النحاس في شرحه على القصائد المعلقة ١ / ١٧٤ - ١٧٥

(٣) هذا تعريف الأزهر في تهذيب اللغة ١٢ / ٢٩٨ - ٢٩٩ . مادة : (سن)

(٤) انظر تعريفاتهم في الموافقات للشاطبي ٤ / ٣ - ٤ وإرشاد الفحول ص : ٢٩ - والسنة للسباعي

الصحابة فيما أجمعوا عليه كجمع المصحف . مما يعد فاصلاً بين المنتسب إليها وبين غيره من أهل الأهواء .

ولذلك فقد كان الأئمة يصنفون كتباً باسم السنة <sup>(١)</sup> ويريدون بها معنى أخص كالكلام في الأسماء والصفات ، ومسألة أن القرآن كلام الله ، والقضاء والقدر ، ومسائل الإيمان والكفر ، والمسائل المتعلقة بالبرزخ والآخرة ، والموقف من الصحابة وولاة الأمور ...

وبالتعريف السابق تظهر المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، فسنة الرسول ﷺ هي الطريقة المحمودة ، وهي الأمر الواضح البين ، وهو الذي ابتدأها تبليغاً وعملاً .

### المبحث الثاني : المدلول اللغوي والاصطلاحي للجماعة :

الجماعة لغة : أصلها من الجمع ، وهو تأليف المتفرق <sup>(٢)</sup> فالجماعة إذاً تعني الاجتماع ، وضدها الفرقة ، ثم أطلقت الكلمة على أنها اسم لطائفة من الناس يجمعهم غرض واحد <sup>(٣)</sup> .

وأما تعريفها الاصطلاحي ، فكلمات أهل العلم فيها تدور على ستة

---

(١) ومن ألف في هذا العلم باسم السنة أو شرح السنة أو أصول السنة : عبدالله بن أحمد ، وابن أبي حاتم ، وابن أبي عاصم ، والطبراني ، والظلمنكي ، والبريهاري ، وابن أبي زمنين ، وغيرهم كثير

(٢) القاموس المحيط ص ٩١٧ . مادة : ( جمع )

(٣) انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٧/٣ - والمعجم الوسيط ١/١٣٥ . مادة :

( جمع )

معان: (١)

- (١) السواد الأعظم من أهل الإسلام<sup>(٢)</sup>.
- (٢) جماعة العلماء المجتهدين<sup>(٣)</sup>.
- (٣) الصحابة على الخصوص<sup>(٤)</sup>.
- (٤) جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) انظر: الاعتصام للشاطبي ٢٦٠/٢ - ٢٦٦ - وتنبية أولي الأبصار ٢٦٩ - ٢٧٢.
- (٢) واستند أصحاب هذا القول على روايات مرفوعة لا تخلوا كلها من ضعف ، وأشير هنا إليها إشارة : أما رواية ابن عمر فعند ابن أبي عاصم ٣٩/١ ، والحاكم ١١٥/١ - ١١٦ ، وأما رواية أبي أمامة فهي عند ابن أبي عاصم ٣٤/١ - والطبراني في الكبير ٣٢٠/٨ - والصغير كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥٨/٧ - والآجري في الشريعة ص ٣٦ ورواية أنس عند ابن ماجه ١٣٠٣/٢ رقم ٣٩٥٠ وابن أبي عاصم ٤١/١ وأبي يعلى ٣٦٣/٤ - وابن بطة ٣٧٣/١ - ٣٧٤ واللالكائي ١٠٥/١ - والفقيه والمتفقه للخطيب ١٦١/١ ورواية أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع عند الطبراني كما في مجمع الزوائد ٢٥٩/٧ - وقد ورد موقوفاً كذلك على ابن مسعود كما في الإبانة لابن بطة ٣٧٣/١ - ٣٧٤ - برقم ٥١٨ - وعلى أبي مسعود عند الطبري كما في فتح الباري ٤٠/١٣ .
- (٣) وهو قول عمرو بن قيس كما في الإبانة لابن بطة ٤٨٢/٢ وقول البخاري في صحيحه (١٣/٣٢٨ - مع الفتح) - وقول الترمذي في سننه ٤٦٧/٤ .
- (٤) قاله أصحابه - ومنهم البربرهاري في شرح السنة ص ٢٢ - استناداً على رواية : ( ما أنا عليه اليوم وأصحابي ) وهي عند : اللالكائي ١٠٠/١ برقم ١٤٧ وفيها عبد الرحمن الإفريقي وهو ضعيف - تهذيب التهذيب ١٧٣/٦ وهي محتملة للتحسين وانظر : درء الارتباب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب للشيخ سليم الهلالي .
- (٥) ذكره الشاطبي ولم يعزه لأحد ، ولم يذكر دليله : الاعتصام ٢٦٣/٢ .

(٥) جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير<sup>(١)</sup>

(٦) جماعة الحق وأهله .<sup>(٢)</sup>

وكل تلك المعاني التي ذكرها أهل العلم لا تعارض بينها، ويدل لذلك أمران :

الأول : إن بعض من قال بأحد تلك الأقوال - إذا أراد أن يفسر ما اختاره يفسره بقول يكون قولاً آخر من الأقوال الستة . مما يدل على أنهم ما كانوا يرون الاختلاف في ذلك - فمن ذلك أن البريهاري<sup>(٣)</sup> فسر السواد الأعظم بقوله : « الحق وأهله »<sup>(٤)</sup> فالسواد الأعظم ذكر قولاً أولاً ، والحق وأهله ذكر قولاً سادساً - فهذا الإمام يراهما متطابقين معنى ، وقال أيضاً : « والأساس الذي بينا عليه الجماعة هم : أصحاب محمد ﷺ رحمهم الله أجمعين ، وهم أهل السنة والجماعة ، وهم السواد الأعظم »<sup>(٥)</sup> فصارت بهذا ثلاثة أقوال عنده متطابقة : الصحابة ، السواد الأعظم ، الحق وأهله ، وكلها بمعنى أهل السنة والجماعة .

---

(١) وهذا اختيار ابن جرير الطبري كما في فتح الباري ١٣ / ٤١ واستند لحديث حذيفة مرفوعاً عند مسلم : ( تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ) وهو اختيار ابن الأثير كذلك في النهاية في غريب الحديث ٢ / ٤١٩ .

(٢) قاله البريهاري في شرح السنة ص / ٢٢ ويظهر أنه اختيار ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم ٢ / ٣٦ .

(٣) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البريهاري الحنبلي ، صاحب تلاميذ الإمام أحمد . كان شديداً على المبتدعة ، وله شرح السنة ، توفي سنة ( ٣٢٩ هـ ) انظر : طبقات الحنابلة ١٨ / ٢ وسير أعلام النبلاء ١٥ / ٩٠ .

(٤) شرح السنة للبريهاري ص / ٢٢ .

(٥) المصدر السابق .

الثاني : إنه من حيث المعنى لا تعارض : فإنه قد فُسرَت الجماعة بالصحابة لأنهم كانوا على الحق وهم أهله ، وكانوا السواد الأعظم ، وباعتبار أنهم مأخوذ عنهم فهم سلف لمن بعدهم ، فليس المراد إذاً أنهم وحدهم أهل السنة والجماعة ، ولذلك قال ابن كثير : <sup>(١)</sup> « فأهل الحق هم أكثر الأمة ولا سيما في الصدر الأول ، ولا يكاد يوجد فيهم من هو على بدعة ، وأما في الأعصار المتأخرة فلا يعدم الحق عصابة يقومون به » <sup>(٢)</sup>

ومما تقدم يمكن أن يقال قولاً جامعاً <sup>(٣)</sup> وهو : إن الجماعة ، أو أهل السنة والجماعة أو الفرقة الناجية هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم في ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن صفاتهم أنهم يلزمون جماعة المسلمين وإمامهم - فإنه من السنة لزوم الجماعة ، إلا إذا رأوا كفراً بواحاً ، وقد يعتزلون إن لم توجد جماعة ولا إمام ، فيكون مدار تعريف الجماعة على أنها الحق وأهله .

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي المفسر المحدث المؤرخ ، ولد سنة ( ٧٠٠ هـ ) وتوفي سنة ( ٧٧٤ هـ ) انظر : الدرر الكامنة ١ / ٣٧٣ - وشذرات الذهب ٦ / ٢٣١ .

(٢) النهاية في الفتن والملاحم ٢ / ٦٣ .

(٣) انظر : هذه الخلاصة للشيخ صالح بن سعد السحيمي في كتابه تنبيه أولي الابصار ص ٢٧٢ / مع زيادات أخرى عليه .

### المبحث الثالث : نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة

قد علم من العرض السابق أن أهل السنة والجماعة أولهم ومبدأهم الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا يدل على السبق التاريخي، ولكن استعمال هذا اللقب لجماعة مخصوصة تقابلها أخرى مبتدعة لم يظهر إلا بعد وقوع الفتن وظهور بعض الفرق والأهواء.

وحسب علمي - فإن هذا اللقب ظهر في أواخر أيام الصحابة <sup>(١)</sup> فقد قال ابن سيرين <sup>(٢)</sup> : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » <sup>(٣)</sup> ، ويعني بالفتنة ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ،

(١) يحتج بعض الباحثين بأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ) ( آل عمران الآية : ١٠٦ ) قال : « فاما الذين ابيضت وجوههم : فاهل السنة والجماعة وأولو العلم ، وأما الذين اسودت وجوههم : فاهل البدع والضلال . » اهـ إلا أنه لم يصح ، فقد أخرجه اللالكائي في ١ / ٧١ رقم : ٧٤ وقال السيوطي : « أخرجه ابن أبي حاتم وأبو نصر في الإبانة ، والخطيب في تاريخه واللالكائي في السنة » الدر المنثور ٢ / ٦٣ - ففيه مجاشع بن عمرو قال عنه البخاري : منكر مجهول ، وقال عن شيخه ميسرة بن عبد ربه : رُمي بالكذب ( ميزان الاعتدال ٤ / ٤٢٣ ) وقد رُوي مرفوعاً وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٣١٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين الإمام المشهور ، من التابعين أدرك نحو ثلاثين صحابياً ، ولد في أواخر خلافة عمر رضي الله عنه توفي سنة ( ١١٠ هـ ) انظر : الجرح والتعديل ٧ / ٢٨٠ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٦ .

(٣) أخرجه مسلم في مقدمته على صحيحه ١ / ١٥ .

فبعد تلك الفتنة بدأت الفرق تظهر ، فظهرت الخوارج ، ثم بعد ذلك : الشيعة  
والقدرية ... إلخ .

ثم تناقل الناس هذا اللقب في الطبقات اللاحقة واستخدموه في ما يقابل أهل  
البدع أياً كانوا .

ثم إن هذا اللقب صار يطلق إطلاقين : <sup>(١)</sup>

الأول منهما : على أهل السنة المحضة ، كما هو على الاصطلاح الحقيقي .

الثاني : إطلاق عام يشمل عدة فرق يجمعها إثبات أحقية خلافة الأربعة  
الراشدين مقابل من ينكر خلافة الثلاثة : أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله  
عنهم - وهم الرافضة . واشتهر الرافضة بالبدعة عند عامة الطوائف لأنهم كانوا  
أكثر الناس مخالفة للأحاديث ولعاني القرآن ، ولأنهم كانوا أكثر الناس قدحاً في  
سلف هذه الأمة وأئمتها وطعنوا في جمهور الأمة من جميع الطوائف ولذلك قوبلوا  
بهذا اللقب العام <sup>(٢)</sup> .

أما أهل السنة المحضة فلا يدخل فيهم إلا من أثبت الأمور الكلية وهي صفات  
الله عز وجل وغيرها من الأصول المعروفة عند أهل السنة والجماعة <sup>(٣)</sup> قال أبو نصر

---

(١) انظر : منهاج السنة ٢ / ٢٢١ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤ / ١٥٥ .

(٣) انظر : منهاج السنة النبوية ٢ / ٢٢١ .

السجزي الوائلي<sup>(١)</sup> يصف أهل السنة : « أهل السنة : هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح رحمهم الله عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه رضي الله عنهم فيما لم يثبت فيه نص في الكتاب ولا عن الرسول ﷺ لأنهم رضي الله عنهم أئمة وقد أمرنا باقتفاء آثارهم واتباع سنتهم ، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى إقامة برهان »<sup>(٢)</sup> . اهـ .

والأساس الذي بُني عليه التمييز بين أهل السنة والجماعة وغيرهم هو عدم الابتداع واتباع الأهواء لا الاختلاف في فروع الأحكام ، ويدل له حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً : ( وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة في الأهواء )<sup>(٣)</sup> .

أما الاختلاف في فروع الأحكام التي يسوغ فيها الاجتهاد فليس معياراً للتقسيم إلى فرق ، فإن الصحابة قد اختلفوا في كثير من المسائل ولم يخرجوا عن كونهم جماعة ، ولأن الحديث قيد الافتراق بالأهواء . قال ابن بطة :<sup>(٤)</sup> « أهل

---

(١) أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي ، إمام كبير صاحب سنة ، من مؤلفاته : الإبانة الكبرى في مسألة القرآن - توفي ( ٤٤٤ هـ ) انظر : سير أعلام النبلاء ١٧ / ٦٥٤ - وشذرات الذهب ٣ / ٢٧١ والجواهر المضية في تراجم الحنفية ٢ / ٤٩٥ .

(٢) الرد على من أنكر الحرف والصوت لأبي نصر - ص / ٩٩ .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١ / ٣٤ رقم ٦٩ .

(٤) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ، الإمام الفقيه المحدث ، أُلّف في السنة : الإبانة الكبرى ، والصغرى ، توفي سنة ( ٣٨٧ هـ ) انظر طبقات الحنابلة ٢ / ١١٤ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٥٢٩ .



الإثبات من أهل السنة يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة ... (إلى أن قال)  
ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أصل الدين واتفاقهم على شريعة المسلمين اختلافاً  
لم يصر بهم إلى فرقة ولا شتات ولا معاداة ولا تقاطع وتباغض، فاختلّفوا في فروع  
الأحكام والنوافل التابعة للفرائض ... » (١) اهـ.

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ٢/ ٥٥٧-٥٥٨.

### الفصل الثالث : التعريف بالأشاعرة .

جماعة منتسبون إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله في الاعتقاد كما قال الشهرستاني : « الأشعرية أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري »<sup>(١)</sup> متأخروهم في الجملة يؤمنون ويثبتون صفات المعاني السبع ويمنعون قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى ، وهم في القدر مجبرة متوسطة<sup>(٢)</sup> كما يقول الإيجي<sup>(٣)</sup> وفي مباحث الإيمان لهم شبه بالمرجئة في تعريفه ، وفي مواقفهم من الصحابة وفي الأمور السمعية الأخروية لا يخالفون أهل السنة والجماعة . ولما كان الأشعريون ينتسبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ويلقبون أنفسهم بأهل السنة والجماعة فإنه من المناسب أن يقدم بحث في التعريف بالإمام أبي الحسن الأشعري ومعرفة ما كان عليه من اعتقاد ، وعلى معرفة صحة النسبة إلى أهل السنة والجماعة .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ٩٤/١ .

(٢) وصف الإيجي الأشاعرة بالتوسط في الجبر ، لأنهم أثبتوا للعبد قدرة تقارن العمل وإن لم تؤثر فيه ، بخلاف الجبرية الغلاة وهم الجهمية الذين لا يثبتون للعبد قدرة أصلاً . والتحقق أنهما متفقان إذ لا معنى لإثبات قدرة غير مؤثرة ، ونص كلامه : « والجبرية ؛ متوسطة : تثبت للعبد كسباً كالأشعرية ، وخالصة : لا تثبت كالجهمية » ١ هـ . المواقف للإيجي ص / ٤٢٨ .

(٣) هو عبدالرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الشافعي الأشعري ولد سنة (٧٠٨ هـ) وتوفي سنة (٧٥٦ هـ) انظر : طبقات الشافعية ١٠ / ٤٦ - والدرر الكامنة ٢ / ٣٢٣ .

## المبحث الأول : التعريف بأبي الحسن الأشعري :

علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري . وكنيته أبو الحسن .

والأشعري نسبة إلى ( أشعر ) قبيلة مشهورة باليمن من ولد سبأ ، والأشعر اسمه : نبت بن أدد <sup>(١)</sup> . قال ابن الكلبي <sup>(٢)</sup> : « إنما سُمِّي نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ : الأشعر ، لأن أمه ولدت له وهو أشعر ، والشعر على كل شيء منه <sup>(٣)</sup> » اهـ .

ولد أبو الحسن الأشعري بالبصرة سنة ستين ومائتين من الهجرة ( ٢٦٠ هـ ) وسكن بغداد وتوفي بها سنة أربع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة على الأرجح <sup>(٤)</sup>

## المبحث الثاني : المراحل الاعتقادية التي مر بها أبو الحسن الأشعري :

### المرحلة الأولى : المرحلة الاعتزالية :

---

(١) تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٦ وتبيين كذب المفتري ٣٤-٣٥ .

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي - له كتاب الجمهرة - في النسب - فقد كان علامة فيه مع أنه كان رافضياً ! توفي سنة ( ٢٠٤ هـ ) انظر ميزان الاعتدال ٤ / ٣٠٤ . وسير اعلام النبلاء ١٠ / ١٠١ .

(٣) الأنساب للسمعاني ١ / ٢٦٦ وتبيين كذب المفتري ص ٣٦-٣٧ .

(٤) تاريخ بغداد ١١ / ٣٤٧ - وتبيين كذب المفتري ص ٥٦ .

وهذه المرحلة كان سببها ملازمته لشيخه أبي علي الجبائي <sup>(١)</sup> زوج أمه واستمر على الاعتزال إلى سن الأربعين، ثم فارقه لما لم يجد إجابات كافية في مسألة الصلاح والأصلح على الله تعالى ، وقيل إنه رأى النبي ﷺ مناماً وأمره أن يروي العقائد المروية عنه لأنها الحق، ولهذا اعتمد الأدلة النقلية في تقرير العقائد <sup>(٢)</sup>.

### المرحلة الثانية : المرحلة الكلابية :

عاش أبو الحسن الأشعري في آخر المرحلة الاعتزالية حيرة كبيرة ، وقد اختفى مدة عن الناس خالياً بنفسه ليعرف الحق، ومال إلى طريقة ابن كلاب <sup>(٣)</sup> وابن كلاب جاء في زمان كان الناس فيه صنفين : فأهل السنة والجماعة يثبتون الصفات كلها الذاتية والفعلية ، والجهمية ينكرونها، فجاء ابن كلاب وأثبت الصفات الذاتية ونفى ما يتعلق منها بالمشيئة ، فلذلك قرر الأشعري هذه العقيدة . وقد يمثل هذه المرحلة كتابه اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع <sup>(٤)</sup>.

(١) أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري ، شيخ المعتزلة ولد سنة (٢٣٥ هـ) ومات بالبصرة

سنة (٣٠٣ هـ) انظر مقالات الإسلاميين ١/٢٣٦ - والبداية والنهاية ١١/١٣٤ .

(٢) انظر : تبين كذب المفترى ص ٤٠ - ٤١ وطبقات الشافعية الكبرى ٢/٢٤٦ .

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان أحد أئمة المتكلمين وصفه ابن حزم في الفصل

٧٧/٥ بأنه شيخ قديم للأشعرية، وقال عنه الجويني في الإرشاد ص ١١٩ : إنه : ( من

أصحابنا ) توفي بعد الأربعين ومائتين بقليل . ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٢/٣٠٠ .

(٤) انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٤٤٦ - والخطط للمقريزي ٣/٣٠٨ .

والأشعرية تعد هذه المرحلة آخر مراحل أبي الحسن الأشعري ، وسيأتي بعد قليل بيان خطأ هذا الادعاء إن شاء الله تعالى .

### المرحلة الثالثة : المرحلة السنية :

هذه المرحلة يمثلها كتاب الإبانة الذي بين في مقدمته مؤلفه أبو الحسن الأشعري أنه ينتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل في الاعتقاد . ويمثله كذلك رسالته إلى أهل الثغر<sup>(١)</sup> ومقالات الإسلاميين .

وجميع ما ذكر من المراحل الثلاثة ذكره الحافظ ابن كثير في طبقات الشافعية<sup>(٢)</sup> ، وللشيخ حماد الأنصاري بحث في هذا الموضوع مطبوع في مقدمة كتاب الإبانة طبع مركز شئون الدعوة الإسلامية<sup>(٣)</sup> .

والناس اختلفوا في كتاب الإبانة، فمنهم من أنكر نسبته إلى أبي الحسن الأشعري، ومنهم من أثبته ولكن يقول إنه صنفه قبل كتاب اللمع الذي يجمع - حسب زعمهم - بين العقل والنقل في موازنة دقيقة ومطلوبة لتحقيق الوسطية بين

---

(١) مع بقاء تأويل له في صفتي الغضب والرضا عند ذكره للإجماع التاسع في رسالته هذه ص ٢٣١ .

(٢) انظر طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير ١ / ٢١٠ وفيه كذلك أنه استفاد من الساجي عقيدة السلف .

(٣) انظر: رسالته المطبوعة في مقدمة الإبانة من ص ٧-٣٧ وانظر: قول الشيخ محب الدين الخطيب في هامش المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٤٤ - وص ٤٦ .

طرفين كلاهما بجانب للحق والصواب . ١١ (١)

وأما من أنكر نسبة الكتاب فالرد عليه : إن الحافظ ابن عساكر (٢) قد ذكر هذا الكتاب ( الإبانة ) في كتابه تبين كذب المفترى وجزم بصحة نسبته إلى أبي الحسن الأشعري (٣) . كما ألف ابن درياس (٤) رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري وذكر فيها كتاب الإبانة (٥) .

وأما من قال بنسخ كتاب اللمع للإبانة فقله خطأ - ويبان ذلك :

أولاً : إن أبا الحسن نفسه ذكر في كتابه (العمد) في الرؤية الذي ألفه سنة عشرين وثلاثمائة تصانيفه التي صنفها إلى ذلك الوقت فذكر منها كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، وكتاب اللمع الكبير ، واللمع الصغير ولم يذكر

---

(١) ممن يرى هذا الرأي : حموده غرابه في تقديمه لكتاب اللمع - ونقله عن بعض المستشرقين .

(٢) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله - الإمام الحافظ الشافعي - ولد سنة (٤٩٩ هـ) له

مؤلفات كثيرة منها : تاريخ دمشق وتوفي سنة (٥٧١ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ٢ / ٥٥٤ -

وطبقات السبكي ٧ / ٢١٥ .

(٣) انظر : تبين كذب المفترى ص / ٢٨ .

(٤) أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درياس الشافعي - قاضي الديار المصرية ، ولد سنة (٥١٦ هـ)

(هـ) تقريباً وتوفي سنة (٦٠٥ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٧٤ .

(٥) وانظر رسالته كلها خاصة ص / ١٠٧ ، وقد ذكر في كتابه شهادة ثمانية من العلماء ممن أثبت

كتاب الإبانة وهم : ١- البيهقي ٢- أبو العباس الطريقي ٣- أبو عثمان الصابوني ٤- أبو

علي الفارسي المقرئ . ٥- نصر المقدسي ٦- ابن عساكر ، ٧- أبو المعالي مجلي الشافعي ،

٨- أبو محمد البغدادي .

كتاب الإبانة مما يدل على تأخر تأليفه<sup>(١)</sup>.

ثانياً: إن الرواية التي ذكرها ابن عساكر عن مرحلة تحول أبي الحسن الأشعري عن الاعتزال تفيد أن أول كتاب ألفه بعد التحول هو كتاب اللمع : يقول : « الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب اللمع .. »<sup>(٢)</sup> ولم يذكر الإبانة .

وهذه الرواية ترجح أن اللمع كتاب التحول، والإبانة كتاب العقيدة الأخيرة التي استقر عليها .

ثالثاً: إن أبا الحسن الأشعري نفسه ذكر باباً في كتابه مقالات الإسلاميين بعنوان : ( هذه حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة ) فأورد فيه عقيدة السلف كما هي في الإبانة ثم عقب في النهاية بقوله : « فهذه جملة ما يأمر به ويستعملونه ويروونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما

---

(١) انظر تبين كذب المفتري ص / ١٢٨ - ١٣٠ .

(٢) تبين كذب المفتري ص / ٣٨ - ٣٩ .

توفيقنا إلا بالله<sup>(١)</sup> . اهـ . ثم ذكر عقيدة ابن كلاب في الباب الذي يلي هذا الباب فقال : « فأما أصحاب عبد الله بن سعيد القطان فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة<sup>(٢)</sup> ، ثم لم يعقب بعد ذلك بانتسابه إلى عقيدته ، بل إنه نفى وجود اتفاق تام بينه وبين ابن كلاب حيث قال عنه وعن جماعته : « فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة » ، فعدم انتسابه إلى الكلابية ، وإثباته وجود فرق بين الكلابية وأهل السنة ، وتصريحه بانتسابه إلى أهل السنة ، دليل على أنه استقر أخيراً على منهج أهل السنة والجماعة .

رابعاً : إن أبا الحسن الأشعري أنكر في كتابه الإبانة تفسير الاستواء بالاستيلاء وقرر أنه مذهب المعتزلة والجهمية والحرورية ، كذلك أثبت لله سبحانه الوجه والعين والبصر واليدين على قول أهل السنة ، رافضاً التأويل باعتباره سبيل الفرق الزائغة عن الحق وباعتبار أن نتائج منهج التأويل باطلة ومخالفة لعقيدة السلف ، بل إنه قدم الأدلة النقلية والعقلية على فساد هذه التأويلات ، فلا يعقل إذاً رجوعه إلى عقيدة التأويل ولا يعلن رجوعه عن عقيدته في الإبانة إلى عقيدة اللمع التي يُظن بأنها تمثل الأشعرية الكلابية ، وهذا الظن سببه أنه اقتصر في اللمع على ذكر الصفات التي لا يثبت غيرها الأشعرية . وازداد الظن باعتماده فيه على أدلة عقلية في الرد على أهل الزيغ والبدع ، ولكن يمكن أن يقال : إن الاقتصار على بعض الصفات لا يدل على إنكار غيرها ، والاعتماد على الأدلة العقلية قد يكون أدعى لإفحام من ألف الاستدلال بها - وهم أهل الزيغ والبدع . والشبهة وإن كانت

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٣٤٥ - ٣٥٠ .

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/٣٥٣ .



باقية حول كتاب اللمع إلا أنه يمكن الادعاء بأن كتاب الإبانة إتمام لما بدأه في اللمع من ذكر بعض الصفات دفعاً للتناقض ، وإحساناً للظن بهذا الإمام ، ولما ذكرناه من أدلة راجحة .<sup>(١)</sup>

وبهذا يعلم أن انتساب الأشعرية إلى أبي الحسن الأشعري نسبة غير صحيحة ، لأنها نسبة إلى مرحلته الثانية التي رجع عنها ، ولو وجد شخص منهم ينتسب إلى الأشعري في آخر مراحل فنسبته موافقة إلا أنها بدعة كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله<sup>(٢)</sup> .

### اعتراض آخر وجوابه :

الاعتراض : إذا كان كتاب الإبانة صحيح النسبة إلى أبي الحسن الأشعري رحمه الله وأنه آخر ما كان عليه فلم لا يوجد اعتقاده هذا في تلاميذه ؟ فعدم وجود هذا الاعتقاد في تلاميذه يشكك في رجوعه .

الجواب : هذا الاعتراض يجاب عنه بثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إنه قد ثبت بأدلة قطعية تصنيف الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله لكتاب الإبانة ، وتقدم ذكر الأدلة في هذا الأمر ، وأدلة تأخر تصنيف

---

(١) انظر ماكتبه فاروق أحمد الدسوقي في كتابه القضاء والقدر في الإسلام : ٣١٧/٢ - ٣١٩ فقد أخذت عنه ماتقدم بتصريف .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي شيخ الإسلام بحر العلوم العقلية والنقلية - ولد سنة (٦٦١ هـ) بخران وتوفي سنة (٧٢٨ هـ) بقلعة دمشق - انظر : البداية والنهاية ١٤١/١٤ - ١٤٦ . وسيأتي نقل كلامه ص / ٤٩ .

الإبانة عن كتاب اللمع<sup>(١)</sup> ولا يقدر بعد هذا عدم رجوع من أخذ عنه في الاعتزال أو الكلابية إلى عقيدة الإبانة في صحة نسبة كتاب الإبانة إليه. وهذا الوجه هو باعتبار التسليم بأنه لا يوجد في تلاميذه من اعتقد ما في الإبانة. الوجه لثاني:

لا نسلم القول بعدم وجود من يعتقد اعتقاد أبي الحسن الأشعري في كتاب الإبانة، وتكفي الإشارة إلى إمامين جليلين هما:  
الأول: أبو عبد الله بن خفيف (ت ٣٧١ هـ) (٢).

وقد ذكره الحافظ بن عساكر الدمشقي في الطبقة الأولى من طبقات الأشاعرة<sup>(٣)</sup> وقد ذكر هذا الإمام في كتابه: (اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات) (٤) عقيدة توافق ما عليه الأشعري في كتابه الإبانة وتخالف ما عليه الأشعرية الكلابية، فمما ذكره:

١- الاحتجاج بالأخبار كلها في الأسماء والصفات المنقولة بنقل العدل الضابط عن مثله مرفوعاً. وهذا يوافق طريقة أبي الحسن في الإبانة التي لا يرتضيها المتأخرون.

٢- أثبت الصفات التي أثبتها أبو الحسن الأشعري في الإبانة، وينفيها الأشاعرة الكلابية وهي: اليدان، والوجه، والرجل، والاستواء على العرش،

---

(١) انظر ص / ٣٢.

(٢) انظر ترجمته في ص / ١٦٢.

(٣) انظر تبين كذب المفتري ص / ٩٠.

(٤) ذكر هذا الكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية الكبرى ص / ٧٤.

والنزول ، والمحبة ، والغضب ، والرضى .<sup>(١)</sup>

الثاني : أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ)<sup>(٢)</sup> :

وقد ذكره كذلك الحافظ ابن عساكر في الطبقة الأولى من طبقات الأشاعرة<sup>(٣)</sup> وقد ذكر هذا الإمام عقيدته في رسالة (اعتقاد أئمة الحديث) وهي توافق ما عليه أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة. وهذه الموافقة تظهر في الآتي :

١- الاحتجاج بالكتاب والسنة وترك الابتداع<sup>(٤)</sup>.

٢- أثبت هذا الإمام في رسالته صفات : اليمين ، والاستواء على العرش ، والوجه ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق والنزول .<sup>(٥)</sup> وهذه لا يثبتها الأشعرية الكلابية ، وإنما يثبتها أبو الحسن الأشعري في الإبانة .

الوجه الثالث : وهو أنه لو اعترض معترض فقال : إن الإمامين المشار إليهما سابقاً لم يلازما أبا الحسن الأشعري ملازمة تامة فلم لا يُذكر غيرهما ؟ فجوابه :

١- لقد تقدم أن مثل هذه الاعتراضات غير سديدة ، إذ يكفي إثبات صحة نسبة الكتاب إليه ، وأن بعض القوم قد وافقوه . وإذا فرض أن الإمامين لم يلازما أبا الحسن أو لم يكونا من تلاميذه أصلاً ، فيكفي أنهما التقيا به وأقرا ما عنده من اعتقاد فلو لم يكن أبو الحسن الأشعري رحمه الله موافقاً لهما لما أقرَّ عليه عقيدته . وقلة الآخذين عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله يرجع سببها إلى أنه ألف كتابه

(١) انظر الحموية ص / ٧٤ - ٨٠ .

(٢) انظر ترجمته ص / ٤١٤ .

(٣) انظر تبين كذب المفترى ص / ١٩٢ .

(٤) انظر رسالته اعتقاد أئمة الحديث ص / ٤٩ .

(٥) انظر اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي : ٥٠-٥١ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٢ .

الإبانة في آخر حياته بعد رحلته إلى بغداد فقل الآخذون عنه ، ولأنه قد وجد بعض كبار الأئمة كالبربهاري والإسماعيلي والساجي<sup>(١)</sup> فاستغنى الناس بهم عنه لشهرتهم في السنة أكثر منه .

٢- لقد صح النقل كذلك عن بعض الأشعرية في إثبات بعض الصفات التي لا يقر بها الأشاعرة المتأخرون . فمن هؤلاء : الباقلاني<sup>(٢)</sup> ، وكذلك البيهقي كان أكثر إثباتاً للصفات ، ويظهر ذلك بجلاء في كتابه الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد .

٣- إن المتأخرين من الأشاعرة يقرون بأن أبا الحسن الأشعري وبعض الأشاعرة قد قالوا بإثبات الصفات التي لا يقر بها المتأخرون ، فقد عقد الإيجي في كتابه :-  
المواقف في علم الكلام - مقصداً بقوله : « في صفات اختلف فيها »<sup>(٣)</sup> فقال عن الاستواء : « وذهب الشيخ - (أي أبو الحسن) - في أحد قوليه إلى أنه صفة زائدة »<sup>(٤)</sup> وقال عن الوجه : « أثبتته الشيخ - في أحد قوليه - وأبو إسحاق

---

(١) وهو : أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي الشافعي - إمام ثبت حافظ - قال الذهبي : « أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات ، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تأليف »  
اه توفي بالبصرة سنة ٣٠٧ هـ - انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤ / ١٩٧ - ٢٠٠ .

(٢) انظر ص / ٤٢ . هذا مع العلم بأن ابن كثير لما ذكر أحوال أبي الحسن الأشعري الثلاثة واستقراره على السنة خاصة في كتابه الإبانة ذكر بأن الباقلاني والجويني مالا إلى هذه الطريقة  
آخر حياتهما فانظر : طبقات الشافعية له ١ / ٢١٠ .

(٣) المواقف في علم الكلام ص / ٢٩٦ .

(٤) المصدر نفسه ص / ٢٩٧ .

الإسفرائيني ، والسلف : صفة زائدة»<sup>(١)</sup>، وقال عن صفة اليدين : « فثبت الشيخ صفتين ثبوتيتين زائدتين، وعليه السلف، وإليه مِيلُ القاضي»<sup>(٢)</sup> في بعض كتبه»<sup>(٣)</sup> وقال عن صفة العينين : « وقال الشيخ تارة : إنه صفة زائدة»، ثم ذكر : صفة القدم والإصبع واليمين...<sup>(٤)</sup> - وقد ذكر سعد الدين التفتازاني هذا أيضاً<sup>(٥)</sup> - مع ملاحظة أن الإيجي يحكي عن الأشعري أكثر من قول باعتبار أن ذلك اختلاف في الأقوال - ولكن مقصودنا إثبات أن المتأخرين من الأشاعرة يقرون بإثبات أبي الحسن الأشعري لصفات لا يثبتونها ، وإن ادعوا أن ذلك اختلاف في الأقوال - ، ولكن الصحيح أن إثباته راجع على تأويله للصفات خاصة وأنه قد تقدم بأدلة راجحة أن آخر ما كان عليه أبو الحسن الأشعري رحمه الله هو ما في كتابه الإبانة<sup>(٦)</sup>.

فهذه الأوجه الثلاثة المتقدمة تفيد رجوع أبي الحسن رحمه الله وتأثر بعض أتباعه به بعد رجوعه إلى عقيدة الإبانة . وغريب جداً أن ينص الإيجي - في النقل المتقدم عنه - على أن السلف قالوا بإثبات ما ذكره من الصفات، ثم يحكي الخلاف فيها ! مما يدل على أن المخالفين هم المتأخرون، ولا شك أنه لا يعتد بخلافهم.

(١) المصدر نفسه ص / ٢٩٨ .

(٢) أي الباقلاني في كتابه انتمهيد ص / ٢٩٥ .

(٣) المواقف في علم الكلام ص / ٢٩٨ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر شرح المقاصد للتفتازاني ٤ / ١٧٤ - ١٧٥ .

(٦) انظر ص / ٣٢-٣٥

### المبحث الثالث : حكم إطلاق لقب أهل السنة والجماعة على الأشاعرة .

جعل البغدادي عبد القاهر بن طاهر<sup>(١)</sup> الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة حيث قال : « فأمّا الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة ... كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدله وحكمته وفي أسمائه وصفاته وفي أبواب النبوة والإمامة وفي أحكام العقبي وفي سائر أصول الدين »<sup>(٢)</sup> .

وهذا الكلام مجمل تفصيله أتى بعد ذلك عند بيانه لأصناف أهل السنة والجماعة والأصول التي اجتمعوا عليها<sup>(٣)</sup> .

وعلى سبيل التمثيل فإنه لما عدد الصفات الذاتية عد صفات المعاني السبع ولم يذكر الصفات الذاتية الأخرى ، وهذا هو الذي عليه الأشاعرة - ومما يدل على أنه يعد الأشاعرة ضمن أهل السنة والجماعة ذكره لكبار أصحاب الأشعري فقال : « ومن تلامذته ( أي الأشعري ) : أبو الحسن الباهلي<sup>(٤)</sup> وأبو عبد الله بن مجاهد<sup>(٥)</sup> »

---

(١) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الشافعي الأشعري الأصولي - وهو أكبر تلاميذ أبي إسحاق الإسفراييني توفي سنة ( ٤٢٩ هـ ) انظر تبين كذب المفتري ص / ٢٥٣ ، وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٧٢ .

(٢) الفرق بين الفرق ص / ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه من ص / ٣١٢ - إلى آخر الكتاب .

(٤) أبو الحسن الباهلي البصري - أحد تلاميذ أبي الحسن الأشعري ، أخذ عنه أبو بكر الباقلاني والإسفراييني - وكان رجلاً عابداً - انظر تبين كذب المفتري ص / ١٧٨ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠٤ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري - وهو أحد تلاميذ أبي الحسن الأشعري - وأخذ عنه القاضي أبو بكر الباقلاني - انظر تبين كذب المفتري ص / ١٧٧ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠٥ .

وهما اللذان أثمرتا تلاميذ هم إلى اليوم شمس الزمان وأئمة العصر كأبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي<sup>(١)</sup> ، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني<sup>(٢)</sup> وابن فورك ..<sup>(٣)</sup> الخ .

وهذا القول ذكره في فصل : بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وأئمتهم من كتابه الفرق بين الفرق .<sup>(٤)</sup>

ومن أطلق هذا اللقب على الأشاعرة الشيخ أحمد المقرئ<sup>(٥)</sup> المغربي المالكي الأشعري ويظهر ذلك في الآتي :

إنه نظم عقيدة سماها : إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، ثم قال في

---

(١) أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن الباقلائي المالكي الأصولي المتكلم - كان أقرب إلى الإثبات من الأشعرية المتأخرة وقد لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري - توفي سنة (٤٠٣ هـ) انظر تبين كذب المفتري ص / ٢١٧ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ١٩٠ .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني الأصولي الشافعي المتكلم الأشعري - لقي تلاميذ أبي الحسن الأشعري . وحكي عنه القول بإنكار الكرامات ! - توفي سنة (٤١٨ هـ) انظر تبين كذب المفتري ص / ٣٤٣ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٣٥٣ .

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني المتكلم الأشعري - أخذ عن أبي الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري توفي سنة (٤٠٦ هـ) انظر تبين كذب المفتري ص / ٢٣٢ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٢١٤ .

(٤) انظر فيه ص / ٣٦٤ .

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقرئ المالكي الأشعري ، صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ولد سنة (٩٩٢ هـ) وتوفي سنة (١٠٤١ هـ) انظر معجم المؤلفين ٢ / ٧٨ .

أولها:

يَقُولُ أَحْمَدُ الْفَقِيرُ الْمُقَرِّي      الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِيُّ<sup>(١)</sup>

ثم إنه قد ذكر في عقيدته هذه عقيدة الأشاعرة الكلائية، فإنه نص على أن  
النظم في عقيدة أهل السنة ونسب نفسه إلى الأشعري، مما يدل على أنه يرى أن  
الأشعرية هم أهل السنة والجماعة !

ولما أطلق هؤلاء الأشاعرة على أنفسهم لقب أهل السنة والجماعة كان لا بد  
لهم من التنصيص على أن الأئمة المتقدمين ممن أجمعت عليهم الأمة كأحمد وأبي  
حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله يعدون أئمة لهم<sup>(٢)</sup> بل ذكروا أن أبا حنيفة  
والشافعي من متكلمي أهل السنة<sup>(٣)</sup> !!

وهؤلاء الأئمة الذين نص الأشاعرة على أنهم من أهل السنة - وهم كما  
قالوا - نرضى بهم حكماً لمعرفة أهلية الأشاعرة لهذا اللقب وهذا يذكر في الآتي:  
أولاً: إذا أجرينا مقارنة بين وصف الأشاعرة لأبي حنيفة والشافعي بأنهما من  
المتكلمين وبين قولي الإمامين لوجدنا اختلافاً كثيراً:

فمن أقوال الإمام أبي حنيفة: «وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في  
القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس: فهو له صفات  
بلا كيف، ولا يقال: إن يده: قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة»<sup>(٤)</sup> ١ هـ.

(١) إضاءة الدجنة ص / ٣ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص / ٣١٤ - ٣٦٣ .

(٣) انظر المصدر السابق ص / ٣٦٤ .

(٤) الفقه الأكبر مع شرح القاري له ص / ٥٨ - ٥٩ .



« وسئل عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ <sup>(١)</sup> وعرشه فوق سبع سمواته، قيل له: فإن قال: إنه على العرش ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر <sup>(٢)</sup>، ومن كان هذا قوله فهل يعد إماماً للأشعرية أو متكلماً على طريقتهم! كيف وقد حكم بكفر من أنكر علو الله، وهو قد أثبت ما لا يثبتته الأشاعرة من الصفات كالوجه واليد وأنكر تأويلها.

وهكذا يقال عن الإمام مالك رحمه الله الذي يبين الإمام ابن خويز منداد <sup>(٣)</sup> بُعد الأشاعرة عنه وحكمهم عنده بقوله: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري...» <sup>(٤)</sup>. وأما الإمام الشافعي - رحمه الله - فإنه قد قدح في علم الكلام وأهله كما سيأتي النقل عنه إن شاء الله <sup>(٥)</sup>. ولما قال حفص الفرد: القرآن مخلوق قال له الإمام الشافعي: «كفرت بالله العظيم» <sup>(٦)</sup> «فأين الأشعرية الذين

(١) سورة طه الآية: ٥ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص / ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٣) محمد بن أحمد (بن عبد الله)، وقيل: (ابن علي) بن إسحاق بن خويز منداد - المالكي البصري، تفقه على الأبهري، عاش في القرن الرابع. انظر: الديباج المذهب ٢/ ٢٢٩ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ١١٧ .

(٥) انظر ص / ٦٦٠ .

(٦) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٣٠ - وانظر قولاً آخر للإمام الشافعي حكاه عنه شيخ الإسلام الهكاري في سير أعلام النبلاء ١٠/ ٧٩ . وانظر ترجمة حفص في الميزان للذهبي

يقولون « إن القرآن بمعناه اللفظي مخلوق » من هذا !! فظهر بمجموع ما تقدم انقطاع صلتهم بهؤلاء الأئمة في هذا الباب .

ثانياً : إن الأشاعرة كانوا يقابلون أخبار الآحاد بالرد أو التأويل - وبقية الأخبار من القرآن والسنة المتواترة بالتأويل إن لم تكن جارية على أصولهم - <sup>(١)</sup> وهذا شيء لا يرتضيه هؤلاء الأئمة ، فمن ذلك قول الإمام أحمد : « السنة عندنا : آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن ، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء ، إنما هي الاتباع وترك الهوى ، ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها ... ( ثم بدأ يعددها ) » <sup>(٢)</sup> . فإين إذا صحة النسبة المزعومة .

ثالثاً : إن الأشاعرة أنفسهم قد أقروا في بعض المواضع بوجود رواسب معتزلية - كما في مسألة أول واجب على المكلف - فقال السمناني <sup>(٣)</sup> « إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة ... » <sup>(٤)</sup> . ومن هذه المسائل :

---

(١) انظر : ص / ٥٦٦ ، وص / ٥٨٢ من هذا الكتاب . وانظر الإرشاد للجويني ص / ٣٥٨ - ٣٦٠ وأصول الدين للبغداد ص / ١٢ .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١ / ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣) أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني الحنفي قاضي الموصل - أكبر أصحاب الباقلاني ، ولد سنة (٣٧١ هـ) وتوفي سنة (٤٤٤ هـ) انظر : الجواهر المضية ٢ / ٢١ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٦٥١ .

(٤) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ١٣ / ٣٦١ ، وانظر ما سيأتي ص / ٣٢١ .

التزامهم القول بخلق القرآن بمعناه اللفظي - زعموا - وفي مسألة قدم الأسماء الحسنی ، والعلو ... (١)

رابعاً : وكان علماء السنة والجماعة يعدون من ينكر شيئاً من صفات الله جهمياً ، فمن نصوصهم في ذلك :

« وسئل يزيد بن هارون (٢) ف قيل له : من الجهمية ؟ فقال : من زعم أن ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٣) . على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي » (٤) . وقال الإمام أحمد : « من كان من أصحاب الحديث أو من أصحاب الكلام فأمسك من أن يقول القرآن ليس بمخلوق فهو جهمي » (٥) وقال الإمام أحمد رحمه الله : « من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع » (٦) .

---

(١) انظر ص / ٤٩٠ اعتراف الباجوري - وانظر ص / ٦٥٦ ، وص / ٤٨٦ ، وص / ٥٤٦ - ٥٥٢ .

(٢) أبو خالد السلمي الواسطي - الإمام الحافظ المتقن - ولد سنة (١١٨ هـ) ذكر بأن المأمون كان

يتقي القول بخلق القرآن في حياته ! توفي سنة (٢٠٦ هـ) انظر : الجرح والتعديل ٩ / ٢٩٥

وسير أعلام النبلاء ٩ / ٣٥٨ .

(٣) سورة طه - الآية : ٥

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد ١ / ١٢٣ - برقم : ٥٤

(٥) المصدر نفسه ١ / ١٥١ - رقم : ١٣١ .

(٦) عقيدة الصابوني ص / ١١ - رقم : ١٣ .

والسبب في ذلك أن مقالة التعطيل كان قد شهرها الجهم بن صفوان <sup>(١)</sup> بعد أن أخذها عن الجعد بن درهم <sup>(٢)</sup> فلذلك نسبت إليه . فصار كل من يعطل الصفات ويتأولها جحداً لها يطلق عليه أنه جهمي . وكلام الأئمة رحمهم الله في ذلك كثير . والمقصود هنا التمثيل فقط .

### بيان درجات التجهم ومنزلة الأشعرية فيه :

وبعد معرفة أن من ينكر شيئاً من الصفات فهو جهمي فلا بد من معرفة درجات التجهم ، ومنزلة الأشاعرة في التجهم ، ومعرفة أصنافهم :

فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الجهمية على ثلاث درجات فذكرهم... <sup>(٣)</sup> وفيما يلي ملخص ما ذكره :

**الدرجة الأولى :** الجهمية الغلاة ، وهم الذين ينفون أسماء الله وصفاته ويجعلون إطلاق الأسماء من باب المجاز .

**الدرجة الثانية :** الجهمية الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة ويجعلون كثيراً منها على المجاز ، وينفون صفات الله ، وهذا النوع من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم ، وهم الجهمية المشهورون .

---

(١) أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي المتكلم - كان ينكر الصفات ويقول بخلق القرآن وهو الذي أشهر ذلك كله - ذكر بأنه قتل سنة (١٢٨ هـ) . انظر ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ .

(٢) الجعد بن درهم - عداؤه في التابعين ، مبتدع - رأس في البدعة - قتل يوم النحر مضطرباً لزعمه بأن الله لم يكلم مرسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً - انظر ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢١/١٠ .

(٣) التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى للفقهاء ٣٧٠/٦ - ٣٧٢ .

ولا خلاف بيننا وبين الأشاعرة في عدم عد هؤلاء من أهل السنة والجماعة .

الدرجة الثالثة : طائفة من الصفاتية المشتبهين المخالفين للجهمية ، ولكن فيهم نوع من التجهم ، وأطلق عليهم : الجهمية لاشتراكهم في رد طائفة من الصفات ، وأهل هذه الدرجة على مراتب ثلاث :

أهل المرتبة الأولى منهم : من يقر بالصفات الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث .

وأهل المرتبة الثانية منهم : الذين يقرون بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة مع نفيهم وتعطيلهم لبعض ما ثبت بالنصوص ، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن تبعه بعد ذلك كأبي الحسن الأشعري <sup>(١)</sup> .

وأهل المرتبة الثالثة : تنتسب إلى أهل المرتبة الثانية إلا أنهم قاربوا المعتزلة الجهمية أكثر في النفي وخالفوا من انتسبوا إليه ، وفيهم من يتقارب نفيه وإثباته مع كثرة تناقضهم ، ومنهم الرازي والغزالي <sup>(٢)</sup> .

وفصل شيخ الإسلام ابن تيمية أكثر في بيان مخالفة كثير من الأشعرية لمذهب أبي الحسن الأشعري فقال : « ولا ريب أن أئمة الأشعرية وهم الذين كانوا أهل العراق : كأبي الحسن الكبير وأبي الحسن الباهلي وأبي عبد الله بن مجاهد

---

(١) ولا يعني شيخ الإسلام أن ذلك في مرحلته السنية . وانظر ما أثبتته في ص / ٦٦٤ ، وما أخذ عليه في ص / ٣١ .

(٢) انظر ما يثبته أهل هذه المرتبة في ص / ٥٠٢ . وانظر قول الغزالي في ص / ٦٧٨ ، وما نسب إليه في ص / ٥١٣ . وانظر كلام الرازي في جعله تعلقات صفات المعاني من النسب الإضافية فقط — بمعنى أنها ليست حقيقية في ص / ٥٠٦ .

وصاحبه القاضي أبي بكر، وأبي علي بن شاذان<sup>(١)</sup>، ونحوهم، لم يكونوا في  
النفي كأشعرية خراسان مثل أبي بكر بن فورك ونحوه، بل زاد أولئك في النفي  
أشياء على مذهب أبي الحسن ونقصوا من إيجاباته أشياء<sup>(٢)</sup>. وهذا ما سيأتي  
بيانه عند ذكر قاعدتي الإثبات والنفي عند الأشاعرة إن شاء الله.

ومصدق ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ما ذكره إمام الحرمين عبد الملك  
الجويني الخراساني حيث قال: «ذهب بعض أئمتنا إلى أن اليدين والعين والوجه  
صفات ثابتة للرب تعالى، والسبيل إلى إثباتها السمع دون قضية العقل، والذي  
يصح عندنا حمل اليدين على القدرة وحمل العين على البصر وحمل الوجه على  
الوجود»<sup>(٣)</sup>.

وإذا تتبعنا ما قاله الأشعري والباقلاني وجدناهما قد أثبتا هذه الصفات لله  
تعالى، وذلك كما في الإبانة لأبي الحسن الأشعري<sup>(٤)</sup> والتمهيد للقاضي أبي بكر  
الباقلاني<sup>(٥)</sup> ولذلك قال الجويني في مطلع حديثه: «ذهب بعض أئمتنا»  
والمقصودون بالحكم في هذا الكتاب هم أهل المرتبتين الثانية والثالثة من  
الدرجة الثالثة من درجات الجهمية.

فبالنظر إلى معنى اصطلاح أهل السنة العام - أي ما يقابل الشيعة -

(١) أبو علي الحسن بن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن شاذان البغدادي المسند الأصولي الأشعري -  
ولد سنة (٣٣٩ هـ) وتوفي سنة (٤٢٥ هـ) انظر: تبين كذب المفتري ص / ٢٤٥ - وسير  
اعلام النبلاء ١٧ / ٤١٥.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢ / ٣٤٤.

(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص / ١٤٦.

(٤) سيأتي النقل عنه إن شاء الله ص / ٦٦٤.

(٥) قال في كتابه تمهيد الاوائل ص / ٢٩٥ «باب في أن لله وجهاً ويدين» ثم سرد أدلته ورد  
على من أول الصفيتين من ص / ٢٩٥ - ٢٩٨.

فالأشاعرة من أهل السنة والجماعة لقولهم بخلافة الأربعة رضي الله عنهم. وأما بالنظر إلى المعنى الأخص - أي السنة المحضة - فهم على ثلاث مراتب : فمن كان منهم على اعتقاد الأشعري في مرحلته الأخيرة السنية فمعدود في أهل السنة والجماعة .

ومن كان أكثر إثباتاً وإنما أثر عنه نفى يسير كالبيهقي مثلاً فهو أقرب إلى أهل السنة .

ومن لم يقل بذلك وأظهر مع ذلك مقالة تناقض اعتقاد الأشعري في آخر مراحلها فهو إلى الجهمية أقرب منه إلى أهل السنة المحضة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « أقرب هؤلاء الجهمية : الأشعرية ... وكانوا ( أي السلف ) يقولون : إن المعتزلة مخانيثُ الفلاسفة ، والأشعرية مخانيثُ المعتزلة ، وكان يحيى بن عمار <sup>(١)</sup> يقول : المعتزلة الجهمية : الذكور ، والأشعرية الجهمية : الإناث . ومرادهم : الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية .... وأما من قال منهم بكتاب الإبانة الذي صنفه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك ، فهذا يعد من أهل السنة . ولكن الانتساب إلى الأشعرية بدعة لا سيما وذلك يوهم حسن الظن بكل من انتسب هذه النسبة ، وينفتح بذلك أبواب شر » اهـ <sup>(٢)</sup> .

---

(١) أبو زكريا السجستاني الإمام الحافظ المحدث - كان شديداً على المبتدعة - توفي سنة

(٤٢٢هـ) انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤٨١ .

(٢) الرسالة المدنية ، من ص / ٣٦ إلى ص / ٣٩ .

## الفصل الرابع : تعريف كلمة منهج

المنهج والمنهاج في أصل الوضع اللغوي يعني : الطريق الواضح <sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾ <sup>(٢)</sup>

ولا شك أن الأنبياء قد اتفقوا على توحيد الله جل وعلا وما يتعلق بأمور الاعتقاد، ولكل نبي ما يختص به من فروع الأحكام وتفاصيلها. فقوله : ( شرعة ومنهاجاً ) : أي : سبيلاً وسنة .

وأحسن ما قيل في الفرق بين كلمتي : ( شريعة ) و ( منهاج ) هو أن : « الشريعة هي ما يُبتدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ، أي ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة : وهي ما يُشرع فيها إلى الماء ، أما المنهاج : فهو الطريق الواضح السهل » <sup>(٣)</sup> اهـ .

فظهر من هذا أنه إذا قيل منهج أو منهاج شيء ما فإنه تدخل تفصيلات ذلك الشيء دخولاً أولاً أساسياً فيه لا الأمور الكلية فحسب .

ولكن هذه الكلمة صارت عند المتأخرين تطلق إطلاقاً محدثاً ويراد بها : الخطة المرسومة كمنهج الدراسة ومنهج التعليم <sup>(٤)</sup> وقد يلاحظ فيها معنى :

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة ٣٦١ / ٥ ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٨٢٥ والقاموس المحيط ص ٢٦٦ مادة : ( نهج ) .

(٢) سورة المائدة - الآية : ٤٨

(٣) هذا النص قاله الحافظ ابن كثير الدمشقي في تفسيره ٦٦ / ٢ ونقل نحوه الشوكاني في تفسيره فتح القدير ٤٨ / ٢ عن أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، في تفسير آية المائدة : ٤٨ .

(٤) انظر المعجم الوسيط ٩٥٧ / ٢ . مادة : ( نهج )



الأساليب والخطوات ، فإنه إذا قيل مثلاً : منهج الدعوة فالمراد طرقها وأساليبها وخطواتها ... وهكذا ...

وعلى العموم فقد حاولت في هذا الكتاب أن أراعي أصل الوضع اللغوي والاصطلاح المحدث ، فقد بينت في هذا الكتاب منهج الطائفتين في المسائل الكلية التي هي أشبه بالقواعد العامة ، وفي الأدلة الكلية كذلك <sup>(١)</sup>

ففي المسائل أبحث عن تصورهما العام لتوحيد الأسماء والصفات - مثلاً - فأعرف بهما مع ذكر طريقتهما - أي منهجهما - فيهما إثباتاً وتنزيهاً - ولا أتناول الأسماء اسماً اسماً ، ولا الصفات صفة صفة . ولكن لا يخلو البحث عن بعض التطبيقات أحياناً . وأما الأدلة فهي كذلك أبحث فيها من حيث الجملة - فإنني أبين الأدلة المتبعة - من حيث نوعها - لتقرير كل نوع من أنواع التوحيد ...

---

(١) وينبغي أن يلاحظ أن كلمة منهج مطلقة تشمل المسائل العامة في العلم المبحوث عنه - وتشمل الأدلة كذلك - ومن أراد أن يقيد ذلك قيده وقد استعملتها هنا في هذا الكتاب على إطلاقها وعمومها ، وأيضاً فإن هذا العلم - أعني أصول الدين - يبحث فيه عن مسائله وعن أدلته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وذلك أن أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب اعتقادها قولاً أو قولاً وعملاً : كمسائل التوحيد ، والصفات ، والقدر ، والنبوة ، والمعاد ، أو دلائل هذه المسائل » اهـ . مجموع الفتاوى ٣ / ٢٩٥ .

# الباب الأول

## منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الألوهية

وفيه فصلان:

الفصل الأول: منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية.

والفصل الأول فيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الألوهية.

المبحث الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في أدلة توحيد الألوهية.

## المبحث الأول

منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الألوهية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة توحيد الألوهية: وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: تعريف كلمة (إله)

المسألة الثانية: تعريف العبادة وبيان إطلاقاتها

المسألة الثالثة: أركان وشروط العبادة.

المسألة الرابعة: بيان مستحق العبادة

المسألة الخامسة: السبب الذي تستحق به العبادة.

المسألة السادسة: تعريف توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: شروط الانتفاع بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله.

المطلب الثالث: منزلة توحيد الألوهية.

المطلب الرابع: الشرك في الألوهية: وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: قبح الشرك وخطره.

المسألة الثانية: حقيقة الشرك، وأنواعه، وبعض مظاهره.

المسألة الثالثة: أصل المشركين وأسباب الشرك.

المسألة الرابعة: حماية الرسول ﷺ للتوحيد بتحريم وسائل

الشرك وطرقه.

## المطلب الأول

### حقيقة توحيد الألوهية

وهذا المطلب فيه ست مسائل:

#### المسألة الأولى: تعريف كلمة (إله)

لما كان تعريف توحيد الألوهية متوقفاً على معرفة كلمتي (التوحيد) و (الألوهية) كان لابد من شرح هاتين الكلمتين، وقد تقدم بيان معنى كلمة (التوحيد) سابقاً<sup>(١)</sup> وأما الألوهية فهي مصدر إله ياله، قال الجوهري<sup>(٢)</sup>: «إله - بالفتح - إلهة، أي عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذكر وإلهتك)<sup>(٣)</sup> بكسر الهمزة قال وعبادتك<sup>(٤)</sup> وكان يقول: إن فرعون كان يُعبد في الأرض<sup>(٥)</sup> ومنه قولنا: (الله) وأصله: (إله) على فعال بمعنى مفعول أي معبود، كقولنا: إمامٌ فعالٌ: لأنه مفعول أي مؤتم به<sup>(٦)</sup>» ١ هـ.

(١) انظر: ص: ١٤.

(٢) هو أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي، إمام في اللغة، صاحب كتاب الصحاح - وله مقدمة في النحو، توفي متردياً من سطح داره بنيسابور سنة (٣٩٣ هـ) انظر: معجم الأدباء ١٥١/٦ وسير اعلام النبلاء ٨٠/١٧

(٣) سورة الأعراف الآية: ١٢٧

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٤/١

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٤/١ ولفظه: (إنما كان فرعون يُعبد ولا يُعبد)

(٦) الصحاح للجوهري ٢٢٢٣/٦ مادة (إله) وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص: ٢٦.

وعلى هذا فإن الألوهية صفة لله تعالى تعني استحقاقه جل وعلا للعبادة بما له من الأسماء والصفات والمحامد العظيمة <sup>(١)</sup> ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما «الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين» <sup>(٢)</sup> اهـ.

### المسألة الثانية: تعريف العبادة وبيان إطلاقاتها.

#### الفرع الأول: تعريف العبادة:

لما رجعت مادة أَلِه يَأَلِه إِلَاهَةً من حيث المعنى إلى عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، كان لابد من بيان معنى العبادة، وهي مع وضوحها فقد جهل معناها كثير من المتأخرين، فلزم بيانها بياناً واضحاً:

**فالعبادة:** الطاعة مع الخضوع – قال الراغب: <sup>(٣)</sup> «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل» <sup>(٤)</sup>

---

(١) انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين ص: ١١

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٤/١.

(٣) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني. إمام في اللغة وينسب إلى الأشعرية

ويقال إنه معتزلي – وهو بعيد – من تصانيفه: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات ألفاظ

القرآن، توفي سنة (٤٢٥ هـ) انظر: دراسة وإقية له لصفوان داودي في مقدمة طبعته لكتاب

المفردات، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٨/١٢٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن: ص: ٥٤٢.

وقال الزجاج <sup>(١)</sup> « ومعنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع » <sup>(٢)</sup> وقال  
الجوهري « أصل العبودية : الخضوع والتذلل » <sup>(٣)</sup>

ومن التعريف اللغوي السابق يمكن أن يقال عن العبادة الشرعية إنها : الانقياد  
والخضوع لله تعالى على وجه التقرب إليه بما شرع مع المحبة .

### الفرع الثاني : بيان إطلاقات العبادة :

للعبادة معانٍ بحسب ما تتعلق به ، وبحسب كونها مصدراً أو اسماً ،  
وبحسب المتوجّه بها إليه ، وبحسب ما يُلاحظ فيها من حق ، فهذه أربعة  
إطلاقات :

#### الإطلاق الأول : إطلاقات العبادة بحسب ما تتعلق به :

فالعبادة من حيث تعلقها بعموم الخلق وخصوصهم تنقسم إلى عبادة عامة  
كونية وإلى خاصة شرعية <sup>(٤)</sup>

فالعبادة العامة : هي عبادة القهر والملك وهي تشمل أهل السموات والأرض  
كلهم مؤمنهم وكافرهم ، فالجميع عبيد مريبون لله قال الله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البغدادي من شيوخه المبرد ، له تصانيف منها : معاني القرآن ،

توفي سنة ( ٣١١ هـ ) انظر طبقات النحويين واللغويين ص : ١١١ ، وسير أعلام النبلاء

٣٦٠ / ١٤

(٢) لسان العرب ٣ / ٢٧٣ ، مادة : « عبد »

(٣) لسان العرب ٣ / ٢٧١ ، مادة : « عبد »

(٤) انظر : مدارج السالكين ١ / ١٢٥ .

الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴿<sup>(١)</sup>﴾ وقد ذكر ابن القيم <sup>(٢)</sup> أن هذا النوع يأتي على خمسة أوجه <sup>(٣)</sup> وهي :

١- إما منكرأ كما في الآية المذكورة سابقاً .

٢- أو معرُفاً باللام ، كقوله تعالى : ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ <sup>(٤)</sup>

٣- أو مقيداً بإشارة أو نحوها ، كقوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما

يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا

السبيل ﴾ <sup>(٥)</sup>

٤- أو أن يُذكرُوا في عموم عباده فيندرجوا مع أهل طاعته في الذكر ، كقوله

تعالى : ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ <sup>(٦)</sup>

٥- أن يُذكرُوا موصوفين بفعلمهم كقوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ <sup>(٧)</sup>

---

(١) سورة مريم الآيات : ٨٨ - ٩٣

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي - المعروف بابن قيم الجوزية - الإمام العلامة الحافظ برع

في علوم كثيرة - ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية مدة طويلة . ولد سنة ( ٦٩١ هـ ) وتوفي سنة

( ٧٥١ هـ ) انظر : البداية والنهاية ١٤ / ٢٤٦

(٣) انظر : مدارج السالكين ١ / ١٢٦ .

(٤) سورة غافر الآية : ٣١ .

(٥) سورة الفرقان الآية : ١٧ .

(٦) سورة الزمر الآية : ٤٦ .

(٧) سورة الزمر الآية : ٥٣ .

وهذا المثال المذكور في الوجه الخامس لا يسلم من اعتراض كما قال ابن القيم نفسه : « وقد يقال : إنما سماهم عباده إذا لم يقنطوا من رحمته وأنابوا إليه واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم فيكونون من عبيد الإلهية والطاعة » <sup>(١)</sup> اهـ .

وأما العبادة الخاصة الشرعية ، فهي عبادة الطاعة والخضوع والذل والمحبة الاختيارية ، وهي خاصة لمن وفقه الله من المكلفين من الأنبياء والمرسلين وعامة المؤمنين بهم .

ومن الآيات الواردة فيها قول الله تعالى : ﴿ يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ <sup>(٣)</sup> والآيات في هذا المعنى كثيرة .

#### الإطلاق الثاني : إطلاق العبادة بحسب الاسمية والمصدرية :

فالعبادة باعتبارها مصدراً تعني التعبد ، وهو فعل العابد <sup>(٤)</sup> وتعريفها : « التذلل لله محبة وتعظيماً بفعل أو امره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه » <sup>(٥)</sup> اهـ .

---

(١) مدارج السالكين ١/ ١٢٧

(٢) سورة الزخرف الآية : ٦٨ .

(٣) سورة الزمر الآيتان : ١٧ ، ١٨

(٤) انظر : تقريب التدمرية لابن عثيمين ص : ١٢٩

(٥) هذا التعريف لابن عثيمين في المجموع الثمين من فتاويه ٢/ ٢٥٠ .



وأما باعتبارها اسماً، فهي تعني : المتعبد به <sup>(١)</sup> وتعريفها: « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة » <sup>(٢)</sup>

ومن التعريف المذكور في معنى العبادة باعتبارها اسماً يتضح أن للعبادة أربع مراتب وهي: قول القلب ، وقول اللسان ، وعمل القلب ، وعمل الجوارح ، وهذا معنى قوله : « من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة » وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال :

« قول القلب : هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وملائكته ولقائه على لسان رسوله .

وقول اللسان : الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له ، والقيام بذكره وتبليغ أوامره .

وعمل القلب : كالحجة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه ، والموالة فيه والمعاداة فيه ، والذل له ، والخضوع ، والإخبات إليه والطمأنينة به ، وغير ذلك من أعمال القلوب ، التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح ، ومسحبها أحب إلى الله من مستحبها ، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة .

وأعمال الجوارح : كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ،

---

(١) انظر: تقريب التدمرية لابن عثيمين ص : ١٢٩ .

(٢) هذا التعريف لشيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية ضمن مجموعة التوحيد ٤٥٤/٢

ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك. » <sup>(١)</sup> اهـ .

فظهر من هذا أن جميع أمور الديانة من الاعتقادات والإرادات والأقوال والأعمال داخلية في مسمى العبادة .

ولما جهل كثير من المتأخرين حقيقة العبادة على الوجه المذكور أعلاه كان من الأفضل زيادة البيان لبعض أنواع العبادة بذكر أمثلة لها - خاصة المتنازع فيها - مع نقل أقوال الأئمة الأعلام وبيانهم أنها من العبادة وأن صرفها لغير الله لا يجوز .

ومن هذه الأمثلة : الاستعاذة والاستغائة والحلف . <sup>(٢)</sup>

فالاستعاذة : طلب العوذ - وهي الالتجاء إلى الله تعالى من الشر لإزالته أو دفعه <sup>(٣)</sup> . والاستغائة : طلب الغوث، وهي : إزالة الشدة ، كالاستنصار وهو طلب النصر . ولا خلاف في أنه تجوز الاستغائة بالخلق فيما كان قادراً عليه من الأمور <sup>(٤)</sup> ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ <sup>(٥)</sup> وقوله : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ١٢٠-١٢١ . وانظر تطهير الاعتقاد ص ١١

(٢) وسيأتي في ص / ١٤٦ - الكلام عن الخوف والرجاء والدعاء والتخشع والتذلل والتضرع وبيان أنها من العبادات من كلام بعض علماء الأشاعرة المتقدمين حتى يعلم المتأخرون منهم ما كان عليه سلفهم في توحيد الألوهية .

(٣) انظر : فتح المجيد ص : ١٧٣

(٤) انظر : فتح المجيد ص : ١٧٦ ، والدر النضيد للشوكاني ص / ١٤٤ .

(٥) سورة الأنفال - الآية : ٧٢

(٦) سورة القصص - الآية : ١٥

وأما ما لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنوب وإنزال الرزق وكل ما هو من خصائص الربوبية فلا يستغاث فيه إلا بالله جل وعلا . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٢)</sup>

والاستعاذة والاستغاثة نوعان من أنواع الدعاء - والدعاء عبادة كما أخبر الرسول ﷺ بقوله : ( الدعاء هو العبادة ) <sup>(٣)</sup> ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، ومن أقوال أهل العلم في أن الدعاء عبادة :

---

(١) سورة الأنفال - الآية : ٩

(٢) سورة فاطر - الآية : ٣

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ وأبو داود في سننه كتاب الصلاة - باب - ٣٥٨ - الدعاء - ١٦١ / ٢ - رقم : ١٤٧٩ - والترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن باب - ٤٢ من سورة المؤمن ٥ / ٣٧٤ برقم : ٣٢٤٧ - وفي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء - ٥ / ٤٥٦ برقم : ٣٣٧٢ - وقال في الموضعين : « هذا حديث حسن صحيح » وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الدعاء باب فضل الدعاء - ١٢٥٨ / ٢ - برقم : ٣٨٢٨ والحاكم في مستدركه ١ / ٦٦٧ - كتاب الدعاء - برقم : ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٤ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي - ثم أخرج عن ابن عباس موقوفاً قوله ( أفضل العبادة هو الدعاء ) وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٤) سورة غافر الآية : ٦٠ .

« قال نعيم بن حماد <sup>(١)</sup> في كتابه الرد على الجهمية: <sup>(٢)</sup> دلت هذه الأحاديث <sup>(٣)</sup> على أن القرآن غير مخلوق ، إذ لو كان مخلوقاً لم يُستعذبها ، إذ لا يُستعاذ بمخلوق ، قال الله تعالى : ﴿ فاستعذ بالله ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال النبي ﷺ ( وإذا استعذت فاستعذ بالله <sup>(٥)</sup> ) . » اهـ

وهذا الكلام ساقه نعيم بن حماد ليدلل على أن القرآن غير مخلوق ، وحيثه في ذلك ما ورد في الاستعادة بكلمات الله وأسمائه الحسنى ، فلو كانت مخلوقة لما جازت الاستعادة بها وهذا يؤكد أن هذه المسألة - وهي عدم جواز الاستعادة بغير الله - كانت معلومة عند الموافق والمخالف ، وإلا لما أوردوها عليهم .

( ١ ) هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي المروزي أحد أئمة السنة ، له كتاب في الرد على الجهمية ، وكان ثقة صدوقاً في نفسه وتكلموا في ضبطه - توفي سنة ( ٢٢٩ هـ ) انظر : الجرح والتعديل ٤٦٢ / ٨ - وتاريخ بغداد ٣٠٦ / ١٣ - وسير أعلام النبلاء ٥٩٥ / ١٠ .

( ٢ ) لم أقف على هذا الكتاب - ونقلت كلامه هذا بواسطة ابن حجر في فتح الباري ٣٩٣ / ١٣ - وقد أورد عنه الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد ص / ١٤٣ كلاماً نحو هذا فقال : « وقال نعيم بن حماد الخزاعي : لا يستعاذ بالمخلوق وبكلام العباد والجن والإنس والملائكة وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه مخلوق » اهـ .

( ٣ ) ويعني بها أحاديث الاستعادة بكلمات الله والسؤال بأسمائه ، كحديث ( أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ) . وحديث ( باسم الله أرقيك ) فالأول عند أبي داود برقم ٣٨٩٨ وصححه النووي في الأذكار ص : ١٢٧ - والثاني عند مسلم برقم ٢١٨٦

( ٤ ) ورد هذا الجزء من الآية في عدة آيات من السور : الأعراف : ٢٠٠ - النحل : ٩٨ - غافر : ٥٦ - فصلت : ٣٦ .

( ٥ ) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، ولكن في وصية النبي ﷺ لابن عباس : ( إذا سألت الله وإذا استعنت فاستعن بالله ) ما يعني عنه : إذ الاستغاثة والاستعادة داخلة في عمومه . والوصية مخرجة في ص / ١١٩ .

ونظير هذا الاستدلال وهذا القول : قول ابن خزيمة: <sup>(١)</sup> فإنه قال : « أفليس العلم محيطاً يا ذوي الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق الله من شر خلقه؟ هل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي : أعوذ بالكعبة من شر خلق الله؟ أو يجيز أن يقول الداعي : أعوذ بالصفاء والمروة ، أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق الله؟ هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله ، محال أن يستعيز مسلم بخلق الله من شر خلقه » <sup>(٢)</sup> ١ هـ .

وقد أورد الإمام البخاري <sup>(٣)</sup> في كتابه الصحيح باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ضمن كتاب التوحيد ، ثم ساق فيه تسعة أحاديث ، ومقصوده بهذه الترجمة : إثبات أن أسماء الله تعالى غير مخلوقة ، لأنه قد وردت الاستعاذة بها والسؤال بها ، لأن المخلوق لا يستعاذ به ولا يسأل به .

ويؤكد صحة هذا المعنى الذي تدل عليه ترجمته هو أنه أورد في الباب تسعة أحاديث وتاسعها لفظه : ( لا تحلفوا بآبائكم ومن كان حالفاً فليحلف بالله ) <sup>(٤)</sup>

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي الملقب بإمام الأئمة أحد الحفاظ المتقنين - وكان صاحب سنة ولد سنة (٢٢٣ هـ) وتوفي (٣١١ هـ) انظر : الجرح والتعديل ١٩٦/٧ - وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٦٥ وطبقات السبكي ٣/١٠٩

(٢) التوحيد لابن خزيمة ١/٤٠١-٤٠٢ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - أمير المؤمنين في الحديث - وهو صاحب أصح كتاب في الحديث توفي سنة (٢٥٦ هـ) بعد أن عاش (٦٢) عاماً . انظر سير أعلام النبلاء ١٣/٣٩١ .

(٤) صحيح البخاري انظره مع شرحه فتح الباري ١٣/٣٩٠-٣٩١ .

وقد قال في كتابه خلق أفعال العباد: <sup>(١)</sup> « وليس لأحد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض والواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحوها مرة بعد مرة، وإن حلف فلا يمين عليه لقول الله عز وجل ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ <sup>(٢)</sup> . »

فهذا نص واضح من الإمام البخاري يفيد أن الحلف بغير الله يعتبر شركاً، وإيراده حديث الأمر بالحلف بالله وحده في باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها يدل على أنه يرى عدم جواز السؤال والاستعاذة بغير الله تعالى ، وهذا واضح .

### والإطلاق الثالث للعبادة :

هو باعتبار المتوجه بها إليه : فمن توجه بعبادته لله تعالى كانت هذه العبادة توحيداً ، ومن توجه بها إلى غير الله كانت شركاً ، فمن الثاني يقول الله جل وعلا فيمن دعا غيره : ﴿ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ <sup>(٣)</sup> فدعائهم لغير الله عبادة لهم ، وسماها الله تعالى شركاً ، وهكذا كل عبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك إذا توجه بها صاحبها إلى الله تعالى كان ذلك توحيداً ، وإذا صرفها إلى غير الله تعالى كانت شركاً .

---

(١) خلق أفعال العباد ص : ١٥٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

(٣) سورة فاطر الآيتان : ١٣-١٤ .

**الإطلاق الرابع للعبادة :** باعتبار ما يلاحظ فيها من حق : فإن العبادة قد تطلق على معنى أخص وهو ما يقابل المعاملات ، ولذلك فإن الفقهاء في كتب الفقه يدرجون أبواباً في قسم العبادات وهي : الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وما عداها في باب المعاملات وهذا لا يعني أن العبادات منحصرة في المذكورات فقط بل تشمل غيرها ، بل إن المعاملات نفسها داخلة في مسمى العبادة العام وذلك من جهة التزامها وفق الشرع .

### **المسألة الثالثة : أركان وشروط العبادة :**

من التعريف الشرعي السابق لكلمة العبادة يتضح أن لها ركنين وهما : كمال الخضوع والذل ، وكمال المحبة وشرطها : الاتباع .

### **الركن الأول وهو : كمال الخضوع والذل :**

وهو أن يستكين العبد لله تعالى ويخضع له ويذل . والذل له أربع مراتب كما ذكر ابن القيم :

« **المرتبة الأولى :** مشتركة بين الخلق ، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله ، فأهل السموات والأرض جميعاً محتاجون إليه فقراء إليه ، وهو وحده الغني عنهم ، وكل أهل السموات والأرض يسألونه وهو لا يسأل أحداً . **المرتبة الثانية :** ذل الطاعة والعبودية ، وهو ذل الاختيار وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية . **المرتبة الثالثة :** ذل المحبة ، فإن المحب ذليل بالذات ، وعلى قدر محبته له يكون ذله .

والمرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية. فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع: كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يدل له خوفاً وخشية، ومحبة وإنابة، وطاعة وفقراً وفاقة» (١) اهـ .

وأما الركن الثاني وهو: كمال المحبة — فإن الذي يدل على اعتبار كمال الحب مع كمال الذل هو أن أصل التآله: التعبد وهو كما يقول ابن القيم: «التعبد آخر مراتب الحب، يقال: عبَّده الحب وتَّيمه إذا ملكه، وذلك لمحبو به» (٢) اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف من يحب من لا يخضع له، بل يحبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من يخضع لمن لا يحبه كما يخضع للظالم، فإن كُلاً من هذين ليس عبادة محضة» (٣) اهـ .

ومما يدل على أن هذا الحب ركن لا بد منه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (٤)

قال ابن القيم: « فأخبر أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٢٢٤

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٨

(٣) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل ٢/ ٢٨٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .



فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحداً من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية، بخلاف ند المحبة<sup>(١)</sup> اهـ. فإذا تبين هذا علم أن أفراد الله بالمحبة أصل العبادة ، وهذا يستلزم أن يكون الحب كله لله ولأجله وفيه<sup>(٢)</sup>.

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حقيقة حب الله وما يحب لله فيقول : « وكل ما أمر الله أن يُحَبَّ وَيُعْظَمُ فإنما محبته وتعظيمه لله ، فالله هو المحبوب المعظم في المحبة والتعظيم ، والمقصودُ المُستقر الذي إليه المنتهى ، وأما ما سوى ذلك فيُحَبُّ لأجل الله ، أي لأجل محبة العبد لله يحب ما أحبه الله ، فمن تمام محبة الشيء محبة محبوب المحبوب وبغض بغضه ، ويشهد لهذا الحديث «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» .<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(١) مدارج السالكين ٣ / ٢١ .

(٢) انظر: مدارج السالكين ١ / ١١٩

(٣) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل ٢ / ٢٨٧-٢٨٨

(٤) ورد هذا الحديث عن خمسة من الصحابة وأحسن ذلك ما روي عن ابن مسعود والبراء بن عازب ، وأحسن ما روي عن ابن مسعود فهو عند الطبراني في الكبير ١٠ / ٢١١-٢١٢ برقم : ١٠٣٥٧ وقال الهيثمي : « رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بكير بن معروف وثقه أحمد وغيره وفيه ضعف » ( مجمع الزوائد ٧ / ٢٦٠ - ٢٦١ ) أما طريق البراء بن عازب فأخرجها أبو داود الطيالسي في مسنده ص ١٠١ وأحمد في المسند ٤ / ٢٨٦ - وابن أبي شيبه في الإيمان ص ٣٦ - برقم ١١٠ - وهذا وإن كان فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف إلا أنه يعتضد بما قبله فيكون الحديث حسناً - وقد حسنه الألباني في الإيمان لابن أبي شيبه ص ٤٥ / وانظر تخريجاً موسعاً للحديث في النهج السديد من ١٨٢-١٨٠ .

وشرط صحة المحبة: المتابعة التي لا بد فيها من الصدق والإخلاص. وما يدل على أن اتباع أمر المحبوب واجتناب نهيه لازم للمحبة قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ <sup>(١)</sup> فجعل الله تعالى اتباعهم لرسوله ﷺ علامة على صدق محبتهم لله، وجعل حبه لهم مشروطاً باتباعهم له، فعلم بهذا استحالة ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة للرسول ﷺ، وهذا يدل على أن المحبة مستلزمة للمتابعة <sup>(٢)</sup>

فإن لم تتحقق المتابعة والطاعة يكون مُدَّعِي المحبة كاذباً في دعواه محبة الله ويكون من الكافرين، وهذا المعنى هو ما قررته الآية التي تلي الآية التي تقدم ذكرها، وهي قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>(٣)</sup>

ومن العرض السابق يعلم أن للعبادة بمعنى التعبد شرطين هما: معرفة المعبود، ومعرفة دينه.

فأما الشرط الأول وهو: معرفة المعبود سبحانه وتعالى فهو واضح جداً، فإنه حتى يتحقق الذل والخضوع للمعبود فإنه يشترط أن تتحقق معرفته، والسبيل إلى ذلك هو العلم بما للمعبود سبحانه من الأسماء والصفات ومعاني الربوبية فإنه «لا تكون العبادة إلا مع المعرفة للمعبود» <sup>(٤)</sup>

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١

(٢) انظر : جامع البيان للطبري ٣/ ٣/ ٢٣٢ ومدارج السالكين ١/ ١١٩

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣٢

(٤) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٢١٥ .

وأما الشرط الثاني : وهو معرفة دينه - فإنه واضح من البيان المتقدم في شرط المحبة - فإن شرطها هو متابعة أوامر المعبود واجتناب نواهيه ، وأوامره ونواهيه هي دينه الذي أنزله ، ولا يمكن أن تتحقق المتابعة لدينه إلا بعد معرفته ، ولذلك كانت معرفة دين الله شرطاً في التعبد . وقد بين ابن القيم مراتب العلم بالله وبدينه بقوله : « فأما العلم به سبحانه فخمسة مراتب : العلم بذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وأسمائه ، وتنزيهه عما لا يليق به . والعلم بدينه مرتبتان : إحداهما : دينه الأمري الشرعي وهو الصراط المستقيم الموصل إليه ، والثانية : دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه ، وقد دخل في هذا العلم : العلم بملائكته وكتبه ورسله » (١) اهـ .

#### المسألة الرابعة : بيان مُستَحَقِّها :

الذي يستحق العبادة هو الله جل وعلا وحده دون غيره، فإن العبادة لا تكون إلا للخالق المنعم ، وسيأتي بيان السبب الذي استحق الله به العبادة دون ما سواه إن شاء الله . (٢)

قال الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وهذا أسلوب يفيد الحصر والاختصاص (٣) ، ومعنى هذه الآية مركب من أمرين : نفي وإثبات ، فالنفي : خلع جميع المعبودات بغير حق في جميع أنواع العبادات . والإثبات : إفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع ، فقوله : ﴿ إِيَّاكَ ﴾ يفيد

(١) مدارج السالكين ١ / ١٢٨ .

(٢) انظر : ص ٧١ .

(٣) انظر : شرح الكوكب المنير ٣ / ٥٢١ - وأضواء البيان ١ / ٤١ - ٤٢ .

الحصر: أي لا أحداً سواك ، وهذا هو النفي ، أما الإثبات ففي قوله : ﴿ نعبد ﴾ أي وحدك ، وهذا المعنى يستفاد من آيات كثيرة في القرآن ، منها قوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ﴾ <sup>(٢)</sup> فهذا إثبات ، ثم ذكر النفي في آخر الآية التالية : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ <sup>(٣)</sup> ومنها قوله : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ <sup>(٤)</sup> فالنفي في قوله : « فمن يكفر » والإثبات في قوله : « ويؤمن بالله » <sup>(٥)</sup> .

ومن الآيات الدالة على استحقاق الله للعبادة وحده دون ما سواه قول الله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنني يؤفكون ﴾ <sup>(٦)</sup> والمعنى كما قال ابن جرير <sup>(٧)</sup> : « فأي وجه يُصَرَّفُونَ عن عبادة الذي خلقهم ويُحَرِّمُونَ إصابة

(١) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢١ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(٥) انظر : أضواء البيان ١ / ٤١ - ٤٢ .

(٦) سورة الزخرف الآية : ٨٧ .

(٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمام الحافظ المفسر الفقيه - ولد سنة (٢٢٤ هـ) من

تأليفه : جامع البيان في التفسير ، وتبصير أولي النهى معالم الهدى في العقيدة ، توفي سنة

(٣١٠ هـ) انظر : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٦٧ .

الحق في عبادته !» (١)

وبالجملة فإن العبادة : « لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ». (٢)

### المسألة الخامسة : بيان سببها الذي تُستحقُّ به :

وأما سببها الذي تستحق به فهو الاتصاف بصفات الكمال والتنزه عن النقص فالله هو الخالق لجميع الخلق والمسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وكلهم مفتقرون إليه ويرغبون نعمته وفضله، فالحاجة والرغبة في نعمته وفضله يبعثان على الانقياد لله والخضوع له (٣) وبه يُعلم أن العبادة : « لا تستحق إلا بغاية الإنعام » (٤) وقال ابن كثير « إنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ، ولهذا قال : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ . (٥) » (٦) اهـ .

فلما كان هو المالك المتصرف في الأمور كيف شاء، كان له سبحانه أن يأمر بما يشاء وينهى ، وإنه سبحانه قد أمر بعبادته وحده لا شريك له ونهى عن عبادة غيره .

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ١٣/ ٢٥/ ١٠٦

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص / ٥٤٢

(٣) انظر: رسالة الشرك ومظاهره ص / ٨٨

(٤) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص / ٢١٥

(٥) سورة البقرة الآية ٢٢

(٦) تفسير ابن كثير ١/ ٥٧ .

ويدل على صحة ما ذكرته من السبب الذي تستحق به العبادة ما يذكره الله تعالى من أدلة دالة على استحقاقه وحده العبادة دون غيره ، ومن ذلك : بيان أنه الخالق الرازق المنعم ، وبيان أن غيره عاجز ضعيف لا يملك شيئاً ، وبيان أن الأمر كله له شرعاً وجزأً — كما سيأتي بيانه إن شاء الله (١)

وبهذا يتضح سبب وقوع بعض الناس في الشرك بالله تعالى ، وذلك لظنهم أن غير الله تعالى يكون منعماً بشيء استقلالاً أو له تأثير في التصرف ونحو ذلك فيقع في تعظيمه والخوف منه ورهبته ورجائه ، وتلك هي عبادته .

والأدلة الدالة على استحقاق الله تعالى العبادة والسبب الذي استحق به العبادة كثيرة ، وسأكتفي بذكر دليلين فقط — الأول : في أفضل سورة في القرآن ، والثاني : في أعظم آية في القرآن .

**فالدليل الأول** وهو سورة الفاتحة : فإن قول الله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ جاء بعد آيات تضمنت الحمد لله والثناء الحسن له ، وأنه رب العالمين المنعم عليهم بأنواع النعم التي لا تُحصَى ، وأنه الرحمن الرحيم بعباده ، والمجازي لهم يوم الدين ، فمجيء تلك الآية بعد هذه الآيات يدل على أن ما ذكر قبلها سبب في استحقاق الله جل وعلا للعبادة وحده دون سواه ، فإنه قد حمد نفسه بما له من الصفات العظيمة ، وبين أنه رب العالمين أي سيدهم وخالقهم ومربيهم ومدير أمرهم ، فله أن يأمرهم بما يشاء ، وبين أنه الرحمن الرحيم ، فهذان اسمان يبعثان على الرغبة فيما عند الله ، ويدفعان توهم بعض المشركين من أنه لا يمكن

---

(١) انظر : ص / ١٢٨ .

التقرب إلى الله إلا بواسطة لكثرة الذنوب والمعاصي، ثم بين ملكه ليوم الدين،  
فبيعت هذا على عبادة الله وحده لأنه هو المجازي وحده، وهو الذي يملك  
الشفاعة ولا يشفع عنده أحد إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

وأما الدليل الثاني وهو : آية الكرسي التي هي أعظم آية في القرآن - فإن  
فيها بيان استحقاق الله تعالى وحده للعبادة والسبب الذي استحق به العبادة -  
وبيان ذلك : أن الله تعالى بدأها بأنه هو المستحق للعبادة فقال : ﴿الله لا إله إلا  
هو﴾ ثم ذكر بعد ذلك من الصفات ما يدل على أنه بها قد استحق العبادة فقال :  
﴿الحي القيوم﴾ فالحي اسم دال على حياة الله الكاملة المقتضية كمال علمه  
وعزته وقدرته وغير ذلك من صفاته الذاتية ، و ﴿القيوم﴾ اسم دال على قيام  
الله بنفسه وقيامه بخلق الموجودات وإحكامها ورزقها وتديرها ثم قال :  
﴿لاتأخذه سنة ولا نوم﴾ فنفي هذه النقائص ليؤكد كمال ما ذكره من اسميه  
﴿الحي القيوم﴾ وهذا يقتضي الاعتماد على الله جل وعلا وحده كما قال :  
﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿أفمن هو قائم على كل نفس  
بما كسبت، وجعلوا لله شركاء ، قل سموهم﴾ <sup>(٢)</sup> والمعنى كما قال ابن جرير :  
«أفأرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمن  
لها ، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال ، رقيب عليهم لا يعزب عنه شيء أينما  
كانوا كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئاً ولا يدفع عن نفسه  
ولا عمن يعبده ضرراً ولا يجلب إليهما نفعاً كلاهما سواء ١٢» <sup>(٣)</sup> اهـ والمقصود

(١) سورة الفرقان الآية : ٥٨

(٢) سورة الرعد الآية : ٣٣

(٣) جامع البيان للطبري ٨/ ١٣/ ١٥٨-١٥٩

هنا ذم من أشرك بالله غيره وهو يعلم أن غيره لا يستحق العبادة ، وقد بين الله أنه هو وحده المستحق للعبادة بما ذكره من صفاته سبحانه . ثم بين الله ملكه لكل شيء في آية الكرسي فقال : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ قال ابن جرير : « وإنما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه ، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكة وليس له خدمة غيره إلا بأمره » <sup>(١)</sup> اهـ .

ثم قال الله تعالى بعدها ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ وفيه رد على زعم المشركين بعد إقرارهم ما تقدم في أول آية الكرسي من أن الله هو الخالق والمالك فرعموا : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ <sup>(٢)</sup> فبين الله تعالى أنه لا يشفع عنده أحد لأحد إلا بعد تخليته إياه من العذاب وإذنه بالشفاعة لمن يشفع له من رسله وأوليائه وأهل طاعته <sup>(٣)</sup> ثم قال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ والمقصود بيان وجوب إخلاص الدين لله تعالى الذي هو محيط بكل شيء علماً . ثم بين الله تعالى أن ما سواه لا يعلم شيئاً إلا إذا شاء تعليمه فقال : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ والمقصود بيان أن العبادة لا تنبغي لمن كان جاهلاً <sup>(٤)</sup> . وهكذا سياق الآية إلى آخرها ...

وعليه فإنه يعلم مما تقدم أن لاستحقاق الله وحده للعبادة دون سواه سببين :

**الأول :** اتصاف الله بجل وعلا بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص ،

(١) جامع البيان للطبري ٨/٣/٣

(٢) سورة الزمر الآية : ٣

(٣) انظر : جامع البيان للطبري ٨/٣/٣

(٤) انظر : جامع البيان للطبري ٩/٣/٣



ومن صفاته : إنعامه وإفضاله على خلقه الباعثان على الرغبة فيما عند الله والقيام بعبادته وشكره ، والخوف منه .

الثاني : أمره الشرعي ، قاله جل وعلا له الملك وله الأمر فهو مالك لخلقه يتصرف فيهم بأمره ، وقد أمرهم بعبادته وترك عبادة غيره .

### المسألة السادسة : تعريف توحيد الألوهية :

وهذه المسألة هي خاتمة مسائل حقيقة توحيد الألوهية ، فإنه إذا علم معنى كلمة ( توحيد ) ومعنى كلمة ( الألوهية ) ومعنى كلمة ( العبادات ) فإنه يكون المراد بتوحيد الألوهية : أفراد الله جل وعلا بالتعبد في جميع أنواع العبادات <sup>(١)</sup> . ويعبر بعض أهل العلم بالعبادة بدل التعبد ، ولا فرق ، إذ مراده بالعبادة معناها المصدري وهو التعبد . والتعبد له ركنان وشرطان لصحته ، أما الركنان : فغاية الخضوع والتذلل لله ، وكمال المحبة له . وأما الشرطان : فمعرفة المعبود - وهو الله سبحانه وتعالى - ، ومعرفة دينه الشرعي الجزائي ، والمقصود بالعبادات : ما يتعبد به لله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، ولها شرطان : المتابعة فيها - أي أن تكون وفق ما جاء به الرسول ﷺ ، والصدق والإخلاص لله جل وعلا فيها .

وهذا هو معنى شهادة ألا إله إلا الله - وتام تحقيقها بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ .

ومما يوضح أن التعريف السابق هو تعريف لشهادة ألا إله إلا الله قول الله

---

( ١ ) انظر : رسالة في معنى العبادة لأبي بطين ضمن مجموعة التوحيد ١ / ١٧٠ .

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ، وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> قال ابن جرير : « وقوله : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾ يقول تعالى ذكره : وجعل قوله ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ وهو قول لا إله إلا الله : كلمة باقية في عقبه ، وهم ذريته ، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده . » <sup>(٢)</sup> اهـ

وكلمات السلف كلها تدور حول هذا المعنى فمنهم من فسر الكلمة بشهادة ألا إله إلا الله ومنهم من فسرهما بالإسلام . <sup>(٣)</sup>

ولا خلاف بين القولين ، إذ الإسلام هو الاستسلام لله بالعبودية ، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد شيئاً سواه ، وهذا هو معنى لا إله إلا الله المتركبة من النفي والإثبات ؛ نفي عبادة ما سوى الله ، وإثبات العبادة لله وحده ، وهذان هما النفي والإثبات نفسهما الواردان في الآية ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ .

ويؤكد صحة هذا التفسير أن إبراهيم عليه السلام جعل الكلمة في بنيه بأمرين : الدعاء والوصية <sup>(٤)</sup> أما الدعاء - ففي قوله : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ

(١) سورة الزخرف الآيات ٢٦-٢٧-٢٨

(٢) جامع البيان للطبري ١٣/٢٥/٦٣

(٣) القول الأول اختاره مجاهد وقتادة والسدي ، والثاني هو اختيار ابن زيد . وانظر : أقوالهم في

جامع البيان للطبري ١٣/٢٥/٦٣ .

(٤) انظر : أضواء البيان ٧/٢٣١ .

الأصنام ﴿<sup>(١)</sup>﴾ فهذا تبري من عبادة ما سوى الله تعالى ، وهذا يستلزم إفراد الله جل وعلا وحده بالعبادة - ولذلك كان من دعائه : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ <sup>(٢)</sup> وأما الوصية ففي قوله : ﴿ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ <sup>(٣)</sup> فبين الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام وصى بنيه بالإسلام ، وكذلك يعقوب عليه السلام وصى بها بنيه وعهدوا بها إلى أولادهم من بعدهم ، ثم إن الله بيّن صيغة هذه الوصية بقوله : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ <sup>(٤)</sup> .

فهذا نص في أن الوصية هي الإسلام وهي قولهم : ﴿ نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ وبه يظهر ظهوراً جلياً أن الكلمة هي الإسلام - أي الاستسلام لله بالعبودية - وقد لخص ذلك ابن جرير الطبري بقوله « وهي الإسلام الذي أمر به نبيه ﷺ وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له » <sup>(٥)</sup> اهـ .

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٢٨ .

(٣) سورة البقرة الآيتان ١٣١-١٣٢ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٣٣ .

(٥) جامع البيان للطبري ١/١/٥٦٠ .

## المطلب الثاني

### شروط الانتفاع بكلمة التوحيد : لا إله إلا الله

لقد علم باتفاق أهل السنة والجماعة أن التلفظ بالشهادتين واجب إلا من عذر كالخرس - ويدل على هذا قول الرسول ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله »<sup>(١)</sup> . وإن مجرد النطق لا يكفي ، بل لا بد من شروط يجب تحقيقها مع النطق لينتفع قائلها بها - وهذه الشروط قد أوصلها أهل العلم إلى سبعة شروط وهي :

#### الشرط الأول : (٢)

العلم بمعناها ، وذلك في ركنيها ، النفي والإثبات ، أما النفي فيكون بنفي استحقاق غير الله للعبادة ، والإثبات بإثباتها لله وحده . كما قال تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾<sup>(٣)</sup> وصيغة الأمر دالة على الوجوب ، ومعنى الآية : اعلم يا رسولنا أنه لا معبود تنبغي له العبادة منك ومن الخلق إلا الله تعالى الذي

---

(١) الحديث متفق عليه - أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان - باب ١٧ / ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ بـ رقم ٢٥ ( صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١/ ٩٤-٩٥ ) وأخرجه مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان باب ٨ - الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ١/ ٥١-٥٣ بـ رقم ٢١ واللفظ له .

(٢) انظر هذا الشرط في فتح المجيد ص/ ٥٦ ، ٦٣ ومعارض القبول ١/ ٣٧٨ والكواشف الجليلة ص: ٣٥ .

(٣) سورة محمد الآية : ١٩ .

خلق الخلق<sup>(١)</sup> ، وقال رسول الله ﷺ « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »<sup>(٢)</sup> فشرط لدخول الجنة العلم بلا إله إلا الله والبقاء على ذلك حتى الموت .

وليس المراد بالعلم هنا مجرد تصور الشيء وإدراكه ومعرفته دون عقد القلب والانقياد ، بل لابد أن يستقر هذا العلم في القلب على وجه اليقين مع الانقياد ، وذلك أن العلم علمان :<sup>(٣)</sup> علم نظري معرفي فقط كالعلم بموجودات العالم ، وعلم عملي بمعنى أنه لا يتم هذا العلم إلا بالعمل به كالعلم بسائر العبادات ومنها الشهاداتتان .

ومع أن المراد من العلم هنا : المعرفة اليقينية المستلزمة للانقياد والمحبة ونحو ذلك ، إلا أن أهل العلم قد نصوا على هذه الشروط على وجه التفصيل لأهميتها وشدة خطرها ، فمن هذه الشروط :

#### الشرط الثاني :<sup>(٤)</sup>

اليقين ، وهو من صفة العلم ومعناه : « سكون الفهم مع ثبات الحكم »<sup>(٥)</sup>

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٣/٢٦/٥٣ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب ١٠ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً - ١/٥٥ - رقم ٢٦ .

(٣) انظر : المفردات للراغب ص : ٥٨٠ .

(٤) انظر هذا الشرط في فتح المجيد ص : ٦٣ وص : ٥٦ ومعارج القبول ١/٣٧٨ والكواشف الجلية ص : ٣٥ .

(٥) المفردات للراغب ص : ٨٩٢ .

والمقصود أن يستيقن قائلها بمدلولها يقيناً جازماً لاشك معه ولا ارتياب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> والريب ضد اليقين ، واشترط اليقين وترك ضده - وهو الريب - في الإيمان ظاهر من الآية .

ويدل لهذا من السنة قول الرسول ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه : « من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة » <sup>(٢)</sup> وقوله : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة » (وفي رواية) : لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة » <sup>(٣)</sup> .

#### الشرط الثالث : <sup>(٤)</sup>

الصدق : وهو « مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً » <sup>(٥)</sup> فإذا تكلم الإنسان بكلمة التوحيد وكان قوله مطابقاً لما في قلبه سمي صادقاً ، فهذان شرطان : مطابقة القول للحق في نفس الأمر ، والثاني : مطابقة القول الحق لما في

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٥ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٩-٦٠ كتاب الإيمان باب ١٠ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً رقم ٣١ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٥٦-٥٧ كتاب الإيمان باب ١٠ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً - رقم : ٢٧ .

(٤) انظر هذا الشرط في فتح المجيد ص : ٦١ ومعارج القبول ١/ ٣٨١ والكواشف الجليلة ص : ٣٦ .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص : ٤٧٨ .

الضمير والقلب ، فإذا اختل الشرط الأول كان القول كذباً ظاهراً ، وإذا اختل الشرط الثاني لم يكن القائل صادقاً تام الصدق ، وإنما يصح أن يوصف بالصدق من وجه وبالكذب من وجه آخر ، ويوضحه قول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> فالمنافقون تكلموا بمخبر عنه وهو : ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ وهذا القول حق وصدق لذلك أكدته الله بقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ثم بين كذبهم لعدم مطابقة قولهم ما في قلوبهم : والمطابقة التي في الضمير تتضمن الانقياد للحق وقبوله ومحبته ، وبه يعلم أن هذا الشرط – وهو الصدق – متضمن لثلاثة أمور <sup>(٢)</sup> :

الأمر الأول : القبول المنافي للرد .

الأمر الثاني : الانقياد المنافي للترك .

الأمر الثالث : المحبة المنافية للبغض .

فلو خلا ضمير المتكلم عن هذه الأمور الثلاثة لم يكن صادقاً في تكلمه بكلمة التوحيد كما هو شأن هؤلاء المنافقين .

الشرط الرابع : <sup>(٣)</sup>

الإخلاص : وهو إفراد المعبود عن غيره بتصفية العمل من شوائب الشرك ،

---

(١) سورة المنافقون الآية : الأولى .

(٢) قد ذكر بعض أهل العلم هذه الأمور الثلاثة شروطاً مستقلة وإن كانت داخلة في شرط الصدق ، وكما تقدم فإنهم فصلوا في هذه الشروط لأهميتها .

(٣) انظر هذا الشرط الرابع في فتح المجيد ص / ٥٦ ، ٦٣ ومعارج القبول ١ / ٣٨٢ والكواشف الجليلة ص / ٣٥ .

فلا بد من الإخلاص لله تعالى في كلمة التوحيد - قال الله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين ﴾ <sup>(١)</sup> وقال الله في الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » <sup>(٢)</sup>.

وليعلم أن الصدق والإخلاص متلازمان تلازماً لا ينفك أبداً في عرف الشرع، فكل إخلاص لابد أن يكون معه صدق، وكل صدق لابد أن يكون فيه إخلاص، ولا اعتبار لأحدهما دون الآخر، ومع هذا التلازم غير المنفك بينهما إلا أن المفهوم من الصدق غير المفهوم من الإخلاص . فالصدق هو : إفراد الطلب والإرادة وبذل الجهد في الموافقة، وأما الإخلاص فهو إفراد المطلوب أي المعبود عن غيره <sup>(٣)</sup>.

#### الشرط الخامس : <sup>(٤)</sup>

القبول لكلمة التوحيد ولما اقتضته ظاهراً وباطناً ، وضد القبول : الرد ، فإن الله قد أخبر بأن من رد هذه الكلمة وكذب بها فإنه يعذبه ، وأن من قبلها وعمل بها أدخله الجنة فقال تعالى في شأن من ردها : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ إلى أن قال عن

(١) سورة الزمر - الآية : ١١ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٢٨٩ - رقم ٢٩٨٥ - كتاب الزهد - باب من أشرك في عمله غير الله .

(٣) انظر مدارج السالكين لابن القيم ١ / ١٣٠ - ٩٧ / ٢ .

(٤) انظر فتح المجيد ص / ٥٦ ، وص / ٦٣ ومعارج القبول ١ / ٣٧٩ والكواشف الجلية ص / ٣٧ .



السبب الذي أوجب لهم العذاب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارْكَوَا آلِهَتَنَا لَشَاعِرٌ مَجْنُونٌ﴾ ... ثم ذكر الله بعد ذلك رده لزعيمهم الباطل في رسوله ﷺ بقوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثم أكد تعذيبه لهؤلاء جزاء عملهم من رد الحق وعبادة غير الله بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ثم أخبر عن إنجائه لمن قبل الحق - وهو إخلاص الدين لله - فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ، أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَافِكَ وَهُمْ مَكْرُمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>(١)</sup> .

#### الشرط السادس<sup>(٢)</sup> :

الانقياد لها ظاهراً وباطناً ، وضد الانقياد: الترك . قال الله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> ، ومعنى قوله: ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ﴾ أي ينقاد ويتذلّل له بالعبودية ، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عمله بأن يطيعه في أمره ونهيه، وقوله: ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ هي شهادة ألا إله إلا الله<sup>(٥)</sup> .

(١) هذه الآيات وما قبلها من سورة الصافات ٢٢-٤٣ .

(٢) انظر: فتح المجيد ص/٥٦، وص / ٦٣ ومعارج القبول ٣٨١/١ والكواشف الجلية ص/٣٧ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٥٤ .

(٤) سورة لقمان الآية : ٢٢ .

(٥) انظر جامع البيان للطبري ١١/٢١/٧٩ ، وتفسير البغوي ٦/٢٩١ .

## الشرط السابع (١) :

الحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه ، وحب أهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها ، وبغض ماناقض ذلك .

وقد ذكر أهل العلم أن للمحبة الصادقة علامات هي شروط فيها ، لا يتصور وجود المحبة مع فوات شرط منها وهي :- (٢)

١ - تقديم محاب الله وإن خالفت هواه .

٢ - بغض ما يبغضه وإن مال إليه هواه . قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً ﴾ (٤) .

٣ - اتباع رسوله ﷺ وقبول هداياه واقتفاء أثره قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٥)

٤ - موالاة من وإلى الله ورسوله - ﷺ - ومعاداة من عاداهما : قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله

---

(١) انظر فتح المجيد ص / ٥٦ ، ص / ٦٣ ومعارج القبول ١ / ٣٨٣ والكواشف الجلية ص / ٣٦ .

(٢) انظر معارج القبول ١ / ٣٨٣ .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٤) سورة الفرقان - الآية : ٤٣ .

(٥) سورة آل عمران - الآية : ٣١ .

ورسوله ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ .

---

(١) سورة المجادلة - الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الممتحنة - الآية : ١ .

## المطلب الثالث

### منزلة توحيد الألوهية

لقد تقدم أن التوحيد هو أفراد الله جل وعلا بالتعبد في جميع أنواع العبادات وهذا هو تحقيق كلمة لا إله إلا الله ولا تصح إلا بالمتابعة وهي شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ .<sup>(١)</sup> والذي عليه أهل السنة والجماعة أن أول واجب هو الشهادتان ، كما حكى عنهم ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : « إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان ، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ »<sup>(٢)</sup> اهـ .

والأدلة على أن أول الواجبات هو عبادة الله بما شرع يمكن تلخيصها في أربعة أدلة عامة :

**الدليل الأول :** <sup>(٣)</sup> هو أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد الله جل وعلا وإخلاص العبادة له كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾<sup>(٥)</sup> . ولقد وردت آيات كثيرة تبين أن

(١) انظر : ص ٦٢ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ١١/٨ . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص : ٧٥ .

(٣) انظر هذا الدليل في مدارج السالكين ١٢١/١ .

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦ .

(٥) سورة الانبياء الآية : ٢٥ .

آحاد الرسل يأتون قومهم فيقولون لهم: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾<sup>(١)</sup>

ويتضح هذا الدليل بالعلم بأمرين وهما:<sup>(٢)</sup>

**الأمر الأول:** إن الأصل في بني آدم التوحيد وكان ذلك مدة عشرة قرون بين آدم ونوح عليهما السلام ، فقد كانوا على التوحيد ثم نشأ فيهم الشرك – ثم إن الأصل في بني آدم : الإقرار بالله .

**الأمر الثاني :** معرفة الشرك الذي وقعوا فيه وهو الشرك في الألوهية .

فإذا علم الأمران ، وهما : أن الأصل في بني آدم توحيد الله بعبادته ، وأن الشرك الذي وقعوا فيه هو الشرك في العبادة لا إنكار وجود الله وتفرده بالخلق والرزق ، علم أن الرسل جاءوا بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غيره ، فيعلم من هذا أن أول واجب على المكلف هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له خاصة وأن الأدلة دالة على أن كل مولود يولد على الفطرة . فيبقى بعد ذلك أن من لم يقر بوجود الله عليه أن يقر أولاً ليتوسل بإقراره هذا إلى عبادة الله فيكون وجوب إقراره وسيلة لواجب مقصود وهو إفراد الله بالعبادة ، إذ الإقرار

---

( ١ ) ذكر الله جل وعلا في القرآن هذه الآية عن عدد من الرسل وهم :

( ١ ) نوح عليه السلام في سورة الأعراف : ٥٩ .

( ٢ ) وهود عليه السلام في سورتي الأعراف : ٦٥ وهود : ٥٠ .

( ٣ ) وصالح عليه السلام في سورتي الأعراف : ٧٣ وهود : ٦١ .

( ٤ ) وشعيب عليه السلام في سورتي الأعراف : ٨٥ وهود : ٨٤ .

( ٢ ) ستاتي أدلة هذين الأمرين في المطلب الرابع إن شاء الله انظر: ص: ٩٥ - ٩٨ .

وحده لا يكفي .

الدليل الثاني : إن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة . كما قال الله جل وعلا : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ <sup>(١)</sup> فقد بين الله جل وعلا أنه خلق الناس لهذه الغاية وهي عبادته ، وبين سبحانه أنه فطر الناس على الإقرار به <sup>(٢)</sup> ولذلك فإنه أول ما يأمرهم يأمرهم بعبادته كما قال : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

الدليل الثالث : وهو كما قال أبو المظفر بن السمعاني : <sup>(٤)</sup> « تواترت الأخبار أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار إلى الإسلام والشهادتين » <sup>(٥)</sup> .  
ومن ذلك قول الرسول ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن : « فليكن

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٢) سيأتي الكلام عن الفطرة مفصلاً ص : ٢٢٤ إن شاء الله .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢١ .

(٤) هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني المروزي الشافعي وقد كان

حنفياً ، ولد سنة (٤٢٦ هـ) إمام فقيه ومحدث ، وقد انتصر لأهل السنة ومن مؤلفاته :

الانتصار لأهل الحديث ، والقواطع في أصول الفقه - توفي سنة (٤٨٩ هـ) انظر الأنساب

للسمعاني ١٣٩/٧ وطبقات السبكي ٣٣٥/٥ - وسير أعلام النبلاء ١٩/١١٤ .

(٥) مختصر الانتصار لأهل الحديث - ضمن صون المنطق والكلام للسيوطي : ص ١٧٢ .

أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»<sup>(١)</sup> . وقوله :  
«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»<sup>(٢)</sup> . وقد  
كان الرسول ﷺ عند بيعة الرجال والنساء أول ما يبدأ به في البيعة قوله : «بايعوني  
على ألا تشركوا بالله شيئاً»<sup>(٣)</sup> .

### الدليل الرابع :

الإجماع : وهذا الإجماع حكاه ابن المنذر<sup>(٤)</sup> بقوله : «أجمع كل من أحفظ  
عنه من أهل العلم أن الكافر إذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً  
عبده ورسوله ، وأن كل ما جاء به محمد حق ، وأبرأ إلى الله من كل دين يخالف  
دين الإسلام ، وهو بالغ صحيح يعقل : أنه مسلم»<sup>(٥)</sup> ١ هـ .

وقد ذكر أبو المظفر بن السمعاني أن القول بأن أول الواجبات هو النظر قول

---

(١) متفق عليه - أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها في كتاب الزكاة باب :  
وجوب الزكاة - حديث رقم ١٣٩٥ - (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٣/ ٣٠٧)،  
وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب - ٧- الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/ ٥٠ .  
رقم ١٩ .

(٢) تقدم تخريجه ص : ٧٨ .

(٣) حديث بيعة الرجال في صحيح البخاري ، انظره مع شرحه فتح الباري ١/ ٦٤ وأحاديث بيعة النساء  
فيه كذلك - انظره مع شرحه فتح الباري ٨/ ٦٤٧ - ١٣/ ٢٠٣ .

(٤) أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الإمام الفقيه، من كبار الشافعية ، من  
تصانيفه : الإشراف في اختلاف العلماء ، والإجماع ، والمبسوط ، والتفسير ، توفي سنة  
(٣١٨ هـ) انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٠٢ وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٩٠ .

(٥) نقله عنه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٧ ، ولم أجده فيما طبع من كتبه .

مبتدع لم يكن معروفاً عند الصحابة ولا التابعين، إذ لو كان معروفاً لنقلوه لنا لشدة اهتمامهم بهذا الدين ، كيف والمدعى أنه أول الواجبات ١ - وإنما المعروف أنهم كانوا يدعون إلى الإسلام ، وهم الذين نقلوا طريقة الرسول ﷺ في دعوته ، مما يدل على أن المستقر عندهم هو أن أول شيء يدعى إليه الكافر هو الشهادتان - وهما أول واجب (١) .

وقد حكى هذا الاتفاق شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم النقل عنه (٢) وحكاه كذلك تلميذه ابن القيم فقال : « وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام » (٣) .

وهذا يدل على أنه أول الواجبات ، ولو أتى بغير الشهادتين ما اعتبر ذلك .

ومن المعلوم أن الشهادة تتضمن الإقرار بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، فكل من شهد لله تعالى بالألوهية فشهادته فرع إقراره بوجوده وربوبيته ، ولكن إذا وجد من لم يقر بالله لتغير فطرته فهذا يجب عليه النظر أولاً ، لأنه وسيلة لإقراره لله تعالى بالعبودية ، فوجوب مثل هذه الحالة يعتبر من وجوب الوسائل التي تؤدي إلى الغاية (٤) .

---

(١) انظر مختصر كتابه الانتظار لأهل الحديث ضمن صون المنطق والكلام ١٧١-١٧٢ .

(٢) انظر : ص ٨٦ .

(٣) مدارج السالكين ٣ / ٤٢١ .

(٤) انظر هذا في معرض الرد على الأشعرية في مسألة أول واجب على المكلف ص : ٣٢٣-٣٢٤ .



فإن المعرفة بوجود الله جل وعلا لا تكفي العبد ، بل ولاحتي إيمانه بأن الله هو  
الرب الخالق حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ (١) .

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ١١ - ١٢ .

## المطلب الرابع

### الشرك في الألوهية

هذا المطلب معقود لبيان ما يصاد توحيد الألوهية ، فإنه لا يستقيم تحقيق التوحيد إلا بعد تحقيق جانبي الإثبات والنفي ، بأن ينفي الإنسان عبادة غير الله تعالى ويحصر العبادة لله جل وعلا .

فلما علم سابقاً أن توحيد العبادة هو أفراد الله جل وعلا بها<sup>(١)</sup> فإنه يعلم أن الشرك في الألوهية هو صرف شيء من العبادة لغير الله . وحُصر الكلام فيه في أربع مسائل :

المسألة الأولى : قبح الشرك وخطره .

المسألة الثانية : حقيقة الشرك وأنواعه وبعض مظاهره .

المسألة الثالثة : أصل المشركين وأسباب الشرك .

المسألة الرابعة : حماية الرسول ﷺ للتوحيد بتحريم وسائل الشرك وطرقه .

#### المسألة الأولى : قبح الشرك وخطره :

فأما قبحه فيظهر في أن الشرك تنقص للرب تعالى بمساواة غيره له في بعض الأمور ، وذلك غاية الضلال كما قال الله تعالى عن المشركين يوم القيامة عند خصومتهم مع معبوديهم : ﴿ تَاللّٰهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نَسُوْكُمْ رَبِّبِ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وهذا التنقص متضمن للظلم ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِن الشِّرْكَ

(١) انظر : ص ٧٥ .

(٢) سورة الشعراء الآيتان : ٩٧ - ٩٨ .

لظلم عظيم ﴿١﴾ . فإن الذي يُعبد هو الذي بيده الخلق والأمر والمتفضل بالنعمة  
فصرف شيء من حق الله تعالى من العبودية إلى غيره ظلم عظيم .

فظهر مما تقدم أن قبح الشرك يتمثل في أنه تنقص للرب تعالى وظلم وضلال  
مبين .

وأما خطره فيتمثل في أنه يحبط الأعمال كما قال الله تعالى : ﴿ ولقد أوحى  
إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من  
الخاسرين ﴾ (٢) . ويتمثل خطره كذلك في أن صاحبه إن مات عليه فإنه لا يُغفر له  
كما قال الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن  
يشاء ﴾ (٣) ويتمثل خطره كذلك في أن صاحبه الذي مات عليه مخلد في نار  
جهنم ، كما قال الله تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه  
النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (٤) .

### المسألة الثانية : حقيقة الشرك وأنواعه وبعض مظاهره :

فحقيقته هي صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى ، ويكون ذلك في الأعمال  
والأقوال ، وكل منهما يكون أكبر وأصغر (٥) .

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٣ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٣) سورة النساء الآية : ٤٨ ، ١١٦ .

(٤) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٥) انظر : تيسير العزيز الحميد ص : ٤٥ و ٥٨٧ . ومندارج السالكين ١ / ٣٤٨ - ٣٥٢ .

أما الشرك الأكبر فحقيقته هي : أن يضرع الإنسان بعبادة من العبادات إلى غير الله تعالى صلاة أو نذراً أو استغاثة به في شدة أو مكروه فيما لا يقدر عليه إلا الله ونحو ذلك ، ويُخرج من الملة ، فمثاله في الاعتقادات : اعتقاد أن غير الله يستحق العبادة ومثاله في الأعمال : الذبح لغير الله ، ومثاله في الأقوال : دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . وهذا هو الذي ورد فيه مثل قول الله تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ اِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اِذْ نَسُوْكُمْ رَبَّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اُنْدَادًا يُحِبُّوْنَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وأما الشرك الأصغر فهو : كل ما كان ذريعة إلى الأكبر ووسيلة للوقوع فيه ، ونهى عنه الشرع وسماه شركاً <sup>(٣)</sup> ، ولا يُخرج من الملة . وهو قد يكون في الأعمال ، ومن ذلك يسير الرياء كما قال الرسول ﷺ « أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر - فسئل عنه فقال : الرياء » <sup>(٤)</sup> ، وقد يكون في الأقوال :

(١) سورة الشعراء الآيتان : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٦٥ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ص : ٤٥ والفتوى رقم ١٦٥٣ بتاريخ ٢٢/٨/١٣٩٧ هـ من

فتاوى اللجنة الدائمة بمجلة البحوث الإسلامية عدد رقم ٢٠ - ص : ١٥١ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ٥/٤٢٨ - ٤٢٩ . والبخاري في شرح السنة ١٤/٣٢٣ - ٣٢٤ قال

المنذري : « إسناده جيد » ( الترغيب والترهيب ١/٦٩ ) - وقال العراقي في تخريج الإحياء

٣/٢٩٤ « رجاله ثقات » وقال ابن حجر : « إسناده حسن » ( بلوغ المرام ١٨٧ ) وقال

الهيتمي : رجاله رجال الصحيح ( مجمع الزوائد ١/١٠٢ ) .

ومنه الحلف بغير الله كما ثبت عن النبي ﷺ قوله : « من حلف بغير الله فقد أشرك »<sup>(١)</sup> ، وقد يصير الشرك الأصغر شركاً أكبر بحسب ما يقوم بقلب صاحبه .

ومن وسائل الشرك وذرائعه التوسل إلى الله بجاه الأنبياء والصالحين<sup>(٢)</sup> وقد دل الواقع والتجربة على أنه وسيلة إلى الشرك . وقد أفضى بكثير من الناس المتسمين بالإسلام إلى الوقوع في الشرك الأكبر فصاروا يستغيثون بأصحاب القبور وينذرون لهم ويقدمونهم .

### المسألة الثالثة : أصل المشركين وأسباب الشرك :

فأوائل المشركين كما قال شيخ الإسلام : « صنفان : قوم نوح وقوم إبراهيم ، قوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم ، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر »<sup>(٣)</sup> .

وكلا الفريقين عابد للجن فإنها التي تأمرهم به وتسوله لهم وترضى منهم الشرك ولذلك يقول الله جل وعلا : ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده برقم ( ١٨٩٦ ) وأحمد ٤٧/١ و ٦٧٣٤/٢ - وأبو داود ٥٧٠/٣ برقم ٣٢٥١ والترمذي ١١٠/٤ برقم ١٥٣٥ وحسنه ، والحاكم ٦٥/١ ، ١١٧-٣٣٠/٤ وصححه على شرطهما وأقره الذهبي .

(٢) انظر : الفتوى رقم ١٧١١ - بتاريخ ١٩/١٢/١٣٩٧ هـ - من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية - بمجلة البحوث الإسلامية عدد رقم ٢٠ - ص : ١٥٣ .

(٣) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص : ٢٢ . وانظر : الرد على المنطقيين ص : ٢٨٥ -

يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴿١﴾ .

وقد كانت الأصنام في زمن نوح عليه السلام صوراً لصالحين ماتوا ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت » (٢) اهـ .

ويشير ابن عباس رضي الله عنهما إلى الآية : ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (٣) .

وقد كان الناس قبل ذلك فيما بين آدم عليه السلام ونوح مدة عشرة قرون كانوا كلهم على الإسلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام » (٤) .

وأما الشرك في زمن إبراهيم عليه السلام فقد كان بعبادة الكواكب ، ولذلك ناظرهم في أن تلك الكواكب لا تستحق أن تعبد لأنها مريوبة مخلوقة مدبرة ، (٥) قال الله تعالى : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون

---

(١) سورة سبا الآيتان : ٤٠-٤١ .

(٢) أخرجه عنه البخاري (٨/٣٥٣ - مع الفتح ) - رقم ٤٩٢٠ .

(٣) سورة نوح الآية : ٢٣ .

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٣ ، وعزاه إلى البخاري ١

(٥) انظر البداية والنهاية ١/١٣٤ - ١٣٥ .

من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ﴿١﴾ .

ثم إن الشرك دخل العرب بنقل عمرو بن لحي الذي قال عنه الرسول ﷺ « رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، وكان أول من سيب السوائب » ﴿٢﴾ .

وقد كان سافر إلى الشام للتجارة فوجد أهل الشام يعبدون الأصنام فاخذ منها إلى مكة فأدخل فيهم الشرك ﴿٣﴾ .

وقد كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها تقربهم إلى الله تعالى فاتخذوها واسطة بينهم وبين الله ، وهذا يشبه شرك القوم الذين بُعث فيهم نوح عليه السلام .

وأما اعتقاد تأثير بعض الأشياء بخفاء مما لا يعلم له سبب ظاهر فيبدو أن ذلك دخل عليهم من أصل الكلدانيين الذين يعتقدون تأثير الكواكب ، وكان هذا هو أصل شرك أولئك قوم إبراهيم عليه السلام . وقد كانت الشياطين تزين لهم عبادة تلك الكواكب ، ولبست عليهم بأمور تدعوهم للاعتقاد فيها ، وقد مثلوا لها

---

(١) سورة الأنعام الآيات : ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨ .

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٦٣٢ مع شرحه فتح الباري كتاب المناقب - باب

٩ - قصة خزاعة برقم ٣٥٢٠ وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٢ - كتاب الجنة -

باب - ١٢ - برقم ٢٨٥٦ .

(٣) انظر : السيرة لابن هشام ١/٧٧ وفتح الباري لابن حجر ٦/٦٣٤ .

تماثيل، فانتقل ذلك إلى العرب فوجد فيهم الاستسقاء بالأنواء ، ومن مظاهر اعتقادهم تأثير بعض الأشياء بخفاء : اشتغالهم بالكهانة والطيرة .

وبهذا العرض يتبين جلياً أن أصل شرك العالم هو عبادة الأشخاص ثم الكواكب . وهذا هو الشرك الذي أرسلت الرسل لإنكاره ، وليس الشرك محصوراً في اعتقاد وجود رب آخر لهذا العالم مساو لله تعالى ، بل هذا النوع لم يكن معروفاً في بني آدم كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله <sup>(١)</sup> وبهذا يتضح جهل كثير من الناس في هذه الأزمان بحقيقة الشرك ، ولزيادة المسألة إيضاحاً ، يفرع على هذا بيان سبب الشرك ، فلوقوع الشرك سببان :

**السبب الأول :** الغلو في المخلوق : <sup>(٢)</sup> ويكون بتنزيل المخلوق منزلة فوق منزلته فيصرف له شيء من حقوق الله ، وهذا الأمر جلي وواضح يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما السلام — كما تقدم مستوفى <sup>(٣)</sup> ولهذا سد الرسول ﷺ هذا الطريق كما سيأتي إن شاء الله تعالى <sup>(٤)</sup> .

**وأما السبب الثاني :** فهو إساءة الظن برب العالمين <sup>(٥)</sup> :

وهذا السبب مترتب على السبب السابق ، فإنه بعد غلو الشخص في المخلوق

---

(١) انظر : ٢٨٠ - ٢٨٨ ، ٣١٧ ، ٦٥٣ .

(٢) انظر : إغاثة اللهفان ٢ / ٣٢٢ .

(٣) انظر : ص ٩٥ /

(٤) انظر : ص ١٠٠ /

(٥) انظر : تجريد التوحيد : ص ٣١-٣٣ .



وحصول الجهل بالدين يتخذهُ وسيطاً يقربه إلى الله فيعطفه عليه في قضاء حاجاته، فيكون قد أساء الظن بإفضال ربه وإنعامه وإحسانه إليه . وهذا يحدث وإن اعتقد أن الله يسمع ويرى ويملك كل شيء .

قال الله تعالى : ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً ﴾ <sup>(١)</sup> وكان ظن المشركين والمنافقين أن الله لن يحقق وعده بنصر الرسول ﷺ وأصحابه <sup>(٢)</sup> كما قال الله تعالى : ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ﴾ <sup>(٣)</sup> وهذا الوصف وصف لله بالنقص ، فكذلك من يعتقد أن الله لا يستجيب له إلا بوساطة يكون قد وصف الله بالنقص .

وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في رده على قومه : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أيفكاً آلهة دون الله تريدون ، فما ظنكم برب العالمين ﴾ <sup>(٤)</sup> فقلوه : ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ حكي فيه وجهان <sup>(٥)</sup> :

---

(١) سورة الفتح الآية : ٦ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٢٦ / ٧٣ .

(٣) سورة الفتح الآية : ١٢ .

(٤) سورة الصافات الآيات : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ .

(٥) انظر : فتح القدير للشوكاني ٤ / ٤٠١ . والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٣ / ١٧٣ .

الأول : ماظنكم بربكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ، وهذا للتهديد .

والوجه الثاني : هو : أي شيء تظنون برب العالمين أنه هو حتى عبدتم غيره ؟  
وهذا الأسلوب معني به تعظيم الله وتوبيخ المشركين .

ولا مانع أن يكون الوجهان مرادين . وعلى الوجه الثاني يظهر جلياً أن من أسباب الشرك إساءة الظن برب العالمين .

وقال ابن القيم في سياق بيانه لأنواع الظن السيئ برب العالمين : « ومن ظن أن له ولداً أو شريكاً ، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه ، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه ، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيدعونهم ويحبونهم كحبه ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه » (١) اهـ .

المسألة الرابعة : حماية النبي ﷺ للتوحيد بتحريم وسائل الشرك وطرقه :

لقد بين الرسول ﷺ أمر التوحيد وحذر عن الشرك غاية التحذير ، فكل أمر بالتوحيد ونهي عن الشرك حماية لأمر التوحيد ، ولكن المقصود بهذه المسألة هنا ما جاء عنه في التحذير وسده للطرق الموصلة للشرك ، إذ به يتحقق الإنسان من معرفة الشرك فيحذره بالابتعاد عن وسائله ، ولما خفي على كثير من الناس في الأزمنة المتأخرة هذا الأمر وقعوا في الشرك وإن زعموا أنه ليس بشرك .

فقد نهى الرسول ﷺ عن الغلو في تعظيم المخلوق ، إذ الغلو في تعظيمه يؤدي

---

(١) زاد المعاد ٣/ ٢٣٣ .

إلى استشعار القلب بالخوف والرهبة منه والرجاء فيه، فيصرف إليه عندئذ شيئاً من حقوق الله تعالى . فمن هذه الوسائل المنهي عنها :

الأول : <sup>(١)</sup> : إن الرسول ﷺ قد نهى عن الغلو في مدحه بما قد يفضي إلى عبادته فقال : « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » <sup>(٢)</sup> .

الثاني <sup>(٣)</sup> : نهى الرسول ﷺ عن البناء على القبور وعن اتخاذها عيداً، وعن اتخاذها مساجد، فقال لما ذكرت له أم سلمة رضي الله عنها : أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور قال : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » <sup>(٤)</sup> وقال الرسول ﷺ قبل أن يموت بخمس ليال : « إني أبرأ إلى الله أن

---

(١) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/ ٦٧٥ ، ومجلة البحوث الإسلامية - العدد : ٢٠ ، ص ٢٠٠ ، بحث للشيخ صالح الفوزان .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ( البخاري مع فتح الباري ٦/ ٥٥١ ) كتاب أحاديث الأنبياء - باب - ٤٨ - برقم : ٣٤٤٥ .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ١/ ٧٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢/ ٦٧١ - ٦٧٢ ، ومجلة البحوث الإسلامية - العدد : ٢٠ ، ص ٢٠٠ . بحث للشيخ صالح الفوزان .

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه ( ١/ ٦٣٣ مع شرحه فتح الباري ) - كتاب الصلاة - باب ٥٤ - الصلاة في البيعة - برقم : ٤٣٤ ، وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧٥ - ٣٧٦ - كتاب المساجد - باب ٣ - النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم : ٥٢٨ .

يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك » <sup>(١)</sup> . وقال الرسول ﷺ : « لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ولاتجعلوا قبوري عيداً ، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » <sup>(٢)</sup> . كما نهى النبي ﷺ عن تخصيص القبور كما قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « نهى رسول الله ﷺ أن يُحصَّصَ القبر وأن يُقعد عليه وأن يُبنى عليه » <sup>(٣)</sup> . وكذلك نهى عن الصلاة عند القبور سواء بُني عليها مسجد أو لا لقوله : « لاتجلسوا على القبور ولاتصلوا إليها » <sup>(٤)</sup> . فقد نهى النبي ﷺ عن تلك الأمور كلها الدالة على تعظيم القبر لئلا يفضي ذلك إلى عبادتها وطلب

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٧٧/١ - كتاب المساجد - باب ٣ برقم : ٥٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٦٧/٢ - وأبو داود في سننه ٥٣٤/٢ - كتاب المناسك - باب

١٠٠ - زيارة القبور برقم : ٢٠٤٢ وصححه النووي في الأذكار ص : ١٥٤ - عند

الحديث رقم : ٣٤٦ وحسن ابن تيمية إسناده أبي داود في اقتضاء الصراط المستقيم ٦٥٤/٢ -

وصححه بإعتبار شواهد - المرجع السابق ٦٥٥/٢ وانظر النهج السديد للتوسع ١١٩ -

. ١٢٠

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٦٧/١ - كتاب الجنائز - باب ٣٢ - النهي عن تخصيص القبر

والبناء عليه - برقم : ٩٧٠ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٦٦٨/١ - كتاب الجنائز - باب ٣٢ - النهي عن تخصيص القبر

والبناء عليه - برقم : ٩٧٢ .

قضاء الحوائج من الموتى ، ويدل على أن هذا هو المراد ما أشار به إلى صنيع الأمم السابقة ، وكذلك لأن هذا هو أصل ابتداء الشرك في الناس كما تقدم <sup>(١)</sup> . وقد قال ابن قدامة <sup>(٢)</sup> معللاً للنهي عن اتخاذ القبور مساجد ومُصلًى : « لأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها ، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام : تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها » <sup>(٣)</sup> اهـ .

الثالث : النهي عن الوفاء بالنذر بالذبح لله تعالى في مكان يذبح فيه لغير الله أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية . فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : « نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال : « هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ » قالوا : لا ، قال : « فهل كان فيه عيد من أعيادهم ؟ » قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ « أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما

---

(١) انظر : ص ٩٥ . وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٦٧٣ - ٢/٧٦٨ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي - إمام فقيه - ولد سنة

(٥٤١ هـ) من مؤلفاته : المغني - وإثبات صفة العلو - وذم التأويل - ولمعة الاعتقاد - توفي

سنة (٦٢٠ هـ) انظر : سير أعلام النبلاء ٢٢/١٦٥ وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب

١٣٣/٢ .

(٣) المغني لابن قدامة ٢/١٩٣ .

لا يملك ابن آدم»<sup>(١)</sup> . فقلوه في آخر الحديث « فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله »  
يفيد أن الوفاء بالنذر في المكان الذي فيه أمر من أمور الجاهلية معصية لله ، ففي  
هذا سد لذريعة الشرك وإبعاد للمسلمين عن التشبه بالمشركين في تعظيم  
أوثانهم<sup>(٢)</sup> .

الرابع<sup>(٣)</sup> : النهي عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها صيانة للصلاة  
وللمصلين المسلمين أن يشبهوا الكفار في سجودهم لها وعبادتهم لها وللشيطان .

وفيه أن الرسول ﷺ أرشد عمرو بن عبسة بقوله : « صل صلاة الصبح ثم  
أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني  
شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ... ( إلى أن قال ) : حتى تصلي العصر ثم  
أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد

---

(١) رواه أبو داود في سننه ٦٠٦/٣ - ٦٠٩ - كتاب الأيمان والنذور باب ٢٧ - ما يؤمر به من  
الوفاء بالنذر من رقم : ٣٣١٢ إلى رقم : ٣٣١٥ - ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن  
الكبرى : ٨٣/٨ - وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم : ١٣٤١ وقال شيخ الإسلام  
ابن تيمية عن إسناد أبي داود رقم : ٣٣١٣ : « هذا الإسناد على شرط الصحيحين » اهـ ،  
اقتضاء الصراط المستقيم ٤٣٦/١ . وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير ١٨٠/٤ .  
(٢) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٤٤٠/١ - ٤٤٢ . وتيسير العزيز الحميد ص : ٢٠١ .  
(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٦٧٤/٢ ، ومجلة البحوث الإسلامية ، العدد : ٢٠ ، ص :  
٢٠٠ . بحث الشيخ صالح الفوزان .

لها الكفار»<sup>(١)</sup> .

وهذا كله حماية للتوحيد .

وقد نهى الرسول ﷺ عن كل ما يؤدي إلى إساءة الظن برب العالمين وعدم تقديره حق قدره . ومن ذلك الألفاظ التي فيها التسوية بين الله وبين المخلوق ، فعن قتيلة : « أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون وتقولون : ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : « ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت »<sup>(٢)</sup> اهـ .

فَجَعَلَ المخلوق مساوياً للخالق باللفظ في المشيئة أو التعظيم فيه إساءة ظن برب العالمين واستنقاص له ، إذ هو المتعالي العظيم الذي له الخلق والأمر سبحانه . وإن هذه التسوية نُهي عنها وإن لم يعتقد قائلها ذلك بقلبه ، وقد تكون مثل هذه الألفاظ شركاً أكبر إذا قصدوا قائلها بقلبه<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه : ١ / ٥٦٩ - ٥٧٠ - كتاب صلاة المسافرين باب - ٥٢ - إسلام

عمرو بن عبسة - برقم : ٨٣٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦ / ٣٧١ - ٣٧٢ . والنسائي في سننه ٦ / ٧ - كتاب الإيمان

والنذور باب الحلف بالكعبة . وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤ / ٣٣١ - برقم : ٧٨١٥

وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي - ورواه البيهقي ٣ / ٢١٦ وصححه الحافظ ابن حجر في

الإصابة في تمييز الصحابة ٤ / ٣٨٩ .

(٣) انظر : تيسير العزيز الحميد ص : ٥٩٦ - ٦٠٢ .

## المبحث الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في أدلة توحيد الألوهية .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أنواع الأدلة الدالة على توحيد الألوهية .

ويمكن حصر هذه الأدلة في خمسة أنواع كما سيأتي إن شاء الله .

المطلب الثاني : وجه دلالة العقل والنقل على توحيد الألوهية .



## المطلب الأول

### أنواع الأدلة الدالة على توحيد الألوهية .

قد وردت في القرآن أدلة تقرر توحيد الألوهية بأحسن تقرير وبأقوى حجة لا يمكن دفعها أبداً - ويمكن حصر هذه الأدلة في خمسة أنواع :

النوع الأول : إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه .

النوع الثاني : بيان حال الآلهة التي تعبد دون الله في الدنيا والآخرة بصفة تقرر عدم استحقاقها للعبادة .

النوع الثالث : تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد وأنه لا برهان لهم ولا حجة في شركهم .

النوع الرابع : بيان أن الحكم لله وحده شرعاً وجزاءً .

النوع الخامس : إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله للعبادة وحده .

النوع الأول : إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية الذي ينكرونه .

فإنه قد تكرر في القرآن بيان أن الخالق هو الذي يستحق أن يعبد ، وأن المتفرد بالنعم الظاهرة والباطنة هو الذي يستحق أن يعبد دون ما سواه . فظهر من هذا أن هذا النوع من الأدلة يكون في مسألتين :

المسألة الأولى : العلم بأن الله هو المنفرد بالخلق والتدبير <sup>(١)</sup>

المسألة الثانية : العلم بأنه المنفرد بهبة النعم الظاهرة والباطنة : <sup>(٢)</sup>

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ <sup>(٣)</sup>

قال عكرمة <sup>(٤)</sup> « نهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له نداً وعدلاً في الطاعة فقال : كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة ولا تجعلوا لي شريكاً ونداً من خلقي فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني » . <sup>(٥)</sup> اهـ

فقد بين الله تعالى استحقاقه للعبادة لأنه هو الخالق والرازق - وأمرهم أمر إيجاب بقوله : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ . وقال الله تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً

---

(١) انظر : القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ص : ١٩٣

(٢) انظر : المصدر السابق ص : ١٩٣ - ١٩٤ وتفسير السعدي ٢٦/١

(٣) سورة البقرة الآيتان : ٢١ - ٢٢

(٤) أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما - أخذ التفسير عن موله فبرع فيه -

وتوفي سنة (١٠٥ هـ) انظر الجرح والتعديل ٧/٧ وسير اعلام النبلاء ١٢/٥

(٥) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان ١٦٣/١/١

فاطر السموات والأرض وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين . قل إنني أخاف إن عصيتُ ربي عذاب يوم عظيم . من يُصِرْ عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين . وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير . وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿١﴾

ففي هذه الآيات تقرير التوحيد لله تعالى ؛ فلا استفهام في قوله تعالى ﴿أغفر الله﴾ إنكارى ، أي كيف أتخذ ولياً غير الله فأطيعه وأعبده والله هو خالق السموات والأرض الذي يرزق الخلق ولا يحتاج إليهم فهو الغني عن كل ماسواه فلذلك أمره الله بعبادته وحده ونهاه عن الشرك . ثم بين الله تعالى أن الثواب والعقاب بيده ، وبين تعالى أنه على كل شيء قدير ولا يعجزه شيء وهو المتصرف وحده فله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة – فإذا كان ذلك كذلك كيف لا تُخلص له العبادة ! ﴿٢﴾

وقال تعالى : ﴿بديع السموات والأرض أننى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم . ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ ﴿٣﴾ وفيها أن الخالق والوكيل على كل شيء بحفظه ورزقه وتصريفه هو الذي يستحق أن يعبد – قال

(١) سورة الأنعام الآيات : ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨

(٢) انظر : جامع البيان للطبري ١٦١/٧/٥ وتفسير السعدي ١٧٧/٢

(٣) سورة الأنعام الآيتان : ١٠١ - ١٠٢ .

ابن جرير : « يقول جل ثناؤه لهم : أيها الجاهلون : إنه لا شيء له الألوهية والعبادة إلا الذي ﴿ خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ﴾ ، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها . فإنه خالق كل شيء وبارئهم وصانعه ، وحق على المصنوع أن يقر صانعه بالعبادة » (١)

هذا وقد كان المشركون يقرّون بتوحيد الربوبية - ولذلك قال الله جل وعلا عنهم ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (٢) قال عكرمة مولى ابن عباس في تفسير الآية السابقة : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره » (٣) اهـ

ومثل هذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره . (٤)

ولذلك فإن الله قرّرهم بهذا النوع من التوحيد - أي إذا كنتم أيها المشركون تقرّون لله بأنه خالق كل شيء ورازقه فعليكم أن تقرّوا كذلك لله تعالى بالألوهية

(١) جامع البيان للطبري ٢٩٩ / ٧ / ٥

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٦

(٣) علقه البخاري في صحيحه (١٣ / ٥٠٠ مع شرحه فتح الباري) في كتاب التوحيد - باب

- قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ ووصله ابن جرير في جامع البيان

٧٧ / ١٣ / ٨ وصححه ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٥٠٣ وانظر تغليق التعليق ٧٦ / ٥

(٤) أخرجه عنه ابن جرير في جامع البيان ١٣ / ٧٧ - ٧٩ وحسنه ابن حجر في فتح الباري

١٣ / ٥٠٣ وحسن كذلك مانقل عن سعيد بن جبير ، وصحح ما نقل عن مجاهد وعطاء

كذلك في فتح الباري ١٣ / ٥٠٣ وأقوال هؤلاء كلها في جامع البيان للطبري ٧٧ / ١٣ / ٨

وأخرج كذلك عن عامر ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، نحو ما تقدم .

وحده وتتقوه ولا تعبدوا غيره . قال الله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ، فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنني تصرفون ﴾ (١)

قال ابن جرير عند قوله ﴿ أفلا تتقون ﴾ : « أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم رباً غير من هذه الصفة صفته ، وعبادتكم معه من لا يرزقكم شيئاً ولا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً ؟ » (٢)

وقال تعالى : ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير أمّا يشركون أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إليه مع الله بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أمّن مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ، أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أمّن مع الله قليلاً ما تذكرون ، أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أمّن مع الله تعالى الله عما يشركون ، أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أمّن مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (٣)

(١) سورة يونس الآيتان : ٣١ - ٣٢

(٢) جامع البيان للطبري ١١٤/١١/٧

(٣) سورة النمل الآيات : ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤

فهذه الآيات جاءت بعد أن ذكر الله إهلاكه لفرعون وقومه وذهاب ملك سبا وإهلاك ثمود قوم صالح عليه السلام وإهلاك قوم لوط عليه السلام ووجه المناسبة كما قال ابن جرير رحمه الله : « قل يا محمد لهؤلاء الذين زيننا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون : آله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة ، وأهلك أعداءه بالذى أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءاً ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً؟ يقول : إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل ، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لانفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم في عبادة من بيده النفع والضر وله كل شيء؟ ، ثم ابتداء تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم <sup>(١)</sup> ثم ذكر الآيات وتفسيرها . وقد بين الله تعالى خصائص ربوبيته في هذه الآيات الدالة على أنه المعبود وحده - وأن ماسواه لا يستحق شيئاً من العبادة ، فإنه كلما ذكر شيئاً من خصائصه قال : ﴿ أَلِلَّهِ مَعِ اللَّهُ ﴾ أى يقدر على ذلك أو يفعله ؟ والجواب : لا . وإذا كان كذلك كان هو المستحق لأن يُعبد وحده ، ولذلك نص الله على ذلك بقوله ﴿ تعالى الله عما يشركون ﴾ بعد أن ابتداء الآيات بقوله : ﴿ آله خير أما يشركون ﴾ ثم بين تعالى عجز كل من يدعى شيئاً من خصائص ربوبيته لغيره تعالى فقال آمراً نبيه ﷺ بأن يخاطبهم بصيغة التعجيز : ﴿ قل هاتوا برهانكم إن

(١) تفسير ابن جرير جامع البيان ١١/٢٠/٢

(٢) انظر : أضواء البيان ٧/٦١٨ - ٦٢١

## كنتم صادقين ﴿

وبعد هذا التقرير يظهر جلياً أن التوكل والاستعانة ونحوها إنما تكون بالله رب الأرض والسموات الذي بيده الأمر كله - وهذا هو الذي تقتضيه الفطرة السليمة - فإن الذي خلق وقدر وهدى والذي بيده ملكوت كل شيء هو الذي يتوكل عليه ويستعان به وحده - وأن الذي أنعم على الخلق بأنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ <sup>(١)</sup> هو الذي يشكر ويحب لما أنعم به وهو الذي يُرجى ويرغب إليه وحده .

**النوع الثاني :** بيان حال الآلهة التي تعبد دون الله في الدنيا والآخرة بصفة تقرر عدم استحقاقها للعبادة :

وهذا النوع من الأدلة يبين الله جل وعلا فيه أن مادونه مخلوق مربوب له وأنهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون شيئاً ، ومن كانت هذه صفته فإنه لا يستحق العبادة أبداً ، ويبين الله تعالى عدم نفع ما يعبد من دونه من المخلوقات في الدنيا ولا في الآخرة ، ليؤكد أنها لا تستحق العبادة ، ويمكن حصر هذا النوع من الأدلة في ثلاث مسائل :

**المسألة الأولى :** معرفة ما يعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من جميع الوجوه .

**المسألة الثانية :** تعجيز المسؤولين من دون الله .

**المسألة الثالثة :** الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث .

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٣٤

المسألة الأولى : معرفة ما يعبد من دون الله من المخلوقات وبيان نقصها من جميع الوجوه<sup>(١)</sup> :

قال الله تعالى : ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾<sup>(٢)</sup>

ففي هذه الآية تقرير للمشركين بعبادتهم ما دون الله وتنبيه لهم على موضع خطأ فعلهم ببيان أن آلهتهم التي يعبدونها لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة ومع ذلك فهي لا تملك دفع ضرر عن نفسها ولا جلب منفعة إليها ولا تملك إماتة ولا إحياء ولا بعثاً — فهذه هي صفتها فهي لا تستحق العبادة<sup>(٣)</sup>

وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات بعد قوله : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾<sup>(٤)</sup>

قال ابن جرير : « يقول تعالى ذكره : فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدون من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس ، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه ، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك »<sup>(٥)</sup>

(١) انظر : القواعد الحسان ص : ١٧ ، ١٩٤

(٢) سورة الفرقان الآية : ٣

(٣) انظر : جامع البيان ١٨ / ١٠ / ١٨١

(٤) سورة الفرقان الآيتان : الأولى والثانية

(٥) جامع البيان ١٨ / ١٠ / ١٨٠



وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي <sup>(١)</sup> رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ <sup>(٢)</sup> قال : ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو : لا ، أي : ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكرًا عليهم بقوله : ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ <sup>(٣)</sup> اهـ

ومن الآيات التي تبين ضعف ما يعبد من دون الله وأنه لا يخلق شيئاً فلا يستحق أن يعبد قوله تعالى ﴿قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده ، قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون﴾ <sup>(٤)</sup>

ومنها قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ <sup>(٥)</sup>

---

(١) محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي - ولد عام (١٣٠٥ هـ) العلامة المتبحر في علوم القرآن والأصول - نصر عقيدة أهل السنة ، من مؤلفاته : أضواء البيان ودراسة لآيات الصفات توفي سنة (١٣٩٣ هـ) انظر : ترجمته في آخر المجلد (١٠) من أضواء البيان لتلميذه عطية محمد سالم .

(٢) سورة الروم الآية : ٤٠

(٣) أضواء البيان ٤١٣/٣

(٤) سورة يونس الآية : ٣٤

(٥) سورة الحج الآيتان : ٧٣ - ٧٤

واتضح من هذه الآية أن من يعبد شيئاً مع الله لا يكون قد قدر الله تعالى حق قدره . وفي هذا الدلالة الواضحة على أن الله تعالى ذكر من الحجج الدالة على توحيده وصرف العبادة إليه وحده لا شريك له : أن غيره لا يخلق شيئاً وأنه ضعيف مربوب لله فوجب ألا يصرف إليه شيء من العبادة .

### المسألة الثانية : تعجيز المستولين من دون الله : (١)

وهذه المسألة وإن كانت داخلة في عموم المسألة قبلها إلا أنه قد ورد أفرادها بالذكر في القرآن الكريم - وترد كذلك مرتبطة مع تلك المسألة .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ﴾ (٢) وفي هذه الآية تعجيز للمدعوين من دون الله سواء كانوا ملائكة أو جنّاً أو إنساً أو أصناماً أو غير ذلك إذا أراد الله إنزال ضرر أن يدفعوه أو يحولوه إلى نفع أو يحولوا الضر إلى آخرين (٣) ولا شك أن المدعوين من دون الله عاجزون عن ذلك إذ المقدّر هو الله تعالى ، فلا يقدر أحد أن يغير ما قدره الله . وبهذا يعلم أن أولئك لا يجوز صرف شيء من العبادة إليهم إذ المستحق لأن يعبد هو الذي لا يعجزه شيء وهو الله سبحانه وتعالى .

ومن ذلك أن الله تعالى قد ذكر عجائب قدرته في خلق الإنسان والبحار وما يستخرج منها وما يجري فيها من الفلك وخلق الليل والنهار والشمس والقمر

---

(١) انظر : رسالة الشرك ومظاهره ص ١٩٣

(٢) سورة الإسراء الآية : ٥٦

(٣) انظر : جامع البيان ١٥/٩ - ١٠٣ وتفسير ابن كثير ٤٦/٣ وأضواء البيان ٣/٥٩٨ - ٥٩٩

وجريان ذلك بنظام دقيق محكم - فبعد أن ذكر ذلك قال : ﴿ ذلکم اللہ ربکم  
له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعون  
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا  
ينبتلك مثل خبير ﴾ <sup>(١)</sup> ففي هذه الآية بيان لعجز من يدعى من دون الله إما  
لعدم سماعه أصلاً أو لعدم استجابته إن سمع الدعاء . وهذا يدل على عدم  
استحقاق غير الله للعبادة .

وقد يذكر الله تعالى أن التعجيز يقع في الآخرة أيضاً ، فمن ذلك قول الله  
تعالى : ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم  
وجعلنا بينهم موبقاً ﴾ <sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى : ﴿ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم  
فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ <sup>(٣)</sup>

ومن الآيات الجامعة في هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم  
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيهما  
من شرك ، وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ <sup>(٤)</sup>  
ففي هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين : ادعوا الذين  
زعمتموهم شركاء لله ليجلبوا لكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضرراً فإنهم لا يستطيعون

(١) سورة فاطر الآيتان : ١٣ - ١٤

(٢) سورة الكهف الآية : ٥٢

(٣) سورة القصص الآية : ٦٤

(٤) سورة سبأ الآيتان : ٢٢ - ٢٣

ذلك وهذا يفيد عدم استحقاقهم للعبادة <sup>(١)</sup> ثم بين الله تعالى عجز المدعويين من دونه بقوله : ﴿ لا يملكون.... ﴾ الآية - وفي هذا يقول ابن القيم : « فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه ، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه ، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به ، وحينئذ فلا بد أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عباده ، أو شريكاً للمالكها أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً له أو وحيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده ، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده ، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات والأرض ، فقد يقول المشرك : هي شريكة للمالك الحق فنفى شركتها له ، فيقول المشرك : قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً فقال : ﴿ وماله منهم من ظهير ﴾ فلم يبق إلا الشفاعة ، فنفاها عن آلهتهم وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فهو الذي يأذن للشافع ، فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه ، كما يكون في حق المخلوقين ، فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها ، وأما من كل ماسواه فقير إليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ماسواه فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه ! » <sup>(٢)</sup>

ومن الأحاديث في هذا الباب قول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ،

(١) انظر : جامع البيان ١٢/٢٢/٨٨-٨٩

(٢) الصواعق المرسلة ٢/٤٦١ - ٤٦٢

إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (١)

ففي هذه الوصية الأمر بالاستعانة بالله وحده وسؤاله وحده ، ثم ذكر أصلاً عظيماً عليه مدار الوصية وهو تقدير الله عز وجل للأشياء كلها قال ابن رجب: (٢) « واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل ، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه ، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر ، وأن اجتهد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد ألبتة علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع ، المعطي المانع ، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وإفراده بالطاعة ، وحفظ حدوده ، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئاً ، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله ، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي « ٢٥١٦ » وأحمد في مسنده ٢٩٣/١ - وأبو يعلى في مسنده ٢٥٥٦ وله طرق أخرى إلا أن هذه الطريق هي أصحها ، ولذلك قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال ابن منده وغيره : إن هذه الطريق هي أصح الطرق كلها . انظر جامع العلوم والحكم ٤٦١/١

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي الحنبلي - الشهير بابن رجب - الإمام العلامة الحافظ - ولد سنة ( ٧٣٦ هـ ) وله مؤلفات نافعة منها : شرح سنن الترمذي ( مفقود ) وجامع العلوم والحكم ، توفي سنة ( ٧٩٥ هـ ) انظر : الدرر الكامنة ٣٢١/٢ وشذرات الذهب ٣٣٩/٦

وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً ، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً ، وإفراذه بالاستعانة به والسؤال له ، وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء ، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء ودعاء من يرجون نفعه من دونه — قال الله عز وجل : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ (١) . اهـ (٢)

### المسألة الثالثة : الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث .

وهذا من تمام عدم نفع ما يعبد من دون الله ، وفيه حسم لمادة الشرك بالله إذ أنه مع عدم نفعه يضر صاحبه في الآخرة ، فإن من يعبد غير الله تعالى يتبرأ منه معبوده يوم القيامة وينقلب ضداً له وتنقطع بينهما أسباب المودة مع استحكام العداوة ولعن بعضهم بعضاً ، ومن الآيات في هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ، وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ﴾ (٣)

(١) سورة الزمر الآية : ٣٨

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٤٨٤/١ - ٤٨٥

(٣) سورة القصص الآيات : ٦٢ - ٦٤

ومنها قول الله تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ <sup>(١)</sup>

ومنها قول الله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ <sup>(٢)</sup> ومنها قول الله تعالى : ﴿ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ﴾ <sup>(٣)</sup>

ومنها قول الله تعالى : ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ <sup>(٤)</sup>

ومن ذلك ما قاله الله تعالى عن خليفه إبراهيم عليه السلام : ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ <sup>(٥)</sup>

فالآيات السابقة أفادت عدم نفع ما يعبد من دون الله ، بل أفادت وقوع

---

(١) سورة فاطر الآيتان : ١٣ - ١٤

(٢) سورة الاحقاف الآيتان : ٥ - ٦

(٣) سورة مريم الآيتان : ٨١ - ٨٢

(٤) سورة الانعام الآية : ٩٤

(٥) سورة العنكبوت الآية : ٢٥

العداوة والبغضاء مما يدل على بطلان عبادتها ، وأن المستحق لأن يعبد هو الله وحده لا شريك له .

النوع الثالث : تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد وأنه لا حجة ولا برهان لهم في شركهم :  
فهذا النوع فيه مسألتان :

المسألة الأولى : تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد .

المسألة الثانية : بيان أنه لا حجة للمشركين ولا برهان لهم في شركهم .

أما المسألة الأولى : وهي تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد<sup>(١)</sup> :

فهذا يحدث في أوقات الشدة ، فإن المشركين كانوا إذا ركبوا في الفلك واشتدت الرياح هيجاناً وتلاطمت الأمواج وأوشكوا على الغرق أيقنوا أنه لا ينجيهم إلا الله ، فعند ذلك يتركون أصنامهم ويلتجئون إلى الله وحده ، فيحتج الله عليهم بأنه يجب أن يفردوه بالدعاء وحده في السراء والضراء . فمن الآيات في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ هو الذي يسيركم في البر والبحر ، حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه ل نكونن من الشاكرين ، فلما أنجاهم إذا هم يغيثون في الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ، ثم إلينا

---

(١) انظر رسالة الشرك ومظاهره ص : ١٩٤



مرجعكم فتنبئكم بما كنتم تعملون ﴿١﴾

ومنها قوله تعالى : ﴿ قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون ﴾ (٢) ومنها قوله تعالى : ﴿ وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه ، ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا إليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ (٣)

ومنها قول الله تعالى : ﴿ وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً ﴾ (٤)

قال الشيخ محمد الأمين : « لا يخفى على الناظر في هذه الآية الكريمة أن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأحوال خاصة يخلصون العبادة له وحده ولا يصرفون شيئاً من حقه لمخلوق ، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين بالإسلام أسوأ حالاً من عبدة الأوثان فإنهم إذا دهمتهم الشدائد وغشيتهم الأحوال والكروب التجأوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح ، في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله ، مع أن

---

(١) سورة يونس الآيتان : ٢٢-٢٣

(٢) سورة الأنعام الآيتان : ٦٣ - ٦٤

(٣) سورة الزمر الآية : ٨

(٤) سورة الإسراء الآية : ٦٧

الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره ...» (١)

وقال الشوكاني (٢) في تفسير آية يونس المتقدمة: « وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد .... وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما يشابهها ، فيا عجباً لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات ، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون ١ » (٣)

فإذا صفا الفكر واستيقظت الفطرة أيقن الإنسان أنه لا يعبد إلا الله وحده في جميع أنواع العبادات ، وبمثل هذا كان قد أسلم عكرمة بن أبي جهل فقد روى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - ما حصله : « أن النبي ﷺ لما أهدر يوم الفتح دم جماعة منهم عكرمة بن أبي جهل هرب من مكة وركب البحر ، فأصابهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً - فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده فلا جدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم » (٤) . ١ هـ

(١) أضواء البيان ٣ / ٦١٤ - ٦١٥

(٢) محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، ولد سنة ( ١١٧٣ هـ ) بهجرة شوكان باليمن ، له : نيل الأوطار ، والدر النضيد ، وفتح القدير ، وإرشاد الفحول - توفي سنة ( ١٢٥٠ هـ ) انظر : البدر الطالع ٢ / ٢١٤ ومعجم المؤلفين ١١ / ٥٣

(٣) فتح القدير ٢ / ٤٣٥

(٤) ذكر الشوكاني في فتح القدير ٢ / ٤٣٦ - أن هذه القصة أخرجها ابن أبي شيبه وأبو داود والنسائي وابن مردويه .

وأما المسألة الثانية : وهي أنه لا حجة للمشركين ولا برهان لهم في الشرك<sup>(١)</sup> : فهذا نوع من الأدلة العامة التي تبطل على المشركين عبادتهم لغير الله وتلزمهم بإفراد العبادة لله جل وعلا . فإن المشركين قد طولبوا بإقامة الدليل والبرهان على شركهم فعجزوا عن ذلك . وأخبر الله أنهم إنما يستندون في ذلك على تقليد آبائهم الضالين ويتبعون الظن الذي لا يدل على الحق بأي حال . ثم إن الله تعالى يخاطب المشركين بأسلوب فيه ترهيب عسى أن يعودوا إلى صوابهم . فيخبرهم أنهم سيُسألون الحجة والبرهان على شركهم يوم القيامة فيعجزون هناك ، ويعلمون علم اليقين أنهم كانوا على باطل ويندمون على شركهم وتعنتهم ولات حين مندم .

فمن الآيات الدالة على أنه لا حجة للمشركين في شركهم سوى الظن : قول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> قال الحافظ ابن كثير : « ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وأن المشركين يعبدون الأصنام وهي لا تملك شيئاً ولا ضرراً ولا نفعاً ولا دليل لهم على عبادتها بل إنما يتبعون في ذلك ظنونهم وتخرصهم وكذبهم وإفكهم »<sup>(٣)</sup>

ومن هذه الآيات ما قصه الله عن أصحاب الكهف فقال : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ آلِهَةٍ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى

(١) انظر : أضواء البيان ٤ / ٣٠ - ٣٢

(٢) سورة يونس الآية : ٦٦

(٣) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٢٤

الله كذباً ﴿١﴾ قال ابن جرير في قوله : ﴿لولا يأتون عليهم بسلطان بين﴾ :  
 «هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة» ﴿٢﴾ وقال الشيخ محمد الأمين :  
 «(لولا) في هذه الآية الكريمة للتحضيض ، وهو الطلب بحث وشدة ، والمراد  
 بهذا الطلب التعجيز لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسلطان بين على  
 جواز عبادة غير الله تعالى ، والمراد بالسلطان البين : الحجة الواضحة» ﴿٣﴾

ومن الآيات كذلك قول الله تعالى : ﴿ويعبدون من دون الله مالم ينزل به  
 سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير﴾ ﴿٤﴾ ومن الآيات كذلك  
 قول الله تعالى : ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم إن  
 هم إلا يخرصون ، أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا  
 وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في  
 قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم  
 مقتدون﴾ ﴿٥﴾

فهذه الآيات فيها بيان أن المشركين احتجوا بباطل من القول على زعمهم  
 صحة عبادتهم غير الله ، واستندوا في ذلك إلى أمرين ، الأول بمشيئة الرحمن  
 فكان بقاؤهم على الشرك - على زعمهم - مما يرضاه الله ، وظنوا أن عدم

(١) سورة الكهف الآية : ١٥

(٢) جامع البيان ٩ / ١٥ / ٢٠٨

(٣) أضواء البيان ٤ / ٣١

(٤) سورة الحج الآية : ٧١

(٥) سورة الزخرف الآيات : ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣

أخذهم بالعذاب دليل على رضى الله عليهم - والامر الثاني هو استنادهم على تقليد آبائهم وكل ذلك من الحرص والظن ، فدل ذلك على بطلان عبادتهم غير الله ، فلزم من هذا إفراد الله جل وعلا بالعبادة وحده لا شريك له .

ومن الآيات كذلك قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ . ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَالِبُ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْدَّلِيلِ السَّمْعِيِّ وَالْعَقْلِيِّ عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ <sup>(٢)</sup>

وهما حجتان قاطعتان وبرهانان ساطعان إِنَّ وَجُودًا ، وَإِلَّا ، فَإِنَّ الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي خَلَقَ هُوَ الَّذِي يُعْبَدُ لَا الْمَخْلُوقُ الْمَرْبُوبُ وَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ ثُمَّ طَالِبُهُم بِالْدَّلِيلِ السَّمْعِيِّ النَّقْلِيِّ : ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ وَكُلُّ ذَلِكَ لِلتَّعْجِيزِ - وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِثْبَاتَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ - فَدَلَّ عَلَى بَطْلَانِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْوَاجِبَ هُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بِالْعِبَادَةِ <sup>(٣)</sup>

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَيَّنَّ أَنَّهُ سَيَسْأَلُ الْمُشْرِكِينَ حُجَّتَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَنْ يَجِدُوها فِي وَقْتِ هُمْ أَشَدَّ حَاجَةً لِعُذْرٍ يَعْتَذِرُونَ بِهِ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) سورة الاحقاف الآية : ٤

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ٢ / ٤٦٥

(٣) انظر : جامع البيان ١٣ / ٢٦ - ٢ - ٣

(٤) سورة القصص الآيتان : ٧٤ - ٧٥

قال مجاهد <sup>(١)</sup> في قوله : ﴿ فقلنا هاتوا برهانكم ﴾ قال : « حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون » <sup>(٢)</sup> .

فعلم مما تقدم أن من الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بالطواغيت هو ما أقامه الله من الحجة على استحقاقه للعبادة ، ثم بيانه فساد عمل المشركين باتباعهم للظن وعدم إقامتهم للحجة الساطعة على عبادة آلهتهم التي يعبدونها ، وهذا النوع من الاستدلال هو من نوع الإبطال المستلزم لصحة نقيض ما أبطل ، أي إذا بطلت عبادة غير الله بما تقدم من الأدلة الدالة على ضعف غير الله وعجزه ، وبما ثبت من عدم نفع غيره ، بل ثبت ضرره على عابده ، كان نقيض هذا هو الحق ، وهو ترك عبادة غير الله وإفراد الله وحده بالعبادة ، إذ هو وحده المتصف بالصفات التي بها تُستحق العبادة .

#### النوع الرابع : بيان أن الحكم لله وحده شرعاً وجزاءً :

من أنواع الأدلة لتقرير توحيد الألوهية بيان أن الحكم لله تعالى دون سواه . وحكمه تعالى شامل للحكم الشرعي الأمري ، والحكم الجزائي القضائي وهذا من ربوبية الله تعالى ، فإنه جل وعلا قد حكم شرعاً فأمر أن تكون العبادة له وحده دون سواه ، ونهى عن عبادة غيره ، وبَيَّن بطلان عمل المشركين وصحة عمل الموحدين ، وقد بين الله حكمه الجزائي القضائي من نصره لأوليائه الموحدين في

(١) أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي - كان إماماً في التفسير مقدماً فيه على كل من أخذ عن ابن

عباس رضي الله عنهما توفي سنة ( ١٠٢ هـ ) تقريباً انظر : الجرح والتعديل ٣١٩/٨

وسير أعلام النبلاء ٤٤٩/٤

(٢) رواه عنه ابن جرير في تفسيره جامع البيان ١٠٥/٢٠/١١

الدنيا وإثابتهم في الآخرة ، وعذابه الدنيوي والأخروي لأعدائه المشركين به ، وكل ذلك للتفسير من عبادة غيره وإفراده وحده بالعبادة . فتبين من هذا العرض أن هذا النوع شامل لمسائل :

المسألة الأولى : <sup>(١)</sup> من حكم الله الشرعي : الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وتوجيه المشركين إلى سؤاله وحده .

المسألة الثانية : <sup>(٢)</sup> ومن حكمه الشرعي : حكمه ببطلان عمل المشركين وصلاح عمل الموحدين .

المسألة الثالثة : <sup>(٣)</sup> ومن حكمه الجزائي : إثابته لأوليائه الموحدين ونصرهم في الدنيا والآخرة ، وحكمه بنقيض ذلك على المشركين .

أما المسألة الأولى : وهي الأمر بعبادة الله جل وعلا وتوجيه المشركين إلى سؤاله وحده ، فإن الله تعالى قد قال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup>

وقال الله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup>

(١) انظر القواعد الحسان للسعدي ص : ١٨ ورسالة الشرك ومظاهره ص : ١٩٥

(٢) انظر : القواعد الحسان ص : ١٧

(٣) انظر مدارج السالكين ٣ / ٤٥٦ والقواعد الحسان للسعدي ص : ١٩٤

(٤) سورة يوسف الآية : ٤٠

(٥) سورة القصص الآيات : ٦٨ - ٦٩ - ٧٠

فبين الله تعالى أن له الخلق والاختيار ، فهو يخلق ما يشاء ، ويختار ما يشاء ، ولا أحد يشاركه في ذلك ، ولذلك نزه نفسه عن شرك المشركين <sup>(١)</sup> ثم بين الله تعالى انفراده بالحكم ، وهو شامل لكل قضاء يقضيه « فالحلال ما أحله تعالى والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والقضاء ما قضاه » <sup>(٢)</sup>

وإن مما قضاه الله تعالى وصية وأمرأ: عبادته وحده لا شريك له كما قال : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ <sup>(٣)</sup>

وإن الله تعالى وجه المشركين إلى إخلاص الدعاء له وحده فقال تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون ﴾ <sup>(٤)</sup>

وقد بين لهم الله تعالى بطلان دعائهم غير الله بأوجه كثيرة كعجز من يدعونه وأنه مريب مخلوق لا يملك شيئاً .. وقد تقدمت الأدلة في ذلك .... <sup>(٥)</sup>

وإن الله تعالى أمر كل الناس بدعائه وحده لا شريك له وترك الإفساد في الأرض بالشرك وغيره فقال : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩٧ .

(٢) أضواء البيان ٤/ ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٢٣ .

(٤) سورة الأعراف الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .

(٥) انظر : ص : ١١٣ - ١٢٢ .



المعتدين ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴿١﴾

المسألة الثانية : ومن حكمه الشرعي حكمه ببطلان عمل المشركين وصلاح عمل الموحدين :

فمن حكم الله الشرعي حكمه بصلاح عمل الموحدين وحسنه وذلك يوجب تقديمه على كل عمل ، فمن الآيات في هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ <sup>(٢)</sup> قال ابن جرير : « وهذا قضاء من الله جل ثناؤه للإسلام وأهله بالفضل على سائر الملل غيره وأهلها » <sup>(٣)</sup> اهـ

وقال الله تعالى : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة...﴾ <sup>(٤)</sup> أي أنه لا أحد أحسن قولاً ممن آمن بالله ودعا إلى الإيمان به واستسلم لشرع الله فقام بأمره واجتنب نهيه ، ثم بين الله حكمه الشرعي بعدم تساوي الحسنة والسيئة . والظاهر في الكلمتين - أي الحسنة والسيئة - العموم كما قال ابن جرير : « ولا يستوي

---

(١) سورة الأعراف الآيتان : ٥٥ - ٥٦ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٢٥ .

(٣) جامع البيان ٤ / ٥ / ٢٩٧ .

(٤) سورة فصلت الآيتان : ٣٣ - ٣٤ .

الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته » (١)

وقد حكم الله بضلال المشركين وعملهم ، فبين أنه لا أضل من المشركين ، ولا ضلال أبعد من ضلال عملهم ، فهذا حكم شرعي يوجب ترك الشرك فقال : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ﴾ (٣)

وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ يدعو من دون الله مالا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ﴾ (٥)

المسألة الثالثة : ومن حكمه الجزائي : إثابته لأوليائه الموحدين ونصرهم في الدنيا والآخرة ، وحكمه بنقيض ذلك على المشركين :

فإن الله تعالى قد حكى عن إهلاكه للمشركين المكذبين للرسل وإنجائه لأوليائه الموحدين من الرسل وأتباعهم ، وأبقى لنا وسائل لتعرف على صدق ذلك بما نراه ونسمعه بطرق قطعية ، ثم يذكر أن في ذلك آية ، أي علامة على صحة

---

(١) جامع البيان ١٢/٢٤/١١٩

(٢) سورة النساء الآية : ١١٦

(٣) سورة الاحقاف الآية : ٥

(٤) سورة الأنعام الآية : ٧٤

(٥) سورة الحج الآية : ١٢

استحقاقه للعبادة وأن عبادة غيره باطلة لا نفع فيها بل فيها ضرر .

فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ <sup>(١)</sup> فقال تفصيلاً عن ثمود : ﴿ ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون ، قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾ « إلى أن قال عنهم » ﴿ فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقد قص الله عز وجل في سورة الشعراء قصص الرسل مع أقوامهم ، وأنهم جاءوهم بالتوحيد ، فيقع التكذيب من أكثر الناس ، فينزل الله عليهم عذابه بسبب ذلك ويذكر إنجاءه للموحدين ثم يقول : ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ <sup>(٣)</sup> والآية : العلامة ، أي علامة على صحة استحقاقه العبادة وبطلان عبادة غيره .

وهذا الذي ذكره الله من تعذيب المشركين به وإنجاء الموحدين كله في الدنيا .

وأما في الآخرة فالنصوص كثيرة جداً فمنها قول الله تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) سورة العنكبوت الآية : ٣٨

(٢) سورة النمل الآيات : ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٨ - ٩ ، ٦٧ - ٦٨ ، ١٠٣ - ١٠٤ ، ١٢١ - ١٢٢ ، ١٣٩ -

١٤٠ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ١٧٤ - ١٧٥ ، ١٩٠ - ١٩١

(٤) سورة المائدة الآية : ٧٢

وقال تعالى : ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ (١)  
وفي الموحدين يقول رسول الله ﷺ « من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » (٢).

**النوع الخامس : إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله للعبادة وحده :**

فإن الرسل جميعهم قد جاءوا بإخلاص الدين كله لله واتفقوا على ذلك ،  
وهذه حجة برهانية في أن الله هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له وأنه لا  
منازع له في ذلك ، ولذلك يطالب المشركين بأن يذكروا ما عندهم من براهين  
توجب العبادة لغير الله سواء كانت سمعية أو عقلية ، فلم يستطيعوا إثبات ذلك  
وقد تقدم شيء من ذلك (٣).

أما الآيات في هذه المسألة فمنها قول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة  
رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٤) وقال : ﴿ واسأل من أرسلنا  
من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ (٥) وقال تعالى :  
﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

---

(١) سورة الإسراء - الآية : ٣٩

(٢) أخرجه مسلم ٩٤/١ عن جابر في كتاب الإيمان - باب - ٤٠ - من مات لا يشرك بالله

شيئاً دخل الجنة برقم : ٩٣

(٣) انظر : ص : ١٢٥ - ١٢٨

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦

(٥) سورة الزخرف الآية : ٤٥

فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون ، أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم ، هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿١﴾

وهذا يوضح بطلان ما عليه المشركون من الشرك بالله تعالى ، فإنه لا مستند لهم في إشراكهم بالله غيره من دليل سمعي ولا عقلي ، بل الأدلة كلها السمعية والعقلية على خلاف افتراءهم وزعمهم ، فالذي خلق هو الذي يُعبد وهو الذي يشكر على ما أنعم ، وهو الأمر الناهي قُلْتَنَزَمُ أمره ونهيه - وذلك الذي اتفقت عليه الرسل ، فالرسل كلهم على تباعدهم في الأزمنة والأمكنة مع كمال صدقهم وظهور الآيات والبراهين الدالة على صدقهم ، اتفقوا على وجوب عبادة الله وحده وتحريم الشرك به ، فأيات الرسل دالة على صحة دعواهم النبوة والرسالة وعلى وحدانية الله ، قال الله تعالى مبيناً معجزة القرآن ودلائلها: ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون ﴾ (٢) فبين الله أنه بالمعجزة تثبت الرسالة والوحدانية . واتفاق الرسل على هذا المبدأ دليل آخر على وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة غيره .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيات ٢١ - إلى ٢٥ .

(٢) سورة هود ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

## المطلب الثاني

### وجه دلالة العقل والنقل على توحيد الألوهية

وجه دلالة العقل على ذلك هو العلم بحسن التوحيد وقبح الشرك ، فالعقل يدرك حسن عبادة الله الذي خلق فأحسن خلقه مع اتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقص ، فهو المحسن إلى خلقه بأنواع النعم والمتفضل عليهم بأنواع الفضائل ، فكل ذلك يدل على حسن عبادته رغبة فيما عنده من الخير ، والعقل كذلك يدرك قبح عبادة غير الله ، إذ كل من هو دون الله مخلوق مريبوب فقير إلى ربه ، لا يملك شيئاً ، فكيف يُعطى شيئاً لا يستحقه ويُساوى بالخالق المنعم ، خاصة وأن النفوس مفضولة على الإقرار بالله والميل إلى ما ينفع ويُرجى نفعه . وأما السمع فإنه دال على ما تقدم من حسن التوحيد وقبح الشرك ويزيد على دلالة العقل : بإثبات العقاب على ترك التوحيد والثواب على تحقيقه . وأدلة القرآن دالة على أن العقل يعلم حسن التوحيد وقبح الشرك دون إثبات الجزاء ، فمن ذلك :

الأول : أنه قد ورد في القرآن ضرب الأمثلة على بطلان الشرك وهي مقاييس عقلية ، فلو لم يكن العقل مدركاً لقبحه وحسن التوحيد لما ضرب الله هذه الأمثلة ولا كتفى بالأمر بتوحيده والنهي عن الشرك به .

ومن الآيات الواردة بضرب الأمثلة قول الله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو يتنفق منه سرّاً وجهراً ، هل يستوون ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ، وضرب الله مثلاً رجلين

أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير  
هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴿١﴾ ، ففيها مثلاً ؛

فالمثل الأول : مثل الكافر والمؤمن - والثاني : مثل ضربه الله ليبين عدم  
استحقاق غيره للعبادة بضعفه وعدم قدرته ، وعدم فهمه وعقله . وأما الله  
سبحانه فهو الذي يأمر بالعدل وهو التوحيد <sup>(٢)</sup>

وقال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً  
سليماً لرجل ، هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ <sup>(٣)</sup> وهذا  
مثل ضربه الله للمشرك الذي يعبد آلهة شتى ، وللموحد الذي يعبد إلهاً واحداً  
وهو الله <sup>(٤)</sup> لينبه على قبح الشرك وحسن التوحيد . <sup>(٥)</sup>

الثاني : ما أقامه الله من الأدلة العقلية لاستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له  
كتفرده بالخلق والتدبير والرزق . . . . . وعدم استحقاق غيره لذلك .. <sup>(٦)</sup>

فلو لم يكن فيما أقامه من أدلة عقلية فائدة لاكتفى بالأمر بالتوحيد والنهي  
عن الشرك دون أن يلزمهم باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا له بتوحيد الألوهية .

---

(١) سورة النحل الآيتان : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨ / ١٤ / ١٥٠ - ١٥١ - وتفسير البغوي ٥ / ٣٣ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٢٩ .

(٤) انظر : تفسير البغوي ٧ / ١١٨ . وانظر : جامع البيان للطبري ١٢ / ٢٣ / ٢١٣ .

(٥) انظر : مدارج السالكين ٣ / ٤٥٣ .

(٦) وقد تقدمت هذه الأدلة ص : ١٠٧ - ١٢٠ .

وقد تقدم ما أبقاه الله من أدلة عقلية يراها ويسمعوها الناس تدل على قبح الشرك من إهلاكه عاداً وثمرد وإنجائه للموحددين : <sup>(١)</sup> كما قال : ﴿ وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ﴾ <sup>(٢)</sup> . وما ذكره بعد إهلاكه للمشركين وإنجائه للموحددين بقوله : ﴿ إن في ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ <sup>(٣)</sup> والآية هي العلامة الدالة على ماهي علامة له ، فهذا الخبر متضمن لدليل عقلي وهو : لو كان ما عليه المشركون صحيحاً لما أهلكهم الله ، ولو كانت عبادة الآلهة التي عبدت دون الله صحيحة لنفعت أصحابها بكف العذاب ودفعه . وقال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ أفكأ آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين ﴾ إلى قوله : ﴿ أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ <sup>(٤)</sup> فخطاب إبراهيم عليه السلام لقومه خطاب عقلي وهو : ما ظنكم بربكم إذا لقيتموه يوم القيامة وقد عبدتم غيره أن يفعل بكم ، وما ظنكم به من ظن السوء حتى عبدتم غيره ! مع أن الأصنام التي عبدوها لم تدفع عن نفسها ضرراً إذ قام بتحطيمها ، وهي كذلك مخلوقة مربوبة مثل من يعبدها بل أقل شأنًا ! فكيف يستقيم عقل من يعبدها ! .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فهذا كله يبين قبح ما كانوا عليه قبل النهي . فلو لا أن حسن التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له وقبح الشرك ثابت

(١) انظر : ص : ١٠٤

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٢٨

(٣) سورة الشعراء الآيتان : ٨ - ٩ ووردت في أكثر من موضع كما تقدم في ص : ١٣٣

(٤) سورة الصافات الآيات ٨٦ - ٨٧ إلى الآية : ٩٦



في نفس الأمر معلوم بالعقل لم يخاطبهم بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئاً يذمون عليه» (١)

ويؤكد هذا ما جاء في استعمال القرآن بعد ضرب الأمثلة وإقامة الأدلة من مخاطبة العقول بقوله : ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ وهذه الآية جاءت بعد مثل ضربه الله عز وجل ليبين أنه أولى بالتنزيه عن الشركاء من الأسياد من البشر في عدم رضاهم بمشاركة ممليكهم لهم في حقهم (٢) فقال : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ، هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣)

الثالث : مطالبة الله المشركين بالدليل العقلي والسمعي على شركهم :

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين ﴾ (٤) قال ابن القيم : « فطالبهم بالدليل السمعي والعقلي » (٥).

فمطالبتهم إياهم بالدليل العقلي وهو في قوله : ﴿ أروني ماذا خلقوا من

---

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ٦٨١-٦٨٢

(٢) سيأتي تفسير هذه الآية بتوسع في مبحث قياس الأولى إن شاء الله ص : ٤٧١

(٣) سورة الروم الآية : ٢٨

(٤) سورة الاحقاف - الآية : ٤

(٥) الصواعق المرسله ٢ / ٤٦٥

الأرض أم لهم شرك في السموات ﴿ دليل على أن العقل يعلم بطلان صرف شيء من العبادة لغير الله ، إذ العابد إنما يرجو ممن يعبده نفعاً أو دفع ضرر عنه - والذي لا يخلق ولا يملك شيئاً لا استقلالاً ولا شركة ضعيف فقير عاجز لا يغني شيئاً فلم يستحق أن يُعبد .

وأما العقاب على ترك التوحيد فهذا لا يكون إلا بعد ورود الشرع - كما قال ابن القيم : « إن العقاب على ترك هذا الواجب يتأخر إلى حين ورود الشرع كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا ... ﴾ <sup>(٢)</sup> وقوله : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ <sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ <sup>(٤)</sup> فهذا يدل على أنهم ظالمون قبل إرسال الرسل وأنه لا يهلكهم بهذا الظلم قبل إقامة الحجة عليهم . » <sup>(٥)</sup> وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فينبغي أن يُعلم أن استحقاق العباد للعذاب بالشرك فما دونه مشروط ببلاغ الرسالة في أصل الدين وفروعه » <sup>(٦)</sup>

(١) سورة الإسراء الآية : ١٥

(٢) سورة الملك الآيتان : ٨-٩

(٣) سورة القصص الآية : ٥٩

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٣١

(٥) مدارج السالكين ٣ / ٤٥٣ - ٤٥٤

(٦) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام ضمن جامع الرسائل ٢ / ٢٩٣

وقد استوفى ابن القيم هذه المسألة في كتابه مفتاح دار السعادة<sup>(١)</sup> وسيأتي الكلام عن مسألة التحسين والتقبيح العقليين إن شاء الله.<sup>(٢)</sup>

---

(١) انظرها في المجلد الثاني ص : ١١ - ١١٨

(٢) انظر : ص : ٢٦٠ - ٢٦٢ ، ٣٣٩ - ٣٤٣

## الفصل الثاني

### منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية

وفيه مبحثان : -

المبحث الأول : منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الألوهية .

المبحث الثاني : منهج الأشاعرة في أدلة توحيد الألوهية .

---

مع ملاحظة أن أكثر الأشاعرة إن لم نقل كلهم لا يعدون توحيد الألوهية ضمن أنواع التوحيد ، مع إقرارهم كلهم أنه لا يستحق العبادة إلا الله ، ولكن وضع هذا العنوان هكذا ليعلم مدى موافقتهم ومخالفتهم لأهل السنة فيه .

## المبحث الأول

### منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الألوهية

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : أسباب عدم إفراد المتقدمين من الأشاعرة لهذا التوحيد بالتصنيف .

المطلب الثاني : عدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد الألوهية وأسباب ذلك .

المطلب الثالث : صلة الأشعرية بالصوفية وأثر هذه الصلة .

المطلب الرابع : اعتراضات المتأخرين من الأشاعرة على إدخال توحيد الألوهية ضمن أنواع التوحيد .

المطلب الخامس : الشبهات الرئيسة للمتأخرين من الأشاعرة في بعض مظاهر الشرك .

## المطلب الأول

### أسباب عدم تصنيف الأشاعرة في توحيد الألوهية

إن المتتبع لما صنفه علماء الأشاعرة في التوحيد، يجد كتبهم خالية من ذكر توحيد الألوهية، إلا ما ذكره بعض المتقدمين في تعريف التوحيد المتضمن لتوحيد الألوهية<sup>(١)</sup>، وإنكار بعضهم بعض أنواع الشرك التي حدثت في أزمانهم<sup>(٢)</sup>. فعدم تفصيل القول فيه من المتقدمين والمتأخرين<sup>(٣)</sup> وعدم إفراده بالبحث له أسباب، وهذه الأسباب - والله أعلم - تختلف عند المتقدمين منها عند المتأخرين. ولذلك يمكن القول بأن بعض مسائل توحيد الألوهية غير واضحة في المنهج الأشعري، وكذلك هذه المسائل تختلف عند المتقدمين منها عند المتأخرين. السبب الأول: والذي يظهر - والله أعلم - أن المتقدمين منهم لم يصنفوا تصانيف مستقلة بالبحث في حقيقة توحيد الألوهية وما يضاده من الشرك ومظاهره، لأنه لم يظهر ما ظهر عند المتأخرين من جماهير الطوائف من مظاهر الشرك وذرائعه ووسائله.

والذي يؤكد هذه الحقيقة هو أن علماء أهل السنة والجماعة الذين ردوا على الأشعرية وغيرهم لم يذكروا - فيما أعلم - مسائل توحيد الألوهية فيما خالف

---

(١) كما سيأتي إن شاء الله في ص / ١٤٥

(٢) وسيأتي كذلك إن شاء الله في ص / ١٥٠-١٥٣

(٣) أعني بالمتأخرين: من عاش في القرن الثامن - ومن عاش فيه السبكي، وكتابه «شفاء السقام» اعتمد عليه من جاء بعده في الشبهات! ويتضح الأمر أكثر في القرون التي تليه خاصة قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - إلى يومنا هذا. وانظر ما نقلته عن بعضهم: ص / ١٦٦، ١٨٥-١٩٥.

فيه أولئك ، فلو كان عندهم شيء مخالف لذكروه وردوا عليه ، بل إنهم كانوا يذكرون في الرد على المبتدعة من الحجج والبراهين المُقدمات التي يسلمون بها ليفحموهم . فمن ذلك : الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق ، فإن الأئمة ذكروا في مقدمات برهانهم أن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز ، وقد وردت أدلة نقلية بالاستعاذة بكلمات الله ، فالنتيجة إذن : إن كلام الله غير مخلوق . والأشاعة ممن يقول إن كلام الله - يعنون النفسي - غير مخلوق ، فلو كانت هذه الحجة غير صحيحة لما أقروا بها - كيف وقد وجد منهم من يستدل بها <sup>(١)</sup> .

وبالجملة : فهذا يؤكد أن المتقدمين من الطوائف - وقدماء الأشاعرة منهم - لم يكونوا ينازعون في أن الاستعاذة بغير الله لا تجوز ، وكذلك الدعاء والاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والحلف ، وغير ذلك من المسائل التي كثر انحراف المتأخرين فيها .

وقد نص بعض المتقدمين من أئمة الأشاعرة على توحيد الألوهية ، فمن ذلك مقال الباقلائي : « والتوحيد له هو : الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء » <sup>(٢)</sup> وقال أيضاً في مسألة وحدانية الله : « ومعنى ذلك : أنه ليس معه إله سواه ولا من يستحق العبادة إلا إياه » <sup>(٣)</sup>

---

(١) انظر ما تقدم في ص / ٦٢ ويظهر من صنيع البيهقي أنه يحتج بهذه الحجة أيضاً ، انظر كتابه

الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص / ١٠٠ - ١٠١

(٢) الإنصاف للباقلاني ص / ٣٤

(٣) المصدر السابق ص / ٤٩

ومن صرح به من المتأخرين : الباجوري ، حيث قال معرباً للتوحيد : « وهو أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً » (١) .  
ومما يؤكد أنهم كانوا يعرفون ما يجهله كثير من الناس في هذا الزمان من أن الدعاء والرغبة والرغبة والرجاء والخوف لا يكون إلا بالله ولله ومن الله - ما ورد من أقوالهم في ذلك وتحذيرهم من بعض صور الشرك وذرائعه .  
مسألة : كلمات لبعض المتقدمين من الأشعرية تفيد أن الدعاء من العبادة وأنه لا يجوز دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله بخلاف المتأخرين : -

قال الحلبي (٢) : « والدعاء (في) (٣) الجملة من جملة التخشع والتذلل ، لأن كل من سأل ودعا ، فقد أظهر الحاجة وباح واعترف بالدلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله ، فكان ذلك في العبد نظير العبادات التي يتقرب بها إلى الله عز اسمه ، ولذلك قال الله عز وجل : ﴿ ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (٤) ، فأبان (أن) (٥) الدعاء عبادة ، والخائف فيما وصفنا كالراجي ، لأنه إذا خاف خشع وذلل لمن يخافه ، وتضرع إليه

(١) تحفة المريد للباجوري ص ١٠ /

(٢) هو أبو عبد الله الحسيني بن الحسن البخاري الشافعي ولد سنة (٣٣٨ هـ) وهو صاحب

كتاب المنهاج في شعب الإيمان . توفي سنة (٤٠٣ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣١ وطبقات السبكي ٤ / ٣٣٣ .

(٣) في الأصل (و) - ولا يستقيم الكلام بها .

(٤) سورة غافر الآية : ٦٠

(٥) هذه زيادة مني ليتضح الكلام .



في طلب التجاوز عنه»<sup>(١)</sup> ، وقال أيضاً: «... إنه لا ينبغي أن يكون الرجاء إلا لله جل جلاله (إذ)<sup>(٢)</sup> كان المنفرد بالملك والدين، ولا يملك أحد من دونه نفعاً ولا ضرراً. فمن رجا ممن لا يملك ما لا يملك فهو من الجاهلين، وإذا علق رجاءه به جل ثناؤه فينبغي أن يسأله ما يحتاج إليه صغيراً وكبيراً لأن الكل بيده، لا قاضي للحاجات غيره، وسؤاله إنما يكون بالدعاء...»<sup>(٣)</sup>

وقال الرازي: «وقال الجمهور الأعظم من العقلاء: إن الدعاء أهم مقامات العبودية ويدل عليه وجوه من النقل والعقل...»<sup>(٤)</sup> ثم سرد الأدلة.

وقال: «... إنه تعالى لم يقتصر في بيان فضل الدعاء على الأمر به، بل بين في آية أخرى أنه إذا لم يُسأل يغضب، فقال: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾»<sup>(٥)</sup>، وقال عليه السلام: «لا ينبغي أن يقول أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن يجزم فيقول اللهم اغفر لي»<sup>(٦)</sup>، وقال عليه السلام: «الدعاء مخ

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥١٧.

(٢) في الأصل (إذا) والأظهر ما أثبتته.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥٢٠.

(٤) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٥/ ٩٨.

(٥) سورة الأنعام الآية ٤٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن

شئت ٤/ ٢٠٦٣ - رقم ٢٦٧٩. وذكره الرازي بالمعنى.

العبادة»<sup>(١)</sup> - وعن النعمان بن بشير أنه عليه السلام قال : « الدعاء هو العبادة »<sup>(٢)</sup> وقرأ : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾<sup>(٣)</sup> - فقله : « الدعاء هو العبادة » معناه : أنه معظم العبادة وأفضل العبادة ، كقله عليه السلام : « الحج عرفة »<sup>(٤)</sup> أي الوقوف هو الركن الأعظم »<sup>(٥)</sup> ١ هـ .

وقال أيضاً : « كل من اتخذ لله شريكاً فإنه لا بد وأن يكون مُقَدِّماً على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه ، إما طلباً لنفعه أو هرباً من ضرره ، وأما الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والأضداد ، ولم يعبدوا إلا الله ، ولم يلتفتوا إلى غير الله - فكان رجاءهم من الله وخوفهم من الله ورغبتهم في الله ورهبتهم من الله فلا جرم لم يعبدوا إلا الله ولم يستعينوا إلا بالله ، فلهذا قالوا : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فكان قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قائماً

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤٥٦/٥ كتاب الدعوات باب / ١ ما جاء في فضل الدعاء رقم / ٣٣٧١ وقال الترمذي « هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة » فعلى هذا فالحديث ضعيف . ويغني عنه الحديث الذي ذكره بعده .

(٢) تقدم تخريجه ص ٦١

(٣) سورة غافر الآية : ٦٠ .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ٤٨٥/٢ كتاب الحج باب / ٦٩ من لم يدرك عرفة رقم ١٩٤٩ ، والنسائي في سننه ٢٥٦/٥ ، كتاب مناسك الحج - باب فرض الوقوف بعرفة ، وابن ماجه في سننه ١٠٠٣/٢ كتاب المناسك باب / ٥٧ من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ٣٠١٥ وفيه : قال محمد بن يحيى : « ما أرى للشوري حديثاً أشرف منه » ، وابن الجارود في المنتقى ص ١٦٥ برقم ٤٦٨ وأحمد ٣٠٩-٣١٠ ، ٣٣٥ وأبو داود الطيالسي في مسنده ص / ١٨٥ برقم ١٣٠٩ ، والحميدي في مسنده ٣٩٩/٢ برقم ٨٩٩ .

(٥) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ٩٩/٥ .

مقام لا إله إلا الله» (١).

ومن النقل المتقدم عن الحلبي والرازي تتضح بعض الحقائق وهي :

( ١ ) التلازم بين الدعاء وبين اعتقاد التأثير كما في قول الحلبي : « كل من سأل ودعا فقد أظهر الحاجة وباح واعترف بالذلة والفقر والفاقة لمن يدعوه ويسأله وفي قول الرازي : « كل من اتخذ لله شريكاً فإنه لا بد وأن يكون مقدماً على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه إما طلباً لنفعه أو هرباً من ضرره » ثم أكد هذا الأمر بذكر حال الموحدين .

( ٢ ) إن الدعاء من العبادة، بل هو أهم مقامات العبودية - كما نص الرازي عليه - ومنه الاستعانة والاستغاثة - وذكرنا كذلك من جملة العبادة : الخوف والرجاء والرغبة والرغبة، وكلها يتوجه بها العبد إلى الله .

( ٣ ) ذكر الرازي أن الله يغضب إذا لم يُدع ، واستدل لذلك . فيقال إذاً : فكيف إذا دُعي غيره ؟ .

والأقوال المتقدمة فيها رد على زعم كثير من المتأخرين ، الذين يجيزون دعاء غير الله تعالى مطلقاً ، وعلى قولهم : إن ذلك لا يكون شركاً إلا إذا اعتقد الداعي التأثير في المدعو غير الله ! إذ اعتقاد التأثير قائم ، وإلا لما لجأ إلى ذلك المدعو .

ثم إنه لما حدثت وظهرت بعض ذرائع الشرك ومظاهره عند بعض المسلمين

---

( ١ ) تفسير الرازي - مفاتيح الغيب ١ / ٢٤٥ .

أنكر بعض أئمة الأشاعرة ذلك - ومن هؤلاء: الرازي <sup>(١)</sup> وأبو شامة <sup>(٢)</sup> .

**الأول: قول الرازي:** ذكر الرازي في تفسير قول الله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ <sup>(٣)</sup> ، اختلاف العلماء في كيفية اتخاذ المشركين للشفعاء ، فذكر ستة أقوال ، فذكر بعد الثلاثة الأولى قوله: « ورابعها: أنهم وضعوا هذه الأصنام والأوثان على صور أنبيائهم وأكابرهم ، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فإن أولئك الأكابر يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره في هذا الزمان: اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله » <sup>(٤)</sup> ثم قال بعد أن فرغ من عد الأوجه الستة: « وأعلم أن كل هذه الوجوه باطلة بالدليل الذي ذكره الله تعالى وهو قوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ . » <sup>(٥)</sup> اهـ .

**الثاني: قول أبي شامة:** فإنه قسم البدعة المستقبحة إلى قسمين: قسم تعرفه الخاصة والعامة ، وقسم هو دون ذلك وقد يُظن أنه عبادة وقربة وطاعة - ثم بدأ الحديث عن القسم الأول فقال: « ... لكن نبين من هذا القسم مما وقع فيه

(١) ترجمته في ص / ٦٨٧

(٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المشهور بابي شامة ، شافعي المذهب ولد سنة (٥٩٩ هـ) ألف كتابه في الرؤية على طريقة الأشاعرة - توفي سنة (٦٦٥ هـ) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٤٦٠ وطبقات السبكي ٨ / ١٦٥ .

(٣) سورة يونس الآية : ١٨

(٤) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١٧ / ٦٠

(٥) تفسير الرازي مفاتيح الغيب ١٧ / ٦٠

جماعة من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام التاركين لأئمة الدين والفقهاء ، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين إلى الفقر <sup>(١)</sup> الذي حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن ! ، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون في نهار رمضان من غير عذر ، ويتركون الصلاة ويخامرون النجاسات غير مكترئين لذلك فهم داخلون تحت قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها ، ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمد ، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد ، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية ، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه ، مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ، ويظنون أنهم متقربون بذلك ، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ، فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر . وفي مدينة دمشق - صانها الله تعالى من ذلك - مواضع متعددة كعويّنة الحمى خارج باب توما ، والعمود المخلق داخل الباب الصغير ، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من مع أصلها . فما أشبهها بذات أنواط

---

(١) يعني بهم الصوفية !

(٢) سورة الشورى الآية : ٢١ .

الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق<sup>(١)</sup> وسفيان بن عيينة<sup>(٢)</sup> عن الزهري<sup>(٣)</sup> عن سنان بن سنان<sup>(٤)</sup> عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها» وفي رواية: «خرجنا مع النبي ﷺ - قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر. وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله - وفي الرواية الأولى: وكانت تسمى ذات أنواط - فمررنا بسدرة - شجرة عظيمة خضراء فتنادينا من جنبتي الطريق ونحن نسير إلى حنين؛ يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ: «الله أكبر! هذا كما قال قوم موسى لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، قال إنكم قوم تجهلون»<sup>(٥)</sup>، لتركين سنان من كان قبلكم» أخرجه الترمذي بلفظ آخر والمعنى واحد وقال

(١) أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المظلي مولاهم، ولد سنة (٨٠ هـ)، وهو صدوق في نفسه حجة في الأخبار والمغازي توفي سنة (١٥٠ هـ) انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣/٧ وتقريب التهذيب ص ٤٦٧/ برقم ٥٧٢٥.

(٢) أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الكوفي الإمام الحافظ الحجة الفقيه ولد سنة (١٠٧ هـ) وتوفي سنة (١٩٨ هـ) انظر: الجرح والتعديل ١/٣٢ و ٤/٢٢٥ وسير أعلام النبلاء ٨/٤٥٤ وتقريب التهذيب ص ٢٤٥ / برقم ٢٤٥١.

(٣) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الإمام الحجة الحافظ الفقيه ولد سنة (٥٠ هـ) وتوفي سنة (١٢٥ هـ) انظر: الجرح والتعديل ٨/٧١ وسير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ وتقريب التهذيب ص ٥٠٦ / ورقم ٩٦.

(٤) الصواب أن اسمه: سنان بن أبي سنان وهو الديلمي المدني ثقة من التابعين، ولد سنة (٢٣ هـ)، وتوفي سنة (١٠٥ هـ) انظر تقريب التهذيب ص ٢٥٦/ برقم ٢٦٤١.

(٥) سورة الأعراف الآية: ١٣٨.

حديث حسن صحيح <sup>(١)</sup> ، قال الإمام أبو بكر الطرطوشي <sup>(٢)</sup> رحمه الله تعالى في كتابه المتقدم ذكره <sup>(٣)</sup> ، فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرية أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فاقطعوها فهي ذات أنواط <sup>(٤)</sup>

**السبب الثاني : من أسباب عدم تصنيف الأشاعرة في توحيد الألوهية :**

إن الأشاعرة كلهم قد اتفقوا على عدم عد توحيد الألوهية أول واجب ، واشتغلوا بأمور أخرى زعموا أنها أول واجب على المكلف كالنظر أو القصد إلى النظر المؤدي إلى معرفة وجود الله ومن ثم وحدانيته في الذات والأفعال ، وسلكوا في ذلك طرقاً معتاصرة على الفهم ، وانفتحت عليهم أبواب الشكوك والشبهات وصعب حلها ، فإذا أضيف إلى هذا السبب ما تقدم في السبب الأول من عدم ظهور الشرك في زمن المتقدمين علم وجه عدم تصنيفهم لهذا النوع من التوحيد .

**السبب الثالث :** وهو خاص بالتأخرين الذين خالفوا في بعض مسائل توحيد الألوهية فهم فاقدون للعلم الصحيح فيه فأنى لهم إذاً أن يصنفوا فيه ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه ، بل الملاحظ تصنيف كثير منهم كتباً للرد على أهل السنة في هذه المسائل كما سيتضح إن شاء الله .

(١) سنن الترمذي ٤ / ٤٧٥ كتاب الفتن باب ١٨ ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم برقم ٢١٨٠

وأخرجه كذلك ابن أبي عاصم في السنة ١ / ٣٧ برقم ٧١ وأحمد في المسند ٥ / ٢١٨ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي ، ولد سنة

(٤٥١ هـ) وتوفي سنة (٥٢٠ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ١٩ / ٤٩٠ والديباج المذهب لابن

فرحون المالكي ٢ / ٢٤٤ .

(٣) ويعني به كتاب : الحوادث والبدع - والنص الذي نقله أبو شامة موجود في كتاب

الطرطوشي ٣٨-٣٩ .

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص ٤٠ - ٤٢ .

## المطلب الثاني

### عدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد الألوهية وأسباب ذلك

مع كل ما تقدم من النقل عن كبار الأشعرية في بيان بعض العبادات التي جهلها المتأخرون ، وبيانهم لبعض مظاهر الشرك ، يبقى القول بأن منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية غير واضح المعالم وذلك لأسباب خمسة وهي :

**السبب الأول :** تعريف كلمة (إله) عند الأشعرية : فإنه قد عرّف كثير من الأشعرية كلمة (إله) بأنه القادر على الاختراع، فمن ذلك ما نسبته البغدادي إلى أبي الحسن الأشعري فقال : « واختلف أصحابنا في معنى الإله : فمنهم من قال إنه مشتق من الإلهية، وهي : قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري »<sup>(١)</sup>، ثم اختار البغدادي القول بأنه غير مشتق !

وقد حكى الرازي هذا القول ذاكراً دليلاً دون أن يُسمي قائله ، فقال في صدد حكاية مذاهب الناس في أصل اشتقاق اسم الله تعالى (الله) قال : « القول السابع : الإله من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع، والدليل عليه أن فرعون لما قال : ﴿ ما رب العالمين ﴾<sup>(٢)</sup> : قال موسى في الجواب : ﴿ رب السموات والأرض ﴾<sup>(٣)</sup> فذكر في الجواب عن السؤال الطالب لماهية الإله : القدرة على

---

(١) أصول الدين للبغدادي ص ١٢٣ .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢٣

(٣) سورة الشعراء الآية : ٢٤



الاختراع، ولولا أن حقيقة الإلهية هي القدرة على الاختراع لم يكن هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال<sup>(١)</sup>.

### والجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إن فرعون كان متظاهراً بإنكار وجود رب العالمين - بل كان يدّعي أنه رب العالمين بقوله : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى : ﴿فاستخف قومَه فأتاعوه﴾<sup>(٣)</sup>، وقال : ﴿فأطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كاذِباً﴾<sup>(٤)</sup>، ولذلك كان سؤاله بقوله : ﴿وما رب العالمين﴾ سؤالاً عن وصف الرب تعالى وليس سؤالاً عن الماهية، إذ السؤال عن ماهية الشيء فرع الإقرار به، - وهو لا يقر بالله متظاهراً - فمن لم يقر بشيء لا يسأل عن ماهيته<sup>(٥)</sup>، فمن سأل عن ماهية الإنسان فقال : ما الإنسان ؟ فإن ذلك فرع إقراره بوجوده ، وكذلك هنا<sup>(٦)</sup>.

ولذلك فإن فرعون لم يكن قد سأل عن حقيقة الإلهية وإنما سأل عن وصف الرب الذي يتظاهر بإنكاره . ويوضح هذا آية أخرى وهي : ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾<sup>(٧)</sup>، ومعلوم أن «مَنْ» لا يسأل بها عن ماهية الشيء وحقيقته، وإنما

---

(١) شرح أسماء الله الحسنی للرازي ص ١٢٤ .

(٢) سورة النازعات الآية : ٢٤

(٣) سورة الزخرف الآية : ٥٤ .

(٤) سورة غافر الآية : ٣٧

(٥) انظر تفسير ابن كثير ٣ / ٣٣٢ .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٦ / ٣٣٤ .

(٧) سورة طه - الآية ٤٩ - وانظر ص / ٢٧٧ من هذا الكتاب .

حقيقة معنى الإلهية هي : استحقاق الله للعبادة بما له من صفات الكمال وتترجمه عن صفات النقص ، وقد دلت الأدلة على ذلك <sup>(١)</sup> .

الوجه الثاني : إنه لو كان معنى إله : القادر على الاختراع كان معنى لا إله إلا الله أي : لا خالق إلا الله ولا قادر على الاختراع إلا هو ، وهذا المعنى كان يقول به المشركون ، ولذلك يحتج الله عليهم بمعرفتهم هذه بقوله : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> أي تعلمون أنه لا رب لكم غيره ، كما نُقل ذلك عن جمع من المفسرين <sup>(٣)</sup> .

فلو كان المعنى ما ذكره هؤلاء المتكلمون لما استقام الإنكار على المشركين الذين يقرون بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء . وإنما كان شركهم في الألوهية <sup>(٤)</sup> .

الوجه الثالث : إن هذا القول غير معروف عند أهل اللغة ، ولذلك لم يحتج من قال بهذا القول بشاهد من شواهد لغة العرب ولا بنقل إمام معتبر من أئمة اللغة <sup>(٥)</sup> .

أما القول بأنه غير مشتق أصلاً فسيأتي رده إن شاء الله في مبحث الأسماء الحسنى <sup>(٦)</sup> .

---

(١) انظر ص / ٥٤ ، ٦٩ - ٧٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢ .

(٣) انظر ما نقل عنهم في هذا الكتاب ص / ٨٥ وجامع البيان للطبري ١/١/١٦٣ .

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٧٦ .

(٥) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٧٦ .

(٦) انظر ص ٤٧٧ - ٤٧٨ - وانظر ص / ٣٧٦ .

وهذا التفسير الذي ذكره أولئك الأشعرية له مفسد كثيرة ، منها أن هذا التفسير يُصير توحيد الربوبية هو أول الواجبات ، مما يؤدي إلى عدم الاعتناء بتوحيد الألوهية اعتناءً جيداً ، بل يؤدي إلى عدم معرفته حق المعرفة ، إذ يتصور كثير من عوامهم بل من نسب إلى العلم من المتأخرين منهم أن شرك المتقدمين كان لاعتقادهم بعض صفات الربوبية في الأصنام والأوثان ، فغفل كثير منهم عن حقيقة الشرك وبعض مظاهره ، فوقعوا في الشرك بالله من الاستغاثة بغير الله والذبح لغيره وغير ذلك .

أما على قولهم الثاني وهو أن اسم الله تعالى غير مشتق فإنه يزيد المسألة غموضاً أكثر وعدم وضوح للمنهج .

### السبب الثاني :

من الأسباب الداعية إلى القول بأن توحيد الألوهية غير واضح في المنهج الأشعري ، هو أن كتبهم المصنفة في العقائد - على كثرتها - لم تفرد هذا الموضوع بالبحث ، وهذا إن عذر فيه المتقدمون فلا يعذر المتأخرون في تركه إذ الحاجة إلى البيان فيه والتحذير مما يضاده قائمة .

والحقيقة غير المرضية هي أن كثيراً ممن يقع في الشرك بل ومن يبرر للعوام فعلهم الشركي معدود في علماء الأشعرية - كما سيأتي بيانه إن شاء الله (١)

### السبب الثالث :

ومما يؤكد عدم وضوح هذا المنهج : أنهم قد يردون على أهل الملل ردوداً

---

(١) انظر ص ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ - ٢١١ .

قاصرة عن بيان الحقيقة وإبرازها وإبطال الباطل في بعض المسائل ، فمن ذلك ردهم على الصابئة المشركين الذين يعبدون الروحانيات الطاهرة لتقريبهم إلى الله - بزعمهم - إذ هم لا يمكنهم التقرب إلى الله لكثرة ذنوبهم وعيوبهم ، وهم كذلك لا يقرون بوجود واسطة بين الخالق والخلق لتبليغ الرسالة وهم الرسل <sup>(١)</sup> .

فأقام الشهرستاني مناظرة بينهم وبين الحنفاء أتباع الرسل ليثبت أن اتخاذ الأنبياء واسطة أولى من اتخاذ تلك الروحانيات العلوية واسطة ! <sup>(٢)</sup> .

وهذه المحاولة خطأ كبير ، إذ تبين مدى عدم معرفة ما بعث الله به رسله من التوحيد والتحذير من الشرك وذلك : أن الحنفاء لم يتخذوا الرسل وسائط في الخلق والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وسماع الدعاء وإجابة الداعي ، فهم إنما يثبتون هذه الأمور لله ويعبدونه ولا يعبدون أحداً سواه ، بخلاف الصابئة الذين يعبدون تلك الروحانيات العليا لتقريبهم إلى الله ، وفرق بين من يزعم أنه يتوصل إلى الحق دون حاجة للرسل ثم يعبد غير الله ، وبين من يأخذ الحق عن طريق الرسل الذين هم واسطة بين الله تعالى وخلقه في تبليغ الرسالة ، ثم يقوم لله بالعبادة ويفرده بها <sup>(٣)</sup> .

#### السبب الرابع :

ومن الأسباب الداعية إلى القول بأن المنهج الأشعري غير واضح في توحيد

---

(١) انظر مقالاتهم في الملل والنحل للشهرستاني ٦/٢ - ٧ .

(٢) انظر المناظرة في الملل والنحل ٢/١٤ - ٤٤ .

(٣) انظر الرد على المنطقيين ص ١٠٥ وكذلك في ص ٥٣٦ - ٥٣٧ . وسيأتي الرد على من يتخذ

واسطة في العبادة ص ٢٠٩ / إن شاء الله .

الألوهية هو زعمهم أن أول واجب على المكلف : المعرفة ، أو النظر ، أو القصد إلى النظر المؤدي إلى إثبات وجود الله تعالى ، ومن ثمَّ إثبات وحدانيته في الذات والأفعال <sup>(١)</sup> . وهذا أطبق عليه المتقدمون والمتأخرون منهم ، فلذلك اشتغلوا بتحقيق ما زعموه أول واجب على المكلف برد الشبهات والشكوك وتفنيدها وإيراد الاعتراضات ودفعها بطرق منطقية صعبة ، لذلك لا يجد الباحث لهم تصنيفاً مستقلاً يوضح منهجهم في هذا التوحيد . وهذا لا يعني الطعن فيهم كلهم - وإنما هم على مراتب :

**المرتبة الأولى :** وهم المتقدمون ، فإنه لا يمكن أن يقال عنهم إنهم خالفوا في توحيد الألوهية . والأدلة على هذا الأمر إجمالاً هي :

١- لم ينقل عن الأئمة الأعلام من أهل السنة الرد على الأشاعرة في مسائل توحيد الألوهية ، مما يدل على عدم وجود مخالفة منهم ، إذ لو وجدت لما تأخر الأئمة في الرد عليهم .

٢- وجود تعريفات لبعض علماء الأشاعرة للتوحيد تفيد دخول توحيد الألوهية فيه صراحة <sup>(٢)</sup> .

٣- إيراد الأئمة لمقدمات يُسَلَّم بها المخالف خاصة في مسألة كلام الله أنه غير مخلوق ، حيث وردت الاستعاذة بكلمات الله - ومعلوم أنه لا يستعاذ بمخلوق -

---

(١) انظر هذا في ص / ٣١٤

(٢) انظر ص ١٤٥ - ١٤٦

فلا شك أن الأشاعرة يسلمون بهذه الطريقة كما هو ظاهر من صنيع البيهقي<sup>(١)</sup>

٤- تنصيب بعض علماء الأشاعرة على أنواع من العبادات كالدعاء والرجاء والخوف والخشية، وبينوا أنها لا تكون إلا لله<sup>(٢)</sup>. وتنصيب بعضهم على صور اتخاذ المشركين للأصنام شفعاء<sup>(٣)</sup>، مما يدل على فهمهم للشرك في الألوهية.

٥- إنكار بعض علماء الأشاعرة ما وقع فيه الناس في أزمئتهم من التعلق بالخلق والتبرك بالحيطان والأعمدة وتعظيم قبور الأكابر وبيانهم أن ذلك من الشرك<sup>(٤)</sup>

المرتبة الثانية: وهم الذين أثار عنهم الوقوع في بعض مظاهر الشرك. وهؤلاء وإن لم ينص الرازي على أعيانهم في عصره<sup>(٥)</sup>، إلا أنه في عصر السبكي والهيتمي يمكن نسبة هذا الأمر إلى الأشاعرة، حيث إنهما دافعا عن بعض الشرك ووسائله التي وقع فيها العوام<sup>(٦)</sup> ويظهر هذا الأمر بجلاء ووضوح في عصر دحلان وقبله بقليل إلى يومنا هذا حيث الشرك الصريح والله المستعان.

المرتبة الثالثة: وهم الذين لم يؤثر عنهم الوقوع في ذلك لكن مع بقاء نسبتهم

---

(١) انظر ص / ٦٢ - ٦٤ ، وص / ١٤٥

(٢) انظر ص ١٤٦ - ١٤٩ .

(٣) انظر ص ١٥٠ ، ١٩٤

(٤) انظر ص ١٥٠ - ١٥٣

(٥) انظر كلام الرازي في ص ١٥٠

(٦) كلام السبكي في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، وكلام الهيتمي في كتابه الجوهر

المنظم في زيارة النبي المعظم ، وانظر هامش ص ١٦٦ ، وص ١٨٥ من هذا الكتاب .

إلى التصوف - فهؤلاء يؤخذ عليهم سكوتهم عن بيان الحق لأتباعهم وانتسابهم  
إلى التصوف .

وينبغي أن يعلم أن أهل المرتبة الأولى يؤخذ عليهم كذلك طريقة استدلالهم  
بالآيات الواردة لتقرير الألوهية على أنها للربوبية ... وتفسيرهم للإله بأنه القادر  
على الاختراع من جهة أنه مخالف للحق ، ولما يُخشى أن يكون فعلهم هذا سبباً  
في جهل كثير من المتأخرين لحقيقة توحيد الألوهية ووقوعهم فيما يناقضه .

### السبب الخامس :

ومن الأسباب الداعية إلى القول بعدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد  
الألوهية : حملهم الآيات الواردة في توحيد الألوهية على أنها في توحيد الربوبية ،  
ويتضح هذا الخطأ بالآتي :

- ١- إن الذين نزلت فيهم الآيات ما كانوا ينكرون ربوبية الله - كما تقدم<sup>(١)</sup> .
- ٢- قد صرح أهل العلم بأن الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون غير الله<sup>(٢)</sup> ،  
وسياتي ذكر قول الرازي - إن شاء الله - في أن الذاهبين إلى عبادة غير الله كثرة  
وأنه لا يعرف من قال بوجود خالقين متساويين للعالم<sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر ص ١١٠ - ١١١

(٢) انظر ص ٢٩٩ ، ٣٠١

(٣) انظر ص ٦٥٣ .

## المطلب الثالث

### صلة الأشعرية بالصوفية ، وأثر هذه الصلة

يظهر من كتب الأشعرية والصوفية أن بينهما صلة قديمة ، فقد ذكر أبو المظفر الإسفراييني في كتابه التبصير في الدين فصلاً بعنوان : « من فصول المفاخر لأهل الإسلام وبيان فضائل أهل السنة والجماعة »<sup>(١)</sup> وبيان ما اختصاصوا به من مفاخرهم<sup>(٢)</sup> فعدد العلوم التي يفضلون بها غيرهم فذكر منها : التصوف فقال : « وسادسها علم التصوف والإشارات وما لهم فيها من الدقائق والحقائق لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة ..... »<sup>(٣)</sup>

ثم إن الحافظ ابن عساكر ذكر طبقات الآخذين عن الأشعري والمنتسبين إليه . وهي خمس طبقات ، وفي كل طبقة يوجد من ينتسب إلى الصوفية ، وسأكتفي بذكر واحد فقط في كل طبقة :

فمن جملة من ذكر في الطبقة الأولى الآخذين عن أبي الحسن الأشعري : أبو عبد الله محمد بن خفيف<sup>(٤)</sup>

---

(١) ويعني بهم الأشاعرة !

(٢) التبصير في الدين للإسفراييني ص / ١٨٧

(٣) المصدر نفسه ص / ١٩٢

(٤) أبو عبد الله محمد بن خفيف بن إسفكشار الضبي الفارسي الشيرازي ، الصوفي شافعي

المذهب ولد قبل سنة (٢٦٧ هـ) وتوفي سنة (٣٧١ هـ) انظر تبين كذب المفتري ص / ١٩٠

وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٤٢ وطبقات السبكي ٣ / ١٤٩



وفي الطبقة الثانية وهم من تلقى الأشعرية عن أصحاب الأشعري – ذكر أبا علي الدقاق (١).

وفي الطبقة الثالثة : ذكر أبا ذر الهروي (٢)

ثم ذكر في الطبقة الرابعة : أبا القاسم القشيري (٣)

ثم ذكر في الطبقة الخامسة : أبا حامد الغزالي (٤)

ولا شك أن هؤلاء الخمسة الذين ذكرهم ابن عساكر فيهم من كان أكثر إثباتاً للصفات من غيره كابن خفيف وأبي ذر الهروي – وأكثر المذكورين من هؤلاء كان قد قيد علمه بالكتاب والسنة في الجملة فلم يكن كبقية الصوفية – وفي ذلك يقول ابن خفيف : « إني أحببت أن أذكر عقود أصحابنا المتصوفة فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من

---

(١) أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري شيخ أبي القاسم القشيري الصوفي

توفي سنة (٤٠٥ هـ) انظر تبين كذب المفترى ص / ٢٢٦

(٢) هو عبد بن أحمد بن محمد الأنصاري الأشعري المالكي المشار إليه في التصوف وهو راوية

الصحيح ولد سنة (٣٥٥ هـ) تقريباً ، وتوفي سنة (٤٣٤ هـ) ، انظر تبين كذب المفترى ص

/ ٢٥٥ وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٥٤ والديباج المذهب لابن فرحون المالكي ٢ / ١٣٢ .

(٣) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي الصوفي صاحب

الرسالة في التصوف . ولد سنة (٣٧٥ هـ) وتوفي سنة (٤٦٥ هـ) . انظر تبين كذب

المفترى ص / ٢٧١ وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٢٧ وطبقات السبكي ٥ / ١٥٣ .

(٤) تبين كذب المفترى ص / ٢٩١ وسيأتي الكلام عنه مفصلاً في ص / ٦٧٦ إن شاء الله .

ذلك ...» <sup>(١)</sup> إلى أن أتى لموضع أشار فيه ابن جرير الطبري إلى أن الصوفية يقولون برؤية الله في الدنيا والآخرة <sup>(٢)</sup>. قال ابن خفيف معلقاً على قول الطبري: «ونسب هذه المقالة إلى الصوفية قاطبة لم يخص طائفة، فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم» ... إلى أن قال بعد أن بين الصواب: «هذا قولنا وقول أئمتنا دون الجهال من أهل الغباوة فينا» <sup>(٣)</sup>.

ومع هذا القول - وهو التفريق بين طوائف الصوفية - إلا أن الأمر قد تغير عند أبي حامد الغزالي الذي جمع في كتابه «إحياء علوم الدين» بين قواعد عقائد الأشعرية وبين جمل غامضة آيلة إلى وحدة الوجود، ويرى أن مرتبة الوحدة هي أعلا المراتب وأنه لا يجوز كشفها في كتاب إذ إفشاء سر الربوبية كفر <sup>(٤)</sup>. !!

ثم مع تقدم الزمن كثر الجهل وانتشرت الصوفية وكثرت طوائفها، فتجد الشخص الواحد ينتمي إلى أبي الحسن الأشعري عقيدة وإلى الشافعي - مثلاً - مذهباً وإلى الصوفية طريقة وسلوكاً - وقد يحدد طريقته -، فلما كثر الجهل وفشا

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى ص / ٨١ وهي ضمن مجموع الفتاوى ٧٨/٥

(٢) كلام الطبري نصه هكذا ... «وقال جماعة متصوفة - ومن ذكر عنه مثل ذلك ابن أخت عبد الواحد : الله جل وعز يرى في الدنيا والآخرة ، وزعموا أنهم قد رأوه وأنهم يرونه كلما شاءوا» تبصير أولى النهي ق ٢٣ / ب . وكلامه ليس نصاً في نسبة ما ذكره إلى الصوفية قاطبة .

(٣) الفتوى الحموية الكبرى ص / ٨٢ وهي في مجموع الفتاوى ٧٩/٥

(٤) انظر قواعد العقائد في إحياء علوم الدين ١ / ٨٩ - ١١٤ ، ووحدة الوجود في الكتاب نفسه

في الناس الشرك بالله في الاستغاثة والنذر والذبح وغير ذلك أنكر كبار أهل العلم ذلك وبينوا بطلانه وذرائعه التي أوقعت كثيراً من الناس فيه - ومن أولئك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١) رحمهم الله جميعاً ، فظهر من علماء الأشاعرة من يدافع عن العوام بحجة أن فعلهم : توسل بالنبي ﷺ أو الولي !!

وفيما يلي طائفة من علماء الأشاعرة الذين ارتبطوا ارتباطاً وثيقاً بالصوفية أو دافعوا عن أفعالهم :

(١) السبكي (٢) : وقد ألف كتابه : شفاء السقام في زيارة خير الأنام ، يرد به على شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة شد الرحال ، وقد رد عليه الحافظ ابن عبد الهادي (٣) في كتابه : الصارم المنكي .

---

(١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي - الإمام العلامة المجدد - ولد سنة (١١١٥ هـ) بالعينية من مؤلفاته : كتاب التوحيد ، ومختصر السيرة ، وغير ذلك - توفي سنة (١٢٠٦ هـ) انظر : عنوان المجدد ١ / ٨٩ - وانظر دراسة وافية عن حياته للشيخ صالح العبود في كتابه عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ص / ٦٥ - ١٥٢ .

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري الشافعي الأشعري ولد سنة (٦٨٣ هـ) وتوفي سنة (٧٥٦ هـ) انظر طبقات الشافعية ٦ / ١٤٦ والدرر الكامنة ١٠ / ١٣٩

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي وهو محدث فقيه أصولي ، ولد سنة (٧٠٥ هـ) من مؤلفاته تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق والحرر والصارم المنكي في الرد على السبكي توفي سنة (٧٤٤ هـ) انظر الدرر الكامنة ٣ / ٣٣١ ومسحج المؤلفين

٢٨٧/٨

(٢) ابن حجر الهيتمي (١) : وقد ألف كتابه : الجوهر المنظم في زيارة النبي المعظم - يرد به على شيخ الإسلام ابن تيمية كذلك .

فهذان العالمان الأشعريان قد تكلما في مسألة هي من أكبر ذرائع الشرك ، بل قد ذكرا جواز المجيء إلى القبر النبوي لطلب الاستغفار والتشفع والاستغاثة به . (٢)

(٣) ابن عاشور (٣) : وقد أشار في نظمه : المرشد المعين (٤) : إلى ارتباط الأشعرية بالصوفية فقال :

وبعدُ فالعِشْرُونُ من الله المجيد      في نظم أبياتٍ للأُمِّي تَفِيدُ

في عقدِ الأشعري وفقه مالِكٍ      وفي طريقةِ الجُنَيْدِ السالِكِ

ثم قال شارحه : « أخبر أن نظمه هذا جمع مهمات العلوم الثلاثة وهي :

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي السعدي الانصاري الشافعي ،

ولد سنة (٩٠٩ هـ) مشارك في علوم كثيرة من مؤلفاته تحفة المحتاج والصواعق المحرقة ، توفي

سنة (٩٧٣ هـ) نظر شذرات الذهب ٨ / ٣٧٢ ومعجم المؤلفين ٦ / ٢١٨ .

(٢) قال السبكي في كتابه : شفاء السقام ١٦٠ - ١٦١ : « اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل

والاستغاثة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى ..... وجواز ذلك من الأمور المعلومة

لكل ذي دين ..... حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء

الأغمار ..... وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوكل قول لم يقله عالم قبله !!

اه . وانظر قول الهيتمي ص / ١٨٥ من هذا الكتاب .

(٣) عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر المالكي ولد بفاس سنة (٩٩٠ هـ) توفي سنة

(١٠٤٠ هـ) انظر معجم المؤلفين ٦ / ٢٠٥ وشجرة النور الزكية ص / ٢٩٩

(٤) المرشد المعين ص / ٦ مع شرحه الحبل المتين .

العقائد والفقه والتصوف ، المتعلقة بأقسام الدين الثلاثة وهي : الإيمان والإسلام والإحسان .<sup>(١)</sup> » اهـ .

٤ ( الباجوري<sup>(٢)</sup> ) ، وقد ذكر في آخر شرحه تحفة المريد على جوهره التوحيد شيئاً من مبادئ التصوف ، وقد نقل كلاماً غريباً هو فتح لباب دعاء الموتى والاستغاثة بهم لقضاء الحوائج فقال : « قال الشعراني<sup>(٣)</sup> ، ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج ، وتارة يخرج من قبره ويقضيها بنفسه !! »<sup>(٤)</sup> اهـ . ولم يتعقبه بشيء - إلا محشي الكتاب فقد تعقبه - فهذا الكلام فتح صريح للشرك .

٥ ( محمد الأمير<sup>(٥)</sup> ) وهو صاحب الحاشية المشهورة على شرح جوهره التوحيد ، وقد ذكر عن نفسه بعد فراغه من حاشيته على شرح الجوهره التي هي في عقيدة الأشاعرة أنه مالكي المذهب شاذلي الطريقة فقال : « يقول من لا قول له : محمد الأمير المصري الأزهري المالكي الشاذلي : وافق الكمال

---

(١) الحبل المتين شرح المرشد المعين ص/٧

(٢) تقدمت ترجمته ص/ ١٨

(٣) هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الأنصاري الشافعي ، فقيه أصولي صوفي ، ولد سنة (٨٩٨هـ) وتوفي سنة (٩٧٣هـ) من مؤلفاته : الجواهر المصنوع والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم ، وشرح على جمع الجوامع ، انظر شذرات الذهب ٣٧٢/٨ ، ومعجم المؤلفين ٢١٨/٦

(٤) تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص/١٥٣

(٥) محمد الأمير الكبير المالكي الأشعري المصري - ولد سنة (١١٥٤هـ) وهو صاحب الحاشية على شرح الجوهره - توفي سنة (١٢٣٢هـ) انظر معجم المؤلفين ٩/٦٨ .

ليلة ... » <sup>(١)</sup> الخ .

٦) أحمد دحلان <sup>(٢)</sup> وهو شافعي المذهب ، أشعري العقيدة ، ألف كتابه :  
« الدرر السنية في الرد على الوهابية » فيه مسائل خطيرة شنيعة في الشرك في  
الالوهية كما سيأتي عند عرض الشبهات إن شاء الله <sup>(٣)</sup> .

٧) النبهاني <sup>(٤)</sup> ، وهو شافعي المذهب ، شاذلي الطريقة ، أشعري العقيدة ،  
ألف كتابه « شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق » ونص فيه على أن الأشعرية  
والماتريدية مذهبان لأهل السنة <sup>(٥)</sup> : - وقد حشد في كتابه المذكور أقوالاً  
شنيعة صريحة في الشرك في الألوهية .

٨) محمد الطاهر يوسف - وهو صوفي أشعري معاصر - ألف رسائل منها  
: « رسالة قوة الدفاع والهجوم » ، قال في مقدمة رسالته : « رسالة قوة الدفاع عن

---

(١) حاشية الأمير على شرح جوهره التوحيد ص / ١٦٠ .

(٢) هو أحمد بن زيني دحلان الشافعي الأشعري فقيه مؤرخ نحوي ولد سنة ( ١٢٣٢ هـ ) بمكة

له مؤلفات منها : الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين ، توفي سنة

( ١٣٠٤ هـ ) انظر الأعلام ١ / ١٢٥ ومعجم المؤلفين ١ / ٢٢٩

(٣) انظر ص / ١٨٥ - ١٩٥

(٤) هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف الشافعي الأشعري الشاذلي ، ولد بأجزم بفلسطين سنة

( ١٢٦٥ هـ ) درس بالأزهر من ( ١٢٨٣ هـ - ١٢٨٩ هـ ) توفي سنة ( ١٣٥٠ هـ ) . انظر

معجم المؤلفين ١٣ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ومقدمة كتابه شواهد الحق .

(٥) انظر شواهد الحق في ص / ٧٢ .

أولياء الله والنبي المعصوم ، والهجوم على أنصار فرق الشيطان المرجوم ، وهم أنصار الفرق المعتزلة عن السنة المحمدية <sup>(١)</sup> والمستخفة والمستنقصة لقدر سيدنا محمد خير البرية ﷺ والمكفرة لأولياء الله أهل المقامات العلية رضوان الله عليهم بكرة وعشية . تأليف عبيد ربه محمد بن الطاهر بن يوسف الفاني ، المالكي الأشعري التجاني « <sup>(٢)</sup>

٩) محمد علوي المالكي - وهو معاصر - ، الذي صنف كتاباً سماه : « مفاهيم يجب أن تصحح » ، قال في كتابه المذكور : « التصوف ذلك المظلوم المتهم قليل من ينصفه ... » <sup>(٣)</sup> وقال : « الأشاعرة هم أئمة أعلام الهدى من علماء المسلمين » <sup>(٤)</sup> .

فما تقدم نماذج من ارتباط الأشعرية بالصوفية - والأمثلة كثيرة ، والمقصود التمثيل - وكما تقدم فإن الواقع اليوم شاهد على هذه العلاقة .  
ولكن قد ينشأ سؤالان وهما :

الأول : ما علاقة الأشعرية الصوفية المتقدمة مع الأشعرية الصوفية المتأخرة ؟

---

(١) وهو بهذا يعرض بأنصار السنة المحمدية بالسودان - إذ الكتاب طبعه مؤلفه في الرد عليهم وقد افترى عليهم كثيراً - كما يظهر في مقدمته المنقولة أعلاه .

(٢) رسالة قوة الدفاع والهجوم ص / ١ ، وهي كذلك في آخر صفحة من الكتاب .

(٣) في ص / ٣٥ - تحت عنوان : دعوة أئمة التصوف إلى العمل بالشرعية ١

(٤) في ص / ٣٨ تحت عنوان : حقيقة الأشاعرة !

والسؤال الثاني : هل ينسب ما وقع فيه الصوفية اليوم في بعض صور الشرك إلى الأشعرية كلها - ولو كان ذلك في بعضهم ؟

### أما الجواب عن السؤال الأول :

فهو كما تقدم أن المتقدمين من هؤلاء الصوفية المنتسبين إلى الأشعرية لم يكن تصوفهم كتصوف الملاحدة والباطنية ودعاة وحدة الوجود والاتحاد والحلول ، بل لا يعرف عنهم الوقوع في شرك العبادة كما حصل عند المتأخرين ، فالعلاقة إذاً في الاسم العام . ثم حصل التدرج في الضلال كما في مرحلة الغزالي <sup>(١)</sup> ثم من جاء بعده إلى أن استقر الأمر على ما هو عليه في العصور المتأخرة التي نعيشها حيث الشرك الصريح في العبادة ، فإذا ألف أشعري كتاباً على نهج الأشعري ذيل كتابه بالتصوف ، وقد يوجد منه نقد لبعض الأخطاء الجسيمة في الرنوبية والبدع إجمالاً ولا ينبه على الخطأ في الألوهية <sup>(٢)</sup> ، وقد يؤلف آخر مدافعاً عن ما يفعله الناس من الشرك في الألوهية باسم التوسل والتبرك ١ والبدع كالموالد وغير ذلك ، ثم ينص على بعض الفضلاء من الصوفية كالجنيد <sup>(٣)</sup> وعبد القادر الجيلاني <sup>(٤)</sup>

---

(١) وقد مال آخر حياته - رحمه الله - إلى طريقة المحدثين ، كما سيأتي في ص / ٦٨٢

(٢) انظر مثلاً لهذا في شرح جوهره التوحيد للباجوري من ص / ٢٠٩ إلى آخر الكتاب .

(٣) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي ، ولد بعد سنة (٢٢٠ هـ)

وهو شيخ الصوفية أخذ العلم وتفقه على أبي ثور ، وكان جامعاً للعلم والعمل ، توفي

سنة (٢٩٨ هـ) انظر تاريخ بغداد ٧ / ٢٤١ وسير أعلام النبلاء ١٤ / ٦٦ .

(٤) هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلاني الحنبلي شيخ بغداد ، ولد سنة

(٤٧١ هـ) بجيلان ، وكان فقيهاً ديناً خيراً وكان مثبتاً للصفات ، نسبت إليه أشياء كثيرة

هي كذب عليه توفي سنة (٥٦١ هـ) انظر سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٣٩ . وذيل طبقات

الحنابلة لابن رجب ١ / ٢٩٠



ويفر من ذكر الحلاج<sup>(١)</sup> وابن الفارض<sup>(٢)</sup> !! وغيرهما دون ذم أو مدح<sup>(٣)</sup>، مع وجود تأثيرهم على الصوفية في هذه العصور .. !! وإن كان يوجد قليل ممن رأيتهم - وقد يوجد غيرهم - ممن لا يقع في شرك العبادة ، وسيأتي الكلام عليهم في الجواب عن السؤال الثاني إن شاء الله

### الجواب عن السؤال الثاني :

وهو أنه لا يمكن نسبة صور الشرك التي ظهر بعضها إلى كل الأشعرية المتقدمين منهم والمتأخرين ، إذ المتقدمون على خلاف هذا الأمر ولكن تبقى مسألة التبنّي العام للصوفية - كما ذكر الإسفراييني - مؤثرة في قبول ما عليه التصوف عند المتأخرين !

أما المتأخرون فهم قسمان : قسم صرح بالقول بجواز بعض صور الشرك كالنذر لغير الله والطواف بقبور الصالحين والاستغاثة بغير الله ، كما سيأتي النقل

---

(١) هو الحسين بن منصور الحلاج ، أظهر مخارق بعد تعلمه السحر ، وانسلخ من الدين فأباح العلماء دمه وقتل على الزندقة سنة (٣١١هـ) انظر ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨ رقم / ٢٠٥٩ ، البداية والنهاية ١١/ ١٤١-١٥٤ .

(٢) هو عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل ، عرف بتأنيته التي صرح فيها بالاتحاد ، توفي سنة (٦٣٢هـ) انظر ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤ رقم / ٦١٧٣ ، والبدية والنهاية ١٣/ ١٥٤ .

(٣) انظر مثلاً لهذا : مفاهيم يجب أن تصحح لعلوي من ص / ٣٥ إلى ص / ٣٧ .

عنهم عند عرض شبههم إن شاء الله (١) .

وقسم لم يصرح بذلك - وقد رأيت بعضهم - وهم قليل جداً - ولكنهم لم يجاهروا بالإنكار لا قولاً ولا فعلاً مع سماعهم نسبة التصوف بجميع طوائفه إلى الأشعرية وإخوانهم الماتريدية .

ولا شك أن أمثال هؤلاء داخلون في عموم الوعيد المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (٢) - كيف وقد ينتسب بعضهم إلى التصوف فيشتغل ببعض البدع غير المكفرة - فيزداد إيهامه للناس بنسبته إلى التصوف فيغتروا به فيستحسنوا عندئذ ما هم عليه من الشرك . فخلاصة الأمر هو أن المتقدمين من الأشاعرة لم يظهر منهم ما يخالف توحيد الألوهية ، بل ثبت أن بعضهم أنكر بعض مظاهر الشرك التي تحدث عند القبور

---

(١) انظر هامش ص / ١٦٦ ، ١٨٥ ، وأضيف هنا قول محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه : « انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان ص / ٢٧٩ فصل : زيارة النبي والولي والناذر لهم » ثم عرض أدلة أهل السنة في الحكم على أن من نذر لغير الله فقد أشرك فحاول ردها ، وصرح بأنه نقل كلامه من فيض الوهاب ٤ / ١٣٤ - وقال البرهاني في كتابه المذكور ص / ٢٧١ : « أما الطواف حول القبور فلا شيء فيه لأنه سنة الله في خلقه ، وقد أخذ قياساً من الطواف حول الكعبة !! » ونقله من فيض الوهاب كذلك ٤ / ١٤٨ مقرأ له . وقال البرهاني في كتابه المذكور ص / ٢٧٥ : « إن دفن الأموات في المساجد سنة الله تعالى قديمة » .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٨٧

كالرازي وأبي شامة<sup>(١)</sup> - أما الأشعرية المتأخرة فيمكن نسبة بعض المخالفات إليهم إما وقوعاً منهم فيها أو سكوتاً عنها إذا رأوا غيرهم يقع فيها ، ومثل هذا يعد تغيراً وزيادة انحراف في المنهج الأشعري تجب مراعاته إذ تغير الفرق أمر وارد ، فيجب الإنكار اليوم على الأشعرية في هذه المسألة كما أنكر عليهم سلفاً ما تكلموا فيه من مسائل الصفات .

---

(١) وقد تقدم النقل عنهما في ص / ١٥٠ - ١٥٣

## المطلب الرابع

### اعتراضات المتأخرين من الأشاعرة

#### على إدخال توحيد الألوهية ضمن أنواع التوحيد

اعترض المتأخرون من الأشاعرة على تقسيم التوحيد إلى الربوبية والألوهية ، وسبب هذا الاعتراض يرجع إلى أن الأشاعرة أَلَفُوا القول بأن أول واجب على المكلف هو توحيد الربوبية ، ثم إنهم رتبوا على هذا القول أمراً وهو : أنه لا يتصور وقوع الشرك إلا إذا اعتقد الإنسان ربوبية غير الله تعالى ، كما سيأتي في عرض شبههم إجمالاً - إن شاء الله <sup>(١)</sup> .

وقد اعترض كثير منهم في كتبهم على هذا التقسيم ، وسأكتفي بنقل عبارات أحدهم مع الرد عليها - إن شاء الله - فمن هؤلاء : أحمد زيني دحلان <sup>(٢)</sup> ويمكن تقسيم ما أورده من شبهات إلى أربعة أنواع ، - فإنه قد قال : « وأما جعلهم التوحيد نوعين : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل أيضاً » <sup>(٣)</sup> ثم ساق شبهه .

#### الشبهة الأولى :

قال : « فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية ، ألا ترى إلى قوله تعالى :

(١) انظر ص ١٩٢ .

(٢) تقدمت ترجمته في ص / ١٦٨ .

(٣) الدرر السنية في الرد على الوهابية ص / ٤٠ .

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَىٰ﴾ <sup>(١)</sup> ولم يقل: أَلَسْتُ بِإِلَهِكُمْ! ، فاكتمى منهم بتوحيد الربوبية <sup>(٢)</sup> .

الجواب ، والرد عليه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول <sup>(٣)</sup> : إن هذه الآية غاية ما تفيد أنه عند أفراد الربوبية تدخل فيها الألوهية ، باعتبار أن الاسم يدل على المعنى إما مطابقة أو تضمناً أو التزاماً <sup>(٤)</sup> ، فيلزم من كونه رباً أن يكون إلهاً معبوداً مطاعاً ، فالدلالة لزومية هنا ، ولهذا كان يحتج الله على المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليثبتوا توحيد الألوهية ، ولذلك فهذه الآية لا تفيد حصر التوحيد في الربوبية ، وإذا سلم أنها دالة على توحيد الربوبية فقط فإنها لا تنفي غيره ، وقد وردت أدلة أخرى دالة على الألوهية فيجب الأخذ بها ، كقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup> فتضمنت الآيتان توحيدي الألوهية والربوبية أما الألوهية ففي جانبي الإثبات والنفي المذكورين وهما : ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾ و ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً ﴾ ، وأما الربوبية ففي تقرير الله تعالى أنه خالقهم وخالق كل الناس ،

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٧٢ .

(٢) الدرر السنية في الرد على الوهابية ص / ٤٠ .

(٣) انظر هذا الوجه في صيانة الإنسان ص / ٤٤٢ .

(٤) انظر أنواع الدلالات وتعريفاتها ص / ٣٨٢ .

(٥) سورة البقرة الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

والمنعم عليهم بأنواع النعم - ثم قررهم بقوله : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم غير الله تعالى فكيف تشركون به في العبادة ١٩<sup>(١)</sup> .

ومن الآيات الدالة كذلك على نوعي التوحيد : قول الله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾<sup>(٢)</sup> قال مجاهد<sup>(٣)</sup> في تفسير الآية « إيمانهم : قولهم : الله خالقنا وبرزقنا ويميتنا ، فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره »<sup>(٤)</sup> - وقال قتادة<sup>(٥)</sup> : « إنك لست تلقى أحداً إلا أنبأك أن الله ربه وهو الذي خلقه ورزقه وهو مشرك في عبادته »<sup>(٦)</sup> . وقال ابن زيد<sup>(٧)</sup> : « ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورزقه ، وهو يشرك به . ألا ترى كيف قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾<sup>(٨)</sup> ، قد

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١/١/١٦٠-١٦٤ .

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

(٣) تقدمت ترجمته ص / ١٢٨

(٤) جامع البيان للطبري ٨/١٣/٧٧-٧٨ .

(٥) هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، إمام حافظ مفسر - ولد سنة (٦٠ هـ)

وتوفي سنة (١١٧ هـ) انظر الجرح والتعديل ٧/١٣٣ ، سير أعلام النبلاء ٥/٢٦٩ .

(٦) جامع البيان للطبري ٨/١٣/٧٨ .

(٧) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو وإن كان ضعيفاً في الحديث إلا أنه كان إماماً في

التفسير وله فيه كتاب وفي النسخ والمنسوخ - توفي سنة (١٨٢ هـ) انظر الجرح والتعديل

٥/٢٣٣ - وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣٣ .

(٨) سورة الشعراء الآيات : ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ .

عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به . ألا ترى كيف كانت العرب تلبي تقول : : ( لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك <sup>(١)</sup> ) ، المشركون كانوا يقولون هذا اهـ <sup>(٢)</sup>

الوجه الثاني : إن الآية وهي قوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ يُحْتَمَلُ أن تكون كنظائرها التي تقدمت في إلزام الله تعالى للناس باعترافهم بالربوبية ليفردوه بالعبادة <sup>(٣)</sup> - ولذلك قال الشيخ محمد بشير السهسواني <sup>(٤)</sup> : « إن الإقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بدهية ، وهي : أن غير الرب لا يستحق العبادة يقتضي الإقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم ، فيكون الإقرار المذكور حجة عليهم ، كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار ... على وحدانية الألوهية » <sup>(٥)</sup>.

الوجه الثالث : <sup>(٦)</sup> أن يكون المراد بالرب في الآية : المعبود - كما في قول

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٨٤٣/٢ كتاب الحج باب / ٣ التلبية وصفتها برقم / ١١٨٥ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٣/٨ / ٧٩-٧٨ .

(٣) انظر ص ١٠٧ - ١١٣ .

(٤) هو الشيخ محمد بن بشير بن محمد الفاروقي ، ولد بسهسوان بالهند سنة ( ١٢٥٠ هـ )

تقريباً ، وهو محدث فقيه توفي سنة ( ١٣٢٦ هـ ) انظر معجم المؤلفين ٩ / ١٠٣ وانظر

ترجمته كذلك في مقدمة كتابه : صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان .

(٥) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص / ٤٤٣ .

(٦) انظر هذا الوجه في صيانة الإنسان ص / ٤٤٧ .

الله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ ، ومن المعلوم أن أهل الكتابين ما كانوا يقولون إن أحبارهم ورهبانهم يخلقون ويرزقون ونحو ذلك ، ولذلك نبه الله عليهم في آخر الآية نفسها بالذي أمرهم به وهو : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ <sup>(١)</sup> .

نعم إن الشرك في الألوهية الذي وقعوا فيه باتخاذ القبور مساجد ونحو ذلك <sup>(٢)</sup> متضمن للشرك في بعض مسائل الربوبية - لا أصل الربوبية كلها - وذلك كالطاعة المطلقة للأحبار والرهبان التي هي شرك في التشريع كما قال الله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ <sup>(٣)</sup> ولذلك فالآية دالة على نوعي التوحيد بالمفهوم لا على نوع واحد فضلاً عن حصره فيه .

الوجه الرابع : قال الشيخ السهسواني <sup>(٤)</sup> : « الاحتمال الثاني : أن في الآية اختصاراً والمقصود : ألسنت بربكم وإلهكم ، يدل عليه أثر ابن عباس رضي الله عنهما : « إن الله لما مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وتكفل لهم بالأرزاق » <sup>(٥)</sup> وفي أثر أبي بن كعب رضي الله عنه - [ فذكره وفي آخره ] : « اعلّموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري فلا تشركوا بي شيئاً ، فإني سأرسل إليكم

(١) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٢) انظر الأدلة الدالة على ذلك في ص / ٩٥-٩٨ .

(٣) سورة الشورى الآية : ٢١ .

(٤) تقدمت ترجمته ص / ١٧٧ .

(٥) أثر ابن عباس الموقوف - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ٦ / ٩ / ١١٢ .



رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبتي ، قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا ، لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة <sup>(١)</sup> . <sup>(٢)</sup> اهـ .

وإذا كان كذلك فإنه لا يفهم أن الآية دالة على الربوبية فقط وأنه يكتفى بالتوحيد فيها فقط . كيف والأدلة دالة على أن الإقرار بالربوبية فقط لا يكفي وإنما لابد من الإقرار بتوحيد الألوهية مع توحيد الربوبية .

**الشبهة الثانية :** قال أحمد دحلان : « ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإله ، بل هو الإله بعينه ، وفي الحديث : إن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان له من ربك ؟ <sup>(٣)</sup> ولم يقلوا له : من إلهك ؟ فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية » <sup>(٤)</sup> .

---

(١) أثر أبي بن كعب أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد مسند أبيه ١٣٥/٥ ورجاله رجال الصحيح إلا شيخه محمد بن يعقوب فهو مستور كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٥/٧ وأخرجه الطبري كذلك في تفسيره ١١٥/٩/٦ عند آية الاعراف ١٧٢/ وفي ٣٦/٦/٤ عند آية النساء ١٧١ مختصراً ، وأخرجه كذلك الحاكم في مستدركه ٣٥٣/٢-٣٥٤ رقم ٣٢٥٥ وقال : صحيح الإسناد وأقره الذهبي وأخرجه كذلك الآجري في الشريعة ٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهرسواني ص / ٤٤٦ .  
(٣) الحديث متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه [ ٢٧٤/٤ مع شرحه فتح الباري ] كتاب الجنائز باب / ٨٦ ما جاء في عذاب القبر برقم / ٩٦١٣ ورقم / ١٣٧٤ ومسلم في صحيحه ٢٢٠١/٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب / ١٧ برقم ٢٨٧١ واللفظ لمسلم .  
(٤) الدرر السنية في الرد على الوهابية ص ٤٠ .

## الجواب :

كلامه غير مستقيم في قوله : « من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية » إذ يناقض ما حكاه الله عن المشركين بقوله : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ <sup>(١)</sup> فهم قد أقرّوا بنص القرآن لله بأنه ربهم ثم أشركوا به في ألوهيته <sup>(٢)</sup> . وقد تقدم ذكر قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ <sup>(٣)</sup> ونقل أقوال الأئمة الذي يفيد أن المشركين كانوا يقرون لله تعالى بالربوبية ويشركون به في الألوهية أي العبادة <sup>(٤)</sup> . فلو قال دحلان : من أقر لله بالربوبية يلزمه أن يقر له بالألوهية ، لاستقام كلامه ، ولكن كلامه لا يصدق إلا على المؤمنين فلا يعتبر قضية عامة ، إذ الواقع بخلافها .

ثم إن قوله « ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه » فكلام صحيح في واقع الأمر وفي اعتقاد الموحدين ، ولكن فيه تلبيس ، ولكشفه فإنه لا بد من بيان ثلاث حالات :-

**الحالة الأولى :** أن الإله هو الرب نفسه في واقع الأمر - فهذه القضية صحيحة لا شك فيها .

**الحالة الثانية :** أن الإله هو الرب نفسه في اعتقاد الموحدين المؤمنين كما عليه في نفس الأمر - وهذه قضية صحيحة لا شك فيها أيضاً .

(١) سورة الزمر الآية ٣ .

(٢) وقد تقدمت أدلة كثيرة في هذا الشأن ص ١١٠ ، ١٧٦ ، وانظر ص / ٢٩٩ ، ٣٠١ .

(٣) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

(٤) انظر ص / ١١٠ ، ١٧٦ .

**الحالة الثالثة :** أن الإله هو الرب نفسه في اعتقاد المشركين ، وهذا هو محل النزاع ، فإن الإله الحق في نفس الأمر واعتقاد الموحدين هو الرب نفسه ، إلا أن المشركين كانوا يتخذون غير الله آلهة مع اعترافهم بأن الله هو الرب الخالق المالك المدبر ، فلذلك لا يصح كلام دحلان ولا ينطبق على هذه الحالة ، وبه يتبين وجه تلبيسه ، ثم إن كثيراً ممن ينتسب إلى الإسلام ممن وقع في الشرك يقر لله تعالى بالربوبية والالهوية ، ولكنه يأتي بما يخالف إقراره فيقع في بعض أنواع الشرك ويسمئها بغير اسمها ، وهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً كالذي يشرب الخمر ويسمئها بغير اسمها <sup>(١)</sup> .

وأما احتجاجه بحديث سؤال الملكين : « من ربك ؟ » وقوله بعده : « فدل على أن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية » ، فجوابه كما تقدم أن الرب المقصود به الإله <sup>(٢)</sup> ، ويقويه رواية البخاري : « إذا أُنْعِدَ المؤمن في قبره أُتِيَ ، ثم شهد : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » فهذه الرواية تفسر الرواية الأخرى الواردة بلفظ « من ربك » ، إذ المقصود توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية لا توحيد الربوبية فقط . ويقويه كذلك أنه قد علم بأدلة قطعية أنه ليس كل من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية - إذ قد خالف في هذا المشركون بالله غيره في العبادة <sup>(٣)</sup> .

**الشبهة الثالثة :** قال دحلان بعد كلام مليء بالتهم الباطلة : « وهل للكافر توحيد صحيح ؟ فإنه لو كان للكافر توحيد صحيح لأخرجه من النار ، إذ لا يبقى

(١) انظر صيانة الإنسان / ٤٤٧ - ٤٤٨ ، ورسالة الشرك ومظاهره ص / ٩٠ .

(٢) انظر ص / ١٧٥ ، ١٧٧ .

(٣) وانظر ما ذكر من أدلة في ص ١٨٠ .

فيها موحد <sup>(١)</sup> »

### الجواب :

ما قال أحد من أهل السنة إن من أشرك في الألوهية وأقر لله بالربوبية يكون توحيده صحيحاً ويوجب له دخول الجنة ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> فالآية فيها الإطلاق ، أي من يشرك بالله شركاً أكبر في الألوهية أو الربوبية يدخل النار .

وأما أن يفهم دحلان أن من أقر لله تعالى بالربوبية يكون توحيده صحيحاً فهذا إنما يلزمه هو بناءً على أصله من أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمى ، وهي التي بالغ فيها سلفه الأشاعرة في تحقيقها <sup>(٣)</sup> ، ولذلك ظن دحلان أن من أقر لله بالربوبية يكون له توحيد صحيح ، وأما أهل السنة فلا يقولون بهذا القول ، ومستندهم في ذلك قول الله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> فسماهم الله تعالى مشركين وإن كانوا قد آمنوا بأنه ربهم وخالقهم !

الشبهة الرابعة : قال دحلان : « فهل سمع المسلمون في الأحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قَدِمَتْ عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم

(١) الدرر السنية ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٣) انظر قولهم في مسألة أول واجب على المكلف ص / ٣١٤ ، ٣٥٤ .

(٤) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

توحيد الربوبية والألوهية ويخبرهم أن توحيد الألوهية هو الذي يدخلهم في دين الإسلام أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم بإسلامهم؟ ، فما هذا الافتراء والزور على الله ورسوله ، فإن من وحد الرب فقد وحد الإله ، ومن أشرك بالرب أشرك بالله ، فليس للمسلمين إله غير الرب ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله ، إنما يعتقدون أنه هو ربهم فينفون الإلهية عن غيره كما ينفون الربوبية عن غيره أيضاً ، ويثبتون له الوحدانية في ذاته وصفاته وأفعاله « (١) .

### الجواب من وجهين :

**الوجه الأول :** يقال له من باب المعارضة ، وهل قال الرسول ﷺ : إن الوحدانية تكون في الذات والصفات والأفعال ، كما نص الأشاعرة على أن هذه هي أنواع التوحيد ، وكما نص دحلان نفسه عليها في كلمته المنقولة سابقاً ؟!

**الوجه الثاني :** إن دعواه - كما يفهم من سؤاله الإنكاري - أن الرسول ﷺ ما كان يفصل لأجلاف العرب نوعي التوحيد - لا تخلو من أحد احتمالين : -

**الاحتمال الأول :** إما أن يريد أن الرسول ﷺ ما بين لهم معنى التوحيد ، فهذا باطل ، يعلم بطلانه بالضرورة من دين الإسلام . ويمكن أن يعلم بيان الرسول ﷺ للتوحيد ، بنهيه عن الشرك وتحذيره منه وبيان خطره وقبحه (٢) ، وبإقامة الأدلة والحجج على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة بأنواع من الأدلة ، كبيان ربوبية الله تعالى وإنعامه وتقرير المشركين بذلك ، وبيان ضعف وعجز من يعبد من

(١) الدرر السنية في الرد على الوهابية ص / ٤١ .

(٢) انظر هذا البيان في ص / ١٠٠ .

دون الله ... إلخ<sup>(١)</sup> وبيانه وسائل الشرك وذرائعه ونهييه وتحذيره منها<sup>(٢)</sup> فكيف بعد هذا كله يقال إن الرسول ﷺ ما بين نوعي التوحيد معنى ؟ ١٩ .

**الاحتمال الثاني :** أو يريد أن الرسول ﷺ ما نص لفظاً أن التوحيد ينقسم إلى الربوبية والألوهية . فهذا حق ، ولكن لا يلزم منه ألا يكون قد بين معنى التوحيد ، وإذا كان اعتراضه مجرد اعتراض على تقسيم التوحيد فيعرض كذلك على الأشاعرة في تقسيمهم القاصر للتوحيد إلى وحدانية في الذات والصفات والأفعال ! كيف والأدلة دالة على شمول تقسيم أهل السنة للتوحيد<sup>(٣)</sup> . وبهذا يعلم أنه ما افترى أهل السنة على الله ورسوله كذباً في تقسيمهم للتوحيد ، وأما دعواه أنه يكفيننا ظاهر التلفظ بالشهادتين للحكم بإسلام الشخص ، فكلام صحيح ، ولكن ماذا يقال : لو قالها وأتى بما يناقضها أفلا يبين له ذلك ! فهذا أمر لاخفاء فيه ، كيف وقد قال الرسول ﷺ لبعض حدثاء الإسلام عندما طلبوا شجرة ليعلقوا فيها أسلحتهم - ذات أنواط - قال لهم : « الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾<sup>(٤)</sup> . ولذلك فقلوه : « ليس للمسلمين إله غير الرب ... » فكلام صحيح ، ولكن المشكلة هي وقوعهم في بعض أنواع الشرك - وإن سموها بغير اسمها ، إذ تغيير الأسماء لا يغير من الحقائق الشرعية شيئاً - فقيامهم ببعض التعبد لغير الله يعد تأليهاً لغير الله .

(١) انظر الأدلة الكثيرة الدالة على توحيد الله من ص / ١٠٧ إلى ص / ١٣٥ .

(٢) انظر المطلب المتعلق بحماية الرسول ﷺ لحمل التوحيد ص / ١٠٠ .

(٣) انظر هذه الأدلة في ص / ١٥ - ١٦ .

(٤) انظر تخريج هذا الحديث في ص / ١٥٣ .

## المطلب الخامس

الشبهات الرئيسة للمتأخرين من الأشاعرة في بعض مظاهر الشرك

ويمكن تقسيمها إلى شبهتين رئيسيتين :

الشبهة الأولى : محاولة تغيير بعض الحقائق الشرعية ، وهذه تظهر في

أمرين :

الأول : تسميتهم الاستغاثة بغير الله توسلاً به !

الثاني : تفسيرهم للآيات الواردة بالدعاء في القرآن بالعبادة لا  
الطلب ، وفرق بين دعاء المسألة ودعاء العبادة .

الأمر الأول : مما فيه قلب الحقائق الشرعية :

قال دحلان : « فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد » <sup>(١)</sup> - ونقل  
عن ابن حجر الهيتمي <sup>(٢)</sup> قوله : « ولا فرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل  
أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه ! » <sup>(٣)</sup> اهـ

الجواب :

لا شك في وجود فرق بين التوسل والاستغاثة لغة وشرعاً - فالتوسل من

---

(١) الدرر السنية ص / ١٤ .

(٢) تقدمت ترجمته ص / ١٦٦ .

(٣) الدرر السنية لدحلان ص / ١٧ ، وانظر مفاهيم يجب أن تصحح ص / ٥٤ ، وكتاب

الهيتمي هو : الجوهر المنظم في زيارة النبي المعظم .

الوسيلة ، وهي تتضمن : التوصل ، والرغبة ، والقرية <sup>(١)</sup> .

وهي في الشرع لأبد من تقييدها بالكتاب والسنة - شأن كل الحقائق الشرعية - وفي مسألتنا هذه : وهي التوصل إلى الله بالأشخاص : يجب أن يكون وفق الشرع ، وهو أن يتوصل إلى الله تعالى بدعاء الشخص فيكون شافعاً له في مسألته ، ويدل له حديث الأعمى الذي جاء إلى الرسول ﷺ فقال : « يا رسول الله ادع الله أن يعافيني ، فقال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك ، قال لا : بل ادع الله لي ، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين وأن يدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه فتقضى ، اللهم فشفعني فيه وشفعه في » <sup>(٢)</sup> .

وهو ظاهر في الدعاء لأمر : <sup>(٣)</sup>

١- إنه لو لم يكن توسلاً بالدعاء لما احتاج الرجل أن يأتيه ويطلب منه الدعاء ، بل كان يمكنه أن يفعل ذلك دون أن يأتيه .

٢- إن الحديث من أوله إلى آخره في الدعاء ، فالرجل جاء طالباً الدعاء وخيره الرسول ﷺ بين الصبر وبين أن يدعو له فاختار الدعاء ، والراوي وإن اختصر

---

(١) انظر المفردات للراغب : ١٧٨ - والقاموس المحيط ١٣٧٩ . مادة ( وسل ) .

(٢) أخرجه الترمذي برقم : (٣٥٧٨) وأحمد ٤ / ١٣٨ والحاكم ١ / ٤٥٨ رقم : (١١٨٠)

وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

(٣) انظر قاعدة جلية في التوصل والوسيلة في ص / ١١٥ - ٢٥٩ - ٢٦٠ . والتوصل للألباني

ص / ٧٦ - ٨٣ .



الحديث فلم يذكر دعوة النبي ﷺ له إلا أنه هو المفهوم من الحديث لأمرين :  
 الأول : وعده ﷺ بالدعاء له إن اختاره وهو أوفى الناس بوعده . الثاني : آخر  
 الحديث وفيه : « اللهم فشفعني فيه وشفعه في » فقله : « فشعه في » أي  
 بدعائه ﷺ لي ، وقوله : « فشفعني فيه » أي : أسألك اللهم أن تستجيب دعوة  
 النبي ﷺ لي ، فهذا هو وجه كونه شافعاً له . وهذا يوضح التقدير في الحديث :  
 « أتوجه إليك بنبيك » أي : بدعائه ، وكذا قوله : « أتوجه بك » أي بدعائك .

٣- عدول الصحابة عن التوسل بالرسول ﷺ بعد وفاته إلى التوسل بالعباس  
 - رضي الله عنه - كما قال عمر - رضي الله عنه - « اللهم إنا كنا إذا أجدبنا  
 نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فاسقنا » <sup>(١)</sup> فلو كان  
 التوسل بالمكانة أو الجاه مشروعاً لما عدلوا عن التوسل به ﷺ ومن ادعى جواز  
 التوسل بذاته رده سياق الحديث ، وعلى فرض صحة دعواه فإن ذلك لا يمكن  
 إثباته حال الغيبة أو الموت للفرق الواضح بينهما - ومع هذا فإنه يوجد فرق بين  
 التوسل بدعاء الشخص المشروع أو بذاته - على فرض مشروعيته - وبين  
 الاستغاثة بذلك الشخص . يوضحه :

أن الاستغاثة هي طلب الغوث ، <sup>(٢)</sup> فالمستغيث طالب للغوث من المستغاث به  
 ، والاستغاثة تكون على ضربين :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الاستسقاء باب / ٣ سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا

قحطوا حديث رقم / ١٠١٠ ، انظر صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٢ / ٥٧٤ .

(٢) انظر الدرر النضيد للشوكاني ص / ١٤٤ ضمن الرسائل السلفية .

(١) أن يكون المستغاث منه ممكناً للخلق أن يغيثوا منه .

(٢) أن لا يكون ذلك في قدرة أحد إلا الله تعالى .

فالأول : واضح لا إشكال فيه ولا خلاف في جوازه .

وأما الثاني فإنَّ الإنسان إذا استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله يكون قد أشرك بالله تعالى ، إذ إجابة المضطرين على هذا النحو من خصائص ربوبية الله تعالى كما قال : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ ذلکم الله ربکم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لکم ويوم القيامة يکفرون بشركکم ولا ینبئک مثل خبیر ﴾ <sup>(٣)</sup> .

فقد حكم الله بضلال من يدعو من لا يستجيب له ، ثم بين أن له الملك وحده ، وأن غيره لا يملك شيئاً فوجب إذاً أن يدعى الله وحده ، ثم حكم أن المدعوين من دونه لا يسمعون إما لموتهم أو نحو ذلك ، ولو سمعوا ما استجابوا ، وقد سمي الله ذلك شركاً <sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة النمل الآية : ٦٢ .

(٢) سورة الاحقاف الآية : ٥ .

(٣) سورة فاطر الآيتان : ١٣ - ١٤ .

(٤) انظر الرد على شبهات المستغِيثين بغير الله لأحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي

ص / ٤١-٤٢ .

فعلى هذا تكون الاستغاثة المنفية عن غير الله نوعين <sup>(١)</sup> :

الأولى : الاستغاثة بالميت مطلقاً في كل شيء .

والثانية : الاستغاثة بالمخلوق الحي فيما لا يقدر عليه إلا الخالق .

ومما تقدم يعرف الفرق بين التوسل بدعاء الشخص وبين الاستغاثة به ، فالمستغاث به مطلوب مدعو ، وأما المتوسل به فهو غير مطلوب ولا مدعو ، وإنما يُطلب به ، والمستغيث كذلك طالب من المستغاث به ، بخلاف توسله بالشخص فإنه طالب به لا منه ، وإنما يُطلب من الله تعالى وحده ويفرده بالدعاء والمسألة في أن يقبل شفاعة المتوسل به <sup>(٢)</sup> .

الأمر الثاني : مما فيه قلب الحقائق :

فإنهم ذكروا أن الدعاء الوارد في الآيات إنما هو عبادة لا طلب ومسألة ، وفرق بين العبادة والمسألة <sup>(٣)</sup> ومقصودهم من هذا التفريق : أن دعاء المسألة لا شرك فيه ، ولو كان السائل ينادي ميتاً أو غائباً أو جماداً ، إذ الدعاء - الذي هو الطلب - ليس من العبادة !

والجواب من وجهين :

الوجه الأول : لا شك أن الدعاء نوعان : دعاء عبادة ودعاء مسألة -

---

(١) انظر القول الفصل النفيس في الرد على ابن جرجيس ص / ١٧٩ ، وانظر تطهير الاعتقاد ص / ٢٥ .

(٢) انظر الاستغاثة والرد على البكري ص / ١٩٠ وغاية الأمان في الرد على النبهاني ٢ / ٢٩١ .

(٣) انظر هذه الشبهة في الدرر السنية ص / ٣٤ ورسالة قوة الدفاع والهجوم ص / ٢٢ .

والإضافة هنا بيانية أي الدعاء الذي هو عبادة ، والدعاء الذي هو السؤال والطلب ، والفرق بينهما هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ... دعاء العبادة يكون الله هو المراد به ، فيكون الله هو المراد ، ودعاء المسألة يكون [ الله هو ] المراد منه ، كما في قول المصلي : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالعبادة إرادته ، والاستعانة وسيلة إلى العبادة ، [ فإرادة العبادة ] : إرادة المقصود ، وإرادة الاستعانة : إرادة الوسيلة إلى المقصود ، ولهذا قدم قوله : ﴿ إياك نعبد ﴾ ، وإن كانت لا تحصل إلا بالاستعانة ، فإن العلة الغائية مقدمة في التصور والقصد ، وإن كانت مؤخرة في الوجود والحصول ، وهذا إنما يكون لكونه هو المحبوب لذاته » (١) .

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة ، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وذلك يتضح بالآتي : (٢)

وهو أن دعاء المسألة : طلب الداعي ما ينفعه ، وطلبه كشف ما يضره ، أو دفعه عنه قبل وقوعه ، والضر والنفع مالكهما هو الله سبحانه ، ومالك الضر والنفع هو المعبود لا غيره ، ولهذا عاب الله تعالى من يعبد ما لا يملك ضرراً ولا نفعاً (٣) وبهذا يظهر أن العابد لا بد أن يكون راجياً من معبوده نفعاً وطالباً منه كشف الضر أو دفعه ويفزع إليه في ذلك - وهذا من تمام عبوديته - فإذا إن عبوديته لله تستلزم أن يسأل الله تعالى ويدعوه ، وفي سؤاله لله تعالى قد جمع أنواعاً من العبادة : منها : إسلام الوجه له تعالى ورغبته إليه والاعتماد عليه والخضوع والتذلل له

(١) النبوات ص / ١٣٦ وما بين العلامتين [ ] فزيادة مني للإيضاح .

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ٣ - ٥ .

(٣) انظر ما تقدم من أدلة في ذلك ص / ١١٣ - ١٢٠ . وانظر قول ابن رجب ص / ١١٩ .

وحده ، لهذا كان دعاء المسألة متضمناً لدعاء العبادة <sup>(١)</sup> . وعليه بطل قولهم في أن دعاء المسألة ليس بعبادة .

**الوجه الثاني :** هذا الذي ذكره من أن الدعاء ليس بعبادة قول مخالف لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> ولقول الأئمة ولقول المتقدمين من الأشاعرة ومنهم الرازي الذي صرح بأن الدعاء هو أعظم العبادات <sup>(٣)</sup> .

ثم إن الله نص على أن دعوة المشركين لشركائهم دعاء مسألة من الشرك به ، وذلك بعد بيانه أنه مالك كل شيء وأن من دونه لا يملكون شيئاً فقال : ﴿ ذلکم اللہ ربکم لہ الملك والذین تدعون من دونه ما یملکون من قطمیر ، إن تدعوہم لا یسمعوا دعاءکم ولو سمعوا ما استجابوا لکم ویوم القيامة یکفرون بشركکم ولا ینبئک مثل خبیر ﴾ <sup>(٤)</sup> - فقلوه : ﴿ لا یسمعوا دعاءکم ﴾ صریح فی أن الدعاء کان دعاء مسألة ، ثم وصفه بكونه شركاً بقوله : ﴿ یکفرون بشركکم ﴾ وهذا رد على زعم من يقول إن دعاء المسألة ليس بعبادة <sup>(٥)</sup> .

**الشبهة الثانية :** دعواهم أن الإنسان إذا دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله لا يكون مشركاً إلا إذا اعتقد أن لغير الله تأثيراً أو اعتقد الألوهية لغير الله .

---

(١) الرد على شبهات المستغيثين بغير الله - للشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى ص / ٤٧ . وانظر

كلام الحلبي الدال على أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة ص / ١٤٦ .

(٢) انظر ص / ٦٠-٦٢ .

(٣) انظر ص / ١٤٦-١٤٧ .

(٤) سورة فاطر الآيتان : ١٣-١٤ .

(٥) انظر الرد على شبهات المستغيثين بغير الله ص / ٤١ .

فمن أقوالهم في هذه المسألة : « فالذي يقدر في التوحيد هو اعتقاد التأثير لغير الله أو اعتقاد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله ، وأما مجرد النداء من غير اعتقاد شيء من ذلك فلا ضرر فيه » (١)

والجواب :

هذه الشبهة تدور حول مسألتين :

الأولى : أن ذلك الدعاء لا يكون شركاً إلا إذا صاحبه اعتقاد التأثير لغير الله .

الثانية : أو إذا صاحبه اعتقاد الألوهية واستحقاق العبودية لغير الله .

أما الأولى : فالجواب عليها من وجهين :

الوجه الأول : لا نسلم أن من لجأ إلى غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله أنه لم يعتقد فيه التأثير - وإلا فما الذي ألجأه إلى أن يستغيث به ويدعوه ؟ وقد تقدمت أدلة وافية تفيد أن من أسباب الشرك : الغلو في الصالحين - وإساءة الظن برب العالمين ، (٢) فبمجموع الأمرين يقع الشرك فالذي دعا غير الله تعالى رائده في ذلك : اعتقاده في مدعوه التأثير وظنه أن الله لا يستجيب له لكثرة

---

(١) الدرر السنية ص ٣٥ وانظر شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص / ١٥٠ ورسالة قوة

الدفاع والهجوم ص / ١٨ ومفاهيم يجب أن تصحح / ٢١ - ٢٥ ، ٩٥ .

(٢) انظر ص / ٩٨ - ١٠٠ وانظر مثلاً قول محمد النور في كتابه طبقات ود ضيف الله

ص / ٢٧٣ فإنه قال عن أحد المشايخ : ( ولقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهو لغة : كن

فيكون ! ) اهـ . فهذا يدل على أن أولئك المريدين لجأوا إلى أولئك المشايخ بالدعاء والخشية

وغير ذلك ، لاعتقادهم فيهم أوصاف الربوبية ، التي عبر عنها هؤلاء باعتقاد التأثير .

ذنبه ومعاصيه <sup>(١)</sup>. وخير من قول دحلان قول الشيخ محمد عبده <sup>(٢)</sup>:  
« فالإشراك : اعتقاد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، وأن  
لشيء من الأشياء سلطاناً على ما خرج عن قدرة المخلوقين ، وهو اعتقاد من يعظم  
سوى الله مستعيناً به فيما لا يقدر العبد عليه كالاستنصار في الحرب بغير قوة  
الجيش ، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله إليها ، والاستعانة  
على السعادة الآخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله لنا ، هذا هو  
الشرك الذي كان عليه الوثنيون ومن مائلهم ، فجاءت الشريعة الإسلامية بمحوه  
وررد الأمر فيما فوق القدرة البشرية والأسباب الكونية إلى الله وحده » <sup>(٣)</sup> ، فهذا  
إثبات واضح للتلازم الذي ذكرناه .

**الوجه الثاني :** إنه لو سلم - جـدلاً - أن المستغيث بغير الله تعالى قصده أن  
يتخذ مدعوه واسطة بينه وبين الله دون أن يعتقد تأثيره - فهذا باطل أيضاً ، إذ  
هذا هو قصد المشركين الأوائل الذين أقروا لله تعالى بالوحدانية في الربوبية

---

(١) قد تقدم في ص / ١٩٢ هامش (٢) نقل ما يدل على وجود اعتقاد التأثير . والمتواتر اليوم  
عند عباد القبور هو أنه يوجد أبدال ونجباء وقطب وغوث - ممن لهم حق التصرف بزعمهم -  
أبعد هذا كله يقال إنهم لا يعتقدون تأثيراً لغير الله ؟ ، وقد قال صاحب المفاهيم مؤكداً هذا  
بوصفه النبي ﷺ بقوله : « فإنه حي الدارين دائم العناية بأمنته متصرف بإذن الله في شؤونها  
خير بأحوالها ! » مفاهيم يجب أن تصحح للمالكي ص ٩١ .

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركماني ، ولد سنة (١٢٦٦ هـ) وكان في آخر  
حياته مفتياً لمصر - توفي سنة (١٣٢٣ هـ) انظر : الأعلام ١٣١/٧ - ومعجم المؤلفين  
٢٧٢/١٠ .

(٣) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص ٧٥ .

واتخذوا وسطاء بينهم وبين الله تعالى<sup>(١)</sup> كما قال الله عنهم : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾<sup>(٢)</sup> . وقال : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾<sup>(٣)</sup> .

وقد تقدم قول الرازي في صور اتخاذ الشفعاء عند الله ، وإنكاره ما رآه من أهل زمانه من تعظيم قبور الأكابر ، وعده له نظير ما فعل عباد الأصنام ، ويضاف إليه كذلك قول التفتازاني<sup>(٤)</sup> - فإنه بعدما ذكر التوحيد بدأ يعدد أصناف المشركين الذين يعتقدون وجود تأثير للكواكب ونحوها - فذكر منهم عباد الأصنام وأن عبادها لا يعتقدون فيها كونها مؤثرة مدبرة فقال : « وأما الأصنام فلا خفاء في أن العاقل لا يعتقد فيها شيئاً من ذلك - [ قال ] فلهم في ذلك تأويلات باطلة »<sup>(٥)</sup> فذكر خمسة تأويلات ، فقال عن التأويل الخامس : « الخامس : أنه لما مات منهم من هو كامل المرتبة عند الله تعالى اتخذوا تمثالاً على صورته

---

(١) انظر الصواعق المرسلة الشهائية لابن سحمان ص / ١٢٨ ، ١٣٥ وانظر كشف الشبهات في التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص / ١٥ . والقول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس : تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص / ٣٨ - ٣٩ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٣

(٣) سورة يونس الآية : ١٨ .

(٤) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني - ولد سنة ( ٧١٢ هـ ) بتفتازان إحدى قرى نسا

تتلمذ على الإيجي . له : المقاصد في علم الكلام ، والتهديب في المنطق ، توفي سنة ( ٧٩١ هـ )

انظر : الدرر الكامنة ٤ / ٣٥٠ - شذرات الذهب ٦ / ٣١٩ - البدر الطالع ٢ / ٣٠٣ .

(٥) شرح المقاصد ٤ / ٤١ .



وعظموه تشفعاً إلى الله تعالى وتوسلاً» (١)

وأما المسألة الثانية من الشبهة وهي : أن الإنسان يعتبر مشركاً كذلك إذا اعتقد الألوهية واستحقاق العبادة لغير الله .

فالجواب :

قد تقدم معنى الألوهية ، ومعنى العبادة (٢) - وبه يظهر أن من صرف شيئاً منها لغير الله يعتبر مشركاً .

ومن كلامهم يظهر مدى تقصيرهم في معرفة العبادة - فهم لا يعدون الدعاء من العبادة ، وهذا قد وقع فيه المتأخرون ، وإلا فقد تقدم النقل عن بعض كبار الأشاعرة في أن الدعاء هو أعظم أنواع العبادة (٣) .

وعليه فإنه يقال : إن من دعا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله يكون قد اعتقد الألوهية لغير الله تعالى فعلاً وإن لم يسمها بذلك لفظاً .

---

(١) شرح المقاصد ٤ / ٤١ - ٤٢ . وانظر التنبية المتقدم ص ١١ .

(٢) انظر ص ٥٤ - ٦٨ .

(٣) انظر ص ١٤٦ - ١٤٧ .

## المبحث الثاني

### منهج الأشاعرة في أدلة توحيد الألوهية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الدليل المعتمد في إثبات استحقاق الله تعالى للعبودية دون سواه .

المطلب الثاني : موقف الأشاعرة من أدلة تقرير توحيد الألوهية .

المطلب الثالث : منع المتأخرين من الأشاعرة حمل الآيات التي نزلت في المشركين على من عمل عملهم ممن انتسب إلى الإسلام .

المطلب الرابع : تبرير متأخري الأشاعرة بعض صور الشرك بأدلة عقلية .

## المطلب الأول

### الدليل المعتمد

في إثبات استحقاق الله تعالى للعبودية دون ما سواه .

يرى الأشاعرة أن الدليل المعتمد في هذه المسألة هو الدليل النقلي فقط، بمعنى أن العقل لا يُعلم به حسن توحيد العبادة ، ومن أقوالهم في ذلك :

قال التفّازاني <sup>(١)</sup> بعد حكاية مقالات المشركين ومذاهبهم : « وبالجملة فنفي الشركة في الألوهية ثابت : عقلاً وشرعاً ، وفي استحقاق العبادة : شرعاً ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ <sup>(٢)</sup> . » اهـ <sup>(٣)</sup> .

ويعني بنفي الشركة في الألوهية عدم وجود رب آخر، أي أن صانع العالم واحد، كما هو معروف في مباحثهم — وهو الظاهر من صنيعه إذ أورد قوله هذا بعد مبحث إثبات أن صانع العالم واحد . أما توحيد العبادة فلا يثبت إلا بالنص كما قال : « وبالجملة فنفي الشركة ... ثابت ... في استحقاق العبادة : شرعاً » . ومقصوده نفي تحسين العقل له .

---

(١) تقدمت ترجمته ص / ١٩٤

(٢) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٣) شرح المقاصد للتفّازاني ٤ / ٤٢ . وانظر التنبيه المتقدم في ص / ١١ .

ويرجع السبب في اختيار الأشاعرة لهذه الطريقة في إثبات استحقاق الله للعبادة ونفي الشرك عنه فيها لأمرين :

الأول : أن العقل ليس له مدخل في التحسين والتقييح .

الثاني : وهو أن العذاب على مخالفة التوحيد في العبادة لا يثبت إلا بعد إقامة الحجة الرسالية .

### والجواب :

١- إن للعقل مدخلاً في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك - وذلك للأدلة التي تقدمت في تقرير الله تعالى للمشركين بإثباتهم الربوبية ليثبتوا له الألوهية ، فلو لم يكن ذلك يعلم بالعقل لما قررههم ، ولاكتفى بأمرهم بالتوحيد ونهيههم عن الشرك<sup>(١)</sup>

٢- وأما مسألة ترتب العقاب والعذاب على ترك التوحيد فهذا حقاً لا يثبت إلا بعد قيام الحجة الرسالية لعموم قول الله تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾<sup>(٢)</sup> - وقد تقدم الكلام على هذه المسألة بما أغنى عن الإطالة فيها في هذا الموضع<sup>(٣)</sup> .

وقد يفهم من صنيع التفتازاني بإيراده الآية : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً

---

(١) انظر تفاصيل هذه الأدلة في ص / ١٣٦-١٣٩

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٥ .

(٣) انظر ص / ١٤٠ .

واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿١﴾ أن الدليل منحصر في الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك دون أن يكون للعقل مدخل في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك .

### وجوابه :

إن الآية لا تدل على ذلك بأي نوع من أنواع الدلالات ، كيف وقد قام الدليل على خلافه ، فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ، هل لكم من مملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون ﴾ (٢) .

فالمثل المضروب قياس عقلي - وهو قياس الأولى (٣) - ثم ختمه بقوله ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فهذا يؤكد أن للعقل مدخلاً في معرفة حسن التوحيد وقبح الشرك .

ويبدو أن موقف الرازي (٤) أفضل من هذا بكثير إذ هو يرى أن العقل يشهد بأن العبادة وهي غاية التعظيم لا تليق إلا بمن له غاية الإنعام والإحسان، وهذا هو تحسين العقل فقال : « ولما كان الباري سبحانه وتعالى هو المعبود في الحقيقة لا جرم سمى إلهاً ، وكيف لا يقول : إنه مستحق للعبادة ، وقد بين أنه تعالى هو المنعم على جميع خلقه بوجوه الإنعامات ، والعبادة غاية التعظيم ، والعقل يشهد بأن غاية

---

(١) سورة التوبة الآية : ٣١

(٢) سورة الروم الآية : ٢٨

(٣) انظر هذا الدليل في ص / ٣٧٣ وهناك تفسير لهذه الآية - وانظر كذلك ص / ٢٠٦ .

(٤) انظر ترجمته في ص / ٦٨٧ .

التعظيم لا يليق إلا بمن صدر عنه غاية الإنعام والإحسان، وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنْتُمْ أََمْْوَآتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ... [ إلى أن قال ] : « إنه تعالى إنما استحق أن يكون معبوداً للخلق لأنه خالقهم ومالكهم ، وللمالك أن يأمر وينهى ، وأيضاً أصناف نعمه على العبد خارجة عن الحد والإحصاء كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وشكر النعمة واجب » <sup>(٣)</sup>

وهذا الكلام أحسن من كلام التفتازاني إذ هو أقرب إلى ما تدل عليه الأدلة والله أعلم. <sup>(٤)</sup>

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٨ .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٣٤ .

(٣) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص / ١٢٥ .

(٤) وقد يذكر الرازي في بعض كتبه غير هذا ، فانظر - مثلاً - المحصول في أصول الفقه له

. ١٥٧ - ١٤٧/١

## المطلب الثاني

### موقف الأشاعرة من أدلة تقرير توحيد الألوهية

لما كان أهم المطالب عند الأشاعرة هو إثبات وجود الله تعالى ومن ثمَّ إثبات وحدانيته وأنه ليس للعالم صانع سواه - ظنوا أن الرسل جاءوا لتقرير هذا المطلب، فلذلك حملوا الأدلة المقررة لتوحيد العبادة على أنها مقررة لتوحيد الربوبية، فقصروا في المراد من الآيات.

وهذا يعرف من خلال ما ذكره في دليل التمانع، ومن تتبع كتب التفسير كتفسير الرازي. (١)

وستأتي أمثلة ذلك في مبحث إثبات وجود الله ووحدانيته عند الأشاعرة إن شاء الله (٢).

وهذا المطلب الثاني والذي قبله يعم كل الأشاعرة المتقدمين منهم والمتأخرين. وأما المطلبان المتبقيان فهما في موقف المتأخرين من الأشعرية.

---

(١) انظر تفسير الرازي: ١/ ٩٧-٩٨، ٤/ ١٧٨-٢٠٣، وانظر على سبيل المثال كذلك،

المطالب العالية للرازي ٤/ ٣٥٥ - ٣٦٠ - وابتدأها بقوله: «اعلم: أن الاستدلال بخلق

السّموات والأرض على وجود الإله القادر الحكيم كثير الورود في القرآن»

(٢) انظر ص / ٣٦٠، ٣٦٩.

### المطلب الثالث

منع المتأخرين من الأشاعرة حمل الآيات التي نزلت في المشركين  
على من عمل عملهم ممن انتسب إلى الإسلام.

فمن أقوالهم قول دحلان <sup>(١)</sup> : « وتمسك <sup>(٢)</sup> في تكفير المسلمين بآيات نزلت  
في المشركين فحملها على الموحدين » <sup>(٣)</sup>

والجواب :

هذه الشبهة مبناها على أن الشرك لا يتم إلا إذا اعتقد الإنسان التأثير لغير الله  
تعالى ، ويعنون به الشرك في الربوبية ، وقد تقدم الرد على هذا الزعم سابقاً بما  
أغنى عن إعادته في هذا الموضع <sup>(٤)</sup>

وإذا ألزموا بعبارات صريحة مفادها أن المستغيث بغير الله يعتقد تأثير من

---

(١) تقدمت ترجمته في ص / ١٦٨ .

(٢) ويعني به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وأحمد دحلان قد افترى على الشيخ  
بهذا الكلام فإنه لم يحمل قط الآيات التي نزلت في المشركين على الموحدين ، ولكن الأمر  
هو في أناس عملوا أعمال المشركين فدخلوا في عموم الآيات ، وأما قضية التكفير للشيخ  
رحمه الله تفصيل حسن ذكره وبينه الشيخ صالح العبود في كتابه : عقيدة الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب السلفية من ص / ٢٠٦ إلى ص / ٢١٥ .

(٣) الدرر السنية لدحلان ص / ٥١ وانظر رسالة قوة الدفاع والهجوم ص / ٢٢

(٤) انظر ص / ١٩٢ - ١٩٤ .



استغاث به حملوا ذلك على المجاز . وقالوا إنه لا يتصور من مسلم ذلك ، وجعلوا القرينة الصارفة للمجاز هي : إقرار من فعل ذلك الفعل بالشهادتين<sup>(١)</sup>

فالكلام معهم إذاً في مسألتين :

الأولى : الأدلة على تعميم الآيات .

الثانية : رد شبهة المجاز العقلي .

المسألة الأولى : الأدلة على تنزيل الآيات التي نزلت في المشركين على من

أشبه حالتهم اليوم :

والأدلة في هذا المجال كثيرة جداً – فمنها :

قول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾<sup>(٢)</sup>  
والخطاب من الله تعالى لرسوله ﷺ أن يقول لقومه إن الله قد أوحى إليّ هذا  
القرآن لأنذركم به وأنذر من بلغه غيركم من المشركين فقوله : ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾  
يشمل من كان في عصره ومن جاء بعد ذلك . ومن قال بخلاف ذلك فقد عطل  
الرسالة . ومنها قول الرسول ﷺ « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور  
أنبيائهم وصالحهم مساجد [ يحذر ما صنعوا ] »<sup>(٣)</sup> فتحذير الرسول ﷺ أمته من  
فعل اليهود والنصارى يدل على أن من عمل عملهم فقد شابههم ويعمه الحكم

---

(١) انظر الدرر السنية ص/ ١٦-١٧ وشواهد الحق للنبيهاني ص/ ١٥٠ ورسالة قوة الدفاع

والهجوم ص/ ١٦-١٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص/ ١٠١ .

الذي ورد فيهم من اللعن .

والأدلة في هذه المسألة كثيرة جداً، والمتتبع لآيات الكتاب يجدها وردت باللفاظ عامة، فوجب حملها على عمومها ، كيف وإذا كان جماهير أهل العلم -بمن فيهم الأشعرية - يرون أن اللفظ العام إذا ورد بسبب خاص أنه يعم حكمه<sup>(١)</sup> ، فكيف بهذه المسألة التي عم بها البلاء ووقع فيها طوائف من الخلق !

وقد قال الرسول ﷺ لمن طلب منه أن يجعل لهم ذات أنواط : « قلت كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »<sup>(٢)</sup> فهذا واضح في تعميم الحكم على من أشبه عمله عمل المشركين . فقصر الآيات على من نزلت فيهم يعد جهلاً بحقيقة الرسالة ومقصودها وبحكمة التكليف<sup>(٣)</sup> .

#### المسألة الثانية : شبهة المجاز العقلي :

ومقصودهم أن من دعا غير الله تعالى فإنه لا يعتقد تأثيره، فإذا ورد لفظ صريح وصفوه بأنه موهم فقالوا : « فإن قال قائل : إن شبهة هؤلاء المانتعين للتوسل<sup>(٤)</sup> أنهم رأوا بعض العامة يأتون بالفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بانها لا تطلب إلا

---

(١) انظر شرح الكوكب المنير ٣/ ١٧٧-١٧٨

(٢) تقدم تخريجه ص / ١٥٣ .

(٣) انظر تحفة الطالب والجليس في كشف شبه ابن جرجيس للشيخ عبد اللطيف ص / ٥٨، ٨٧-

- ٨٩ ورسالة الشرك ومظاهره للميلي ص / ٤٥- ٤٧ .

(٤) قد تقدم ما يقصد به هؤلاء من لفظ التوسل ص / ١٨٥ .

من الله تعالى ... [إلى أن قال] مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز .. » <sup>(١)</sup>.

### الجواب :

١- إن الألفاظ التي يقولها هؤلاء المشار إليهم ليست موهمة بل هي صريحة، يعرف ذلك كل من خالطهم ورأى عملهم وسمع قولهم ، وإنما عبر بقوله موهمة ليتسنى له القول بالمجاز العقلي !

٢- لقد تقدمت الإجابة عن مسألة اعتقاد التأثير <sup>(٢)</sup> - مع أنه لا يُتصور فيمن رأيناه يعمل هذه الأعمال الشركية عدم اعتقاد التأثير ! ثم إنه على فرض عدم وجوده فخضوعه وتذلل له ورجاؤه وغير ذلك من أنواع العبودية التي لا تنبغي إلا لله يصرفها للذي يدعوه من دون الله، وذلك وحده كاف في إثبات الشرك.

٣- قد تقدم أن أقول المشار إليهم صريحة ونص في مسائل الشرك ، ومعلوم أن المجاز لا يدخل على النص <sup>(٣)</sup> ، فإن أدخل ترتبت مفسدات كثيرة منها : عدم التمكن من الحكم بالردة على أحد ممن يفعل ما يرتد به <sup>(٤)</sup> !

٤- ثم على فرض أن أقوالهم ليست نصاً فهي ظاهرة ، ويجب حمل الشيء على

---

(١) الدرر السنية لدحلان ص / ١٥ وانظر شواهد الحق للنبهاني ص / ١٥٠ .

(٢) انظر ص / ١٩٢ .

(٣) انظر بدائع الفوائد ١ / ١٥ .

(٤) انظر صيانة الإنسان ص / ٢١٤ والصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان ص / ١٣٦ .

ظاهره إلا أن يدل دليل على حمله خلاف ظاهره - ومعلوم أن الاطلاع على  
 بواطن الناس ومقاصدهم مما لا سبيل لنا إلى العلم به فيبقى إجراء أقوالهم على  
 ظاهرها هو المتعين - خاصة وقد ثبت التلازم بين اعتقاد التأثير والعبودية - وقد  
 قال عمر رضي الله عنه قوله مشهورة في هذا الأمر فقال: «إن أناساً كانوا  
 يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم  
 الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقريناه وليس إلينا من  
 سريره شيء، الله يحاسب سريره ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن  
 قال إن سريره حسنة!» (١).

٥- إن المدافع عن أقوال هؤلاء العوام لا يمكنه أن يدافع عن أعمالهم، فإذا سلم له  
 الدفاع عن أقوالهم فلا يمكنه أن يدافع عن أعمالهم كالذبح لغير الله والنذر لغيره  
 ونحو ذلك فالأعمال لا يدخلها مجاز (٢) . وقد وقع ذلك كله من كثير من  
 العوام.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ، باب ٥ / حديث رقم ٢٦٤١ ، انظره مع  
 الفتح ٥ / ٢٩٨ .

(٢) انظر صيانة الإنسان ص / ٢١٤-٢١٥ . والصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان ص / ١٣٧ .

## المطلب الرابع

### تبرير متأخري الأشاعرة بعض صور الشرك بأدلة عقلية

وهذه الأدلة العقلية أقيسة ، وقد وقفت على نوعين من القياس لهم :  
القياس الأول : وهو قياس الميت على الحي في الطلب منه والاستغاثة ! :

القياس الثاني : قياس الواسطة في العبادة على الواسطة في الرسالة !

القياس الأول : وهو قياس الميت على الحي في الطلب منه والاستغاثة ! :

عقد النبهاني<sup>(١)</sup> في كتابه شواهد الحق عدة فصول لإثبات دعواه في جواز الاستغاثة برسول الله ﷺ - مطلقاً حياً وميتاً وفي أي أمر من الأمور ! - فعقد الفصل الأول ، وسرد أدلة فيها طلب الصحابة منه أن يدعو الله لهم بالسقيا<sup>(٢)</sup> وسماه هو استغاثة<sup>(٣)</sup> ، ثم إنه في الفصل الثاني سرد أحاديث الشفاعة ليثبت جواز الاستغاثة به في الآخرة<sup>(٤)</sup> ، ثم قال مستدلاً على جوازها مطلقاً :

---

(١) تقدمت ترجمته ص / ١٦٨ .

(٢) انظر شواهد الحق من ص / ١١٢ - ١٢٦ .

(٣) وهذه من أخطاء القوم فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يستغيثوا بالرسول ﷺ لينزل لهم

الغيث وإنما طلبوا منه أن يدعو الله لهم ليغيثهم .

(٤) انظر شواهد الحق من ص / ١٢٦ - إلى ص / ١٣٥ .

«... ودلالة ذلك على جواز الاستغاثه به وحسنها ونفعها بعد مماته أيضاً لوقوعها في حياته الدنيوية والآخرية»<sup>(١)</sup>، ثم أكد هو وغيره هذه المسألة بذكر حياة الأنبياء في قبورهم<sup>(٢)</sup>.

والجواب:

١- قد تقدم سابقاً أن الميت لا يُسأل مطلقاً ولا يستغاث به، وأما الحي فيستغاث به فيما يقدر عليه<sup>(٣)</sup>، وعليه فلو سلم لهم قياسهم هذا لما صح لهم الاستدلال به على سؤال الموتى كل شيء - فإن كان المخلوق حياً لا يستطيعه فقياسهم يقتضي ألا يستطيعه ميتاً.

٢- ثم إن الصواب هو عدم صحة قياس حياة البرزخ على الحياة الدنيا لاختلافهما، ولو استقام ذلك فليتخذوا الرسول ﷺ إماماً يقتدى به في الصلاة! أو ليستفتوه في المسائل وهكذا...<sup>(٤)</sup>

٣- ثم إن كون الأنبياء أحياء في قبورهم: لا يسوغ للناس أن يستغيثوا بهم حتى على فرض سماعهم كل شيء، - مع أنه لا سبيل إلى إثباته - وإن سمي القائمون بهذا الفعل عملهم توسلاً، أي أنهم يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله ويتوسلوا لهم - فيجعلون عملهم نوعاً من الأسباب التي يقبل بها الدعاء، فهذا خطأ لأنه لا يوجد دليل في الشرع لإثبات أن هذا النوع من العمل سبب في إجابة

(١) شواهد الحق ص / ١٢٦.

(٢) انظر الدرر السنية ص / ١٤ ومفاهيم يجب أن تصحح ص / ١٥٩-١٧٦.

(٣) انظر ص / ١٨٧-١٨٩.

(٤) انظر صيانة الإنسان ص / ٢٦.

الدعاء<sup>(١)</sup> ، ثم على فرض أن ما ذكره هؤلاء هو مقصود عباد القبور فإنهم يُطالبون الفرقَ بينهم وبين شرك الأوائل الذين تقدم نقل صور شركهم عن الرازي والتفتازاني وغيرهما من الأئمة، ولن يجدوا فرقاً.

**القياس الثاني :** وهو قياس الوساطة في العبادة على الوساطة في تبليغ الرسالة :

قالوا: « إن مراعاة جانب الله تعالى والمحافظة على توحيده إنما تكون بتعظيم من عظمه الله تعالى وتحقير من حقره الله تعالى ، وقد جعلهم الله سبحانه وتعالى وسائط لنا في تبليغ شرائع دينه ، فوسطانهم له عز وجل لقضاء حوائجنا تبعاً له في توسيطهم لنا في تبليغ شرائعه ، والاحتفاظ لانفسنا عن أن نكون أهلاً لطلب حوائجنا منه سبحانه وتعالى بلا واسطة لكثرة ذنوبنا ووفرة عيوبنا »<sup>(٢)</sup>.

**والجواب :**

إن هذا القياس هو قياسُ عباد الأصنام والأوثان وغيرها نفسهُ الذين زعموا أن ذنوبهم كثيرة وأنهم لا يصلون إلى مرادهم إلا بتوسط الأكابر والأعلى منزلة عند الله<sup>(٣)</sup> قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾<sup>(٤)</sup>

---

(١) انظر قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص / ٢٧٤، ٩٩ ، والقول الفصل النفيس في الرد على

المفتري داود بن جرجيس للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٦٦ .

(٢) شواهد الحق ص / ٥٢ ونقله محمد عثمان عبده البرهاني في كتابه : انتصار أولياء الرحمن

على أولياء الشيطان ص / ١١٩١

(٣) انظر ذلك في أصل الشرك في بني آدم ص / ٩٥ .

(٤) سورة الزمر - الآية : ٣ .

وقياسهم هذا فاسد الاعتبار إذ هو قياس في مقابلة نصوص كثيرة حرمت هذا العمل وبينت أنه فعل المشركين كقوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ <sup>(١)</sup> ، فدلّت الآية على أن اتخاذ وسطاء في الدعاء والعبادة قدحٌ في علم الله تعالى وأنه شرك ينتزه الله عنه . وقال تعالى : ﴿ أقمّن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء ، قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول ... ﴾ <sup>(٢)</sup> فدلّت الآية على أن هذا العمل فيه قدح في الربوبية إذ فيه إثبات لقيام غير الله بشعون الخلق ، وفيها بيان أنه قدحٌ في علم الله .

وقد حسم الله تعالى مادة هذا الشرك بقوله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقال : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ <sup>(٤)</sup>

ولاشك أن واسطة الرسل بين الله وخلقه هي في تبليغ الرسالة من الله لخلقه

(١) سورة يونس - الآية : ١٨ .

(٢) سورة الرعد - الآية : ٣٣ .

(٣) سورة الإسراء - الآيتان : ٥٦ - ٥٧ .

(٤) سورة سبأ - الآيتان ٢٢ - ٢٣ .



ليقوموا لله رب العالمين بالعبادة ويتركوا عبادة غيره، لا أن يُعبدَ الرسلُ أنفسهم، قال الله تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ (١).

وقد كان رسول الله ﷺ ينهى عن كل ما يؤدي إلى تشريكه بالله كقوله لمن قال له: « ما شاء الله وشئت » فقال: « أجعلتني لله نداً، قل: ما شاء الله وحده » (٢)، وكذلك كان ينهى عن اتخاذ قبره عيداً أو وثناً يُعبد. (٣) فكل ذلك وغيره يدل على الفرق بين الوساطة في الرسالة والوساطة في العبادة. (٤)

---

(١) سورة آل عمران - الآية : ٧٩ .

(٢) انظر تخريجه ص / ١٠٥ .

(٣) انظر ص / ١٠١-١٠٢ .

(٤) وانظر الوساطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام ضمن مجموعة التوحيد ١١٦/١ - ١٢١

والقول الفصل النفيس للشيخ عبدالرحمن بن حسن ص / ٩١-١٨٤ وصيانة الإنسان

ص / ١٧٧-١٧٩ والصواعق المرسلة الشهائية لابن سحمان ص / ١٢٤-١٥٤ .

هذا وقد أعرضت عن أدلة أخرى يحتج بها من غرق في التصوف  
كالاحتجاج بالأحاديث الموضوعة والمنامات والإلهامات - إذ يكفي أن يقال عنها  
كلها: إنها مردودة - فأما الأحاديث الموضوعة فمردودة مطلقاً، وأما المنامات  
والإلهامات فإنه لا يثبت بها شرع مطلقاً، ولا تقبل إلا إذا جاءت موافقة للشرع،  
والأمر فيها كما قال في مراقي السعود:

وَيُنْبَذُ الْإِلْهَامُ بِالْعَرَاءِ      أَعْنِي بِهِ إِلْهَامَ الْأَوْلِيَاءِ <sup>(١)</sup>.

قال شارحه عن الإلهام: « وليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوماً بخواطره  
لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان فيها » <sup>(٢)</sup> ١ هـ.

وقال: « وكذا من رأى النبي ﷺ في النوم يأمره وينهاه لا يجوز اعتماده  
... لعدم ضبط الرائي » <sup>(٣)</sup> ١ هـ.

---

(١) مراقي السعود - مع شرحها نشر البنود - في أصول الفقه ٢/ ٢٦١.

(٢) نشر البنود شرح مراقي السعود ٢/ ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق.

## الباب الثاني

### منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الربوبية

وفيه فصلان :

الفصل الأول / منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية .

الفصل الثاني / منهج الأشاعرة في توحيد الربوبية .

.....

أما الفصل الأول ففيه مبحثان :

المبحث الأول / منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الربوبية .

المبحث الثاني / منهج أهل السنة والجماعة في أدلة توحيد الربوبية .

## المبحث الأول

منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الربوبية

المطلب الأول / حقيقة توحيد الربوبية :

المسألة الأولى / مدلول كلمة الرب من حيث الاشتقاق اللغوي .

المسألة الثانية / مدلول كلمة الرب من حيث هي اسم الله تعالى .

المسألة الثالثة / عموم وخصوص ربوبية الله لخلقه .

المسألة الرابعة / تعريف توحيد الربوبية .

المطلب الثاني / مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية - وفيه تفريع : وهو

الإيمان بالقضاء والقدر .

المطلب الثالث / منزلة توحيد الربوبية .

المطلب الرابع / الأحكام المتعلقة بأفعال الله المتعدية ( الربوبية ) :

المسألة الأولى : أفعال الله تعالى كلها خير .

المسألة الثانية : الحكمة في أفعال الله تعالى .

المسألة الثالثة : التحسين والتقبيح العقليان .

المسألة الرابعة : الأسباب والمسببات وعلاقتها بأفعال الله .

المسألة الخامسة : أفعال العباد وعلاقتها بأفعال الله .

## المطلب الأول

### حقيقة توحيد الربوبية

وتتضح حقيقته في أربع مسائل :

#### المسألة الأولى : مدلول كلمة الرب من حيث الاشتقاق اللغوي :

فالرب مصدر أريد به اسم الفاعل - أي أنه راب ، قال الراغب الأصفهاني : « الرب مصدر مستعار للفاعل » <sup>(١)</sup> .

قال ابن الأنباري <sup>(٢)</sup> : « الرب : ينقسم إلى ثلاثة أقسام : يكون الرب : المالك ، ويكون الرب : السيد المطاع ، والرَب : المصلح ... » <sup>(٣)</sup> . فهذه ثلاثة أصول ترجع إليها معاني كلمة الرب .

**فالأصل الأول :** بمعنى المالك والصاحب ، ومن هذا المعنى قول الرسول ﷺ في ضالة الإبل « فذرهما حتى يلقاها ربها » <sup>(٤)</sup>

---

(١) المفردات للراغب ص / ٣٣٦

(٢) أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري الإمام المقرئ النحوي ولد سنة (٢٧٢هـ) ، وصفه الخطيب بأنه كان ديناً ومن أهل السنة ، وتوفي سنة (٣٠٤ هـ) انظر تاريخ بغداد ٣ / ١٨١ ومعرفة القراء ١ / ٢٢٥ .

(٣) لسان العرب ١ / ٤٠٠ ، وانظر تاج العروس ١ / ٢٦٠ ، مادة (رب) .

(٤) متفق عليه ، أخرجه البخاري رقم / ٩١ في كتاب العلم [البخاري مع الفتح ١ / ٢٢٥] ومسلم في صحيحه ٣ / ١٣٤٦ كتاب اللقطة رقم / ١٧٢٢ .

**والأصل الثاني:** بمعنى السيد المطاع ، قل الطبري : « وأما تأويل قوله :  
( رب ) فإن الرب في كلام العرب متصرف على معان : فالسيد المطاع فيها يُدعى  
رباً ، ومن ذلك قول لبيد بن ربيعة العامري :

وَأَهْلَكُنْ يَوْمًا رَبًّا كِنْدَةً وَأَبْنَهُ      وَرَبًّا مَعَدًّا بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعَرٍ <sup>(١)</sup>

يعني رب كندة : سيد كندة <sup>(٢)</sup> . اهـ .

ومن هذا المعنى قول الرسول ﷺ في حديث أشراف الساعة : « أن تلد الأمة  
ربها » <sup>(٣)</sup> أي سيدها - وهذا لفظ البخاري .

**وأما الأصل الثالث :** فبمعنى المصلح للشيء المدبر له ، ولذلك قال بعض أهل  
العلم باشتقاق كلمة الرب من التربية . قال الراغب : « الرب في الأصل التربية ،  
وهو إنشاء الشيء حالاً فتحالاً إلى حد التمام » <sup>(٤)</sup>

وقال الطبري بعد أن ذكر المعاني الثلاثة لكلمة ( الرب ) قال : « وقد  
يتصرف معنى الرب في وجوه غير ذلك ، غير أنها تعود إلى بعض هذه الوجوه  
الثلاثة » <sup>(٥)</sup>

---

(١) انظر شعر لبيد في ديوانه ص / ٧١ .

(٢) جامع البيان للطبري ٦٢ / ١

(٣) متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم / ٥٠ [ البخاري مع الفتح ١ / ١٤٠ ]

ومسلم في الإيمان ٣٦ / ١ الحديث رقم / ١ .

(٤) المفردات ص / ٣٣٦

(٥) جامع البيان ٦٢ / ١

## المسألة الثانية

معنى كلمة الرب من حيث هي اسم لله تعالى

وبعد أن ذكر ابن جرير الطبري المعاني اللغوية الثلاثة المتقدمة - قال في معنى اسم ( الرب ) لله سبحانه وتعالى : « فربنا جل ثناؤه : السيد الذي لا شبه له ، ولا مثل في سؤده ، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه ، والمالك الذي له الخلق والأمر » (١)

ولا تستعمل كلمة ( الرب ) في حق المخلوق إلا مضافة فيقال : رب الدار ورب المال .

قال ابن قتيبة (٢) رحمه الله : « ولا يقال للمخلوق : هذا ( الرب ) معروفاً بالالف واللام كما يقال لله ، إنما يقال رب كذا فيعرف بالإضافة لأن الله مالك كل شيء ، فإذا قيل : ( الرب ) دلت الألف واللام على معنى العموم ، وإذا قيل لمخلوق : رب كذا ورب كذا نسب إلى شيء خاص لأنه لا يملك شيئاً غيره » (٣)

وعلى هذا إذا ذكر اسم الرب معروفاً فلا يطلق إلا على الله تعالى ، وزاد

---

(١) جامع البيان ٦٢/١ وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٩/

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، صاحب تصانيف منها : تأويل مختلف

الحديث . والاختلاف في اللفظ - ولا يصح رميه بأنه كرامي - توفي سنة (٢٧٦هـ) انظر

تاريخ بغداد ١٠/١٧٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦ .

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٩/

الراغب أن كلمة (رب) غير مضافة ولا مُعرَّفة لا تطلق إلا على الله فقال (١) :  
 « ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله تعالى :  
 ﴿ بلدة طيبة ورب غفور ﴾ . (٢) . اهـ ، وقال ابن الأثير (٣) أيضاً : « ولا يطلق  
 غير مضاف إلا على الله تعالى » (٤)

وأما كلمة (رب) بالإضافة فتقال لله ولغيره بحسب الإضافة فمن الأول قوله  
 تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، ومن الثاني ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ (٥) في  
 قول يوسف عليه السلام لأحد صاحبيه في السجن (٦)

ومصدر رب يرب الربوبية والرباية ، إلا أن الرباية لا تقال في الله ، وإنما في  
 غيره ، قال الراغب : « والربوبية مصدر يقال في الله عز وجل ، والرباية تقال في  
 غيره » (٧)

ومما تقدم يُعلم معنى اسم الله تعالى (الرب) وقد تقدم كلام ابن جرير في

(١) المفردات ص / ٣٣٦

(٢) سورة سبأ الآية : ١٥

(٣) أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشافعي - المحدث الفقيه صاحب جامع  
 الأصول والنهاية في غريب الحديث - ولد سنة ( ٥٤٤ هـ ) وتوفي سنة ( ٦٠٦ هـ ) انظر سير

أعلام النبلاء ٢١ / ٤٨٨ ، وطبقات السبكي ٨ / ٣٦٦

(٤) النهاية في غريب الحديث ٢ / ١٧٩

(٥) سورة يوسف الآية : ٤٢

(٦) انظر المفردات للراغب ص / ٣٣٦ والنهاية في غريب الحديث ٢ / ١٧٩ .

(٧) المفردات للراغب ص / ٣٣٦ .



معنى اسم ( الرب ) لله تعالى <sup>(١)</sup> . ويعلم كذلك اختصاص الله بهذا الاسم ، وأنه لا يجوز وصف مخلوق به إلا مقيداً بالإضافة التي تناسبه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الرب : هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها » <sup>(٢)</sup> وقال في موضع آخر : « والرب : هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادي ، وهذا الاسم أحق بالاستعانة والمسألة » <sup>(٣)</sup> ومما تقدم يعلم أن الرب اسم لله تعالى ، والربوبية صفته ، وسيأتي أن توحيد الربوبية فعل العبد — إن شاء الله تعالى <sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) انظر ص / ٢١٧ .

( ٢ ) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٢٢ .

( ٣ ) المصدر السابق .

( ٤ ) انظر ص / ٢٢٦ .

### المسألة الثالثة

#### عموم وخصوص ربوبية الله خلقه

تقدم فيما مضى أن الرب هو الخالق المربي الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها .

والهداية هي الدلالة ، والهداية قد تكون عامة لكل الخلق ، وقد تكون خاصة ، أما العامة : فالرب سبحانه هو الخالق ، وهو الذي هدى الخلق لما يصلحهم في حياتهم الدنيا من المطعم والمشرب والمنكح والمسكن ، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام لما سأله فرعون المتظاهر بجحد الربوبية لله عن ربه ورب هارون ، فقال : ﴿ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (١) ، ومن هذا المعنى كذلك قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ﴾ (٢) . والمراد : قدر خلقه فهدى ، والهداية هنا عامة كما ذكر الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله (٣) ، فدخل في ذلك هداية الله عز وجل المكلفين لسبيل الخير والشر .

فهذه الربوبية العامة المتعلقة بعموم الخلق . فكل من في السموات والأرض عبيد لله عز وجل بهذا الاعتبار كما قال تعالى : ﴿ إن كل من في السموات

---

(١) سورة طه الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأعلى الآيات : ١-٣ .

(٣) انظر جامع البيان للطبري ١٥ / ٣٠ / ١٥٢ .

والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ﴿١﴾ فكلهم يأوي إلى الرب سبحانه ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً منقاداً لا يخرج عن قدر الله أبداً ، والآية على عمومها سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة ، ولا وجه لتخصيص إتيانهم ربهم بيوم القيامة لعدم وجود المخصص ، ويؤيد عدم التخصيص قوله تعالى بعدها : ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ (٢) ، ولأن الله تعالى ذكر ذلك في سياق الرد على من ادعى لله ولداً سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك ، فبين أن الجميع عبيده ، فلا وجه لتخصيص ذلك بيوم القيامة ودخل في هذه الآية المؤمن والكافر فكلهم عبيد مربوبون مقهورون لله تعالى ، وقد هداهم جميعاً الهداية العامة .

ومما ورد في شأن العبودية العامة - أي عبودية القهر والملك - قوله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ (٣) . فسماهم الله تعالى عباده مع ضلالهم .

وقد وردت بعض الآيات متناولة العبودية العامة والخاصة كقوله تعالى : ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (٤) ، وكقوله : ﴿ وما الله يريد ظلاماً للعباد ﴾ (٥) ،

---

(١) سورة مريم الآية : ٩٣

(٢) سورة مريم الآيتان : ٩٤-٩٥

(٣) سورة الفرقان الآية : ١٧

(٤) سورة الزمر الآية : ٤٦

(٥) سورة غافر الآية : ٣١

وكقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ (١) ، فالمراد بالعباد هنا الذين هم عبوديتهم طوعاً كانت أو كرهاً ، فشمل ذلك مؤمنهم وكافرهم (٢) .

والهداية الأخرى هي هداية التوفيق التي يختص الله بها بعض المكلفين فيوفقهم للعمل الصالح كما قال تعالى : ﴿ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ (٣) ، وكقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (٤) .

فهؤلاء هم أهل العبودية الخاصة الذين رباهم الله بالإيمان ووفقهم إليه . ويتبع هذه الهداية الخاصة - أعني هداية التوفيق - الهداية في الآخرة إلى الجنة ، كما قال تعالى عن المؤمنين إذا دخلوا الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

فالله عز وجل هو المتفرد بالخلق والرزق والهداية الخاصة والعامة ، فيكون مما تفرد به سبحانه وتعالى أنه ربى أصفياه من الرسل والأنبياء والصالحين التربية الخاصة بالوحي فوفقهم للعمل الصالح بجانب أنه هو الذي خلقهم وهداهم إلى

---

(١) سورة غافر الآية : ٤٨

(٢) قد تقدم مثل هذا الكلام في ص / ٥٦ - ٥٨

(٣) سورة الاعراف الآية : ٣٠

(٤) سورة محمد الآية : ١٧

(٥) سورة الاعراف الآية : ٤٣

ما فيه صلاحهم مدة بقائهم في الدنيا، ولذلك كانت أدعية عباد الله تعالى أكثرها جاءت بلفظ (رب) كقوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴾ (١)، وكدعاء إبراهيم عليه السلام : ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (٢) . ، وقال تعالى عن عباد الرحمن : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ (٣) والآيات في هذا المعنى كثيرة وإنما المقصود التمثيل .

فعلم مما تقدم أن الربوبية الخاصة تتعلق ببعض المكلفين ، فيربهم الله عز وجل بوحيه ويوفقهم للعمل الصالح وإلى الجنة ، أما الربوبية العامة فهي تتعلق بكل الخلق مؤمنهم وكافرهم ، فهو الذي خلقهم وهو مالکهم وهم تحت قهره ، وهو الذي هداهم لما فيه صلاحهم في المعاش (٤) وقد تقدم أن الله عز وجل قد هدى الإنسان إلى السبيل كما قال : ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (٥) ، فهذا نوع من أنواع الهداية ، وهي دلالة الخلق إلى الهدى والدين الحق ، وهذا يستلزم إرسال الرسل التي تجيء بالحق من عند الله تعالى .

(١) سورة هود الآية : ٤٧

(٢) سورة البقرة الآية : ١٢٨

(٣) سورة الفرقان الآية : ٧٤

(٤) انظر مدارج السالكين ١/ ١٢٥-١٢٨ ومجلة الجامعة الإسلامية السنة ١١ العدد ٢

ص/ ١٢٧ - مقال للشيخ سعد ندا .

(٥) سورة الإنسان الآية : ٣

لذلك كان من أنكر النبوة الصادقة والإرسال قد طعن في ربوبية الله تعالى ،  
وفي ذلك يقول الله جل وعلا : ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله  
على بشر من شيء ﴾ (١)

وبيان ذلك ، أن مُدَّعي النبوة إذا لم يكن صادقاً لا يمكن أن يتركه الله عز وجل  
ليتقول عليه بما شاء ، بل والأعجب من ذلك أن يعينه وينصره ويظهره على أعدائه  
ويقيم الدلائل الواضحة على صدقه ، وهو مع ذلك كاذب على الله فيما ادعاه من  
النبوة ١ ، فإن في ذلك طعناً في الرب ونسبة له إلى الظلم والفساد ، فالله عز وجل  
لا يُمكن لأمثال هؤلاء ، لذلك يقول الله جل وعلا : ﴿ أم يقولون افتري على  
الله كذباً ، فإن يشأ الله يختم على قلبك ، ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته  
إنه عليم بذات الصدور ﴾ (٢)

ولذلك فالله يُظهر على مُدَّعي النبوة كذباً في الأقوال والأعمال والأحوال  
ما يتبين به كذبهم .

وكذلك من وجوه بيان أن إنكار النبوات طعن في الرب تعالى ، هو أن  
النبوات يتوقف عليها الجزاء في الآخرة المترتب على القيام بما أوجب الله عز وجل ،  
فالقول بإنكار النبوات قول بعدم الجزاء وقول بأن الخلق إنما خلقوا عبثاً .

---

(١) سورة الأنعام الآية : ٩١

(٢) سورة الشورى الآية : ٢٤

ولذلك قال الإمام ابن أبي العز<sup>(١)</sup> رحمه الله : « بل إنكار رسالته - ﷺ -  
طعن في الرب تبارك وتعالى ، ونسبة له إلى الظلم والسفه ، تعالى الله عن ذلك  
علواً كبيراً ، بل جحدٌ للرب بالكلية وإنكار »<sup>(٢)</sup>

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ولد سنة (٧٣١ هـ) وكان عالماً وقد ولي

القضاء بدمشق ومصر توفي سنة (٧٩٢ هـ) انظر : الدرر الكامنة ١٩٣/٣ وشذرات

الذهب ٣٢٦/٦

(٢) شرح الطحاوية ص / ١٦٥ - ١٦٦

## المسألة الرابعة

### تعريف توحيد الربوبية

تقدم معنى كلمة ( توحيد ) في مبحث سابق وأن المراد بهانسبة الوجدانية إلى الله <sup>(١)</sup> ، وهنا كلمة التوحيد مضاف إليها كلمة الربوبية التي هي مصدر لكلمة ( رب ) التي تقدم معناها ، وعلى هذا فتعريف توحيد الربوبية كما قال الشيخ محمد بشير السهسواني <sup>(٢)</sup> : « اعتقاد أن الله وحده هو ربنا ، ليس لنا رب سواه » <sup>(٣)</sup>

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب <sup>(٤)</sup> رحمه الله في تعريفه : « هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه ، وأنه المحيي المميت ، النافع الضار ، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطراب ، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر » <sup>(٥)</sup> . وسيأتي تعريف أخصر من هذا إن شاء الله <sup>(٦)</sup> .

---

(١) انظر ص ١٤

(٢) انظر : ترجمته في ص ١٧٧

(٣) صيانة الإنسان ص ٤٣٦

(٤) ولد الشيخ سنة ( ١٢٠٠ هـ ) وكان جامعاً للفقهِ والحديث ، قتله جند إبراهيم باشا ظلماً سنة

( ١٢٣٣ هـ ) انظر : عنوان المجد في تاريخ نجد ١ / ٢٠٨ - ٢٠٩

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٣٣

(٦) انظر ص ٢٢٩ .



فأرب هو المالك كما قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ﴾ <sup>(١)</sup>  
ويقول : ﴿ والله ملك السموات والأرض وما بينهما ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال :  
﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

والرب هو الخالق البارئ المصور كما قال عن نفسه : ﴿ هو الله الخالق  
البارئ المصور ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فلا خالق سواه ، وهو الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته  
المصور خلقه كيف شاء وكيف يشاء <sup>(٥)</sup> .

والرب هو المبدي والمعيد كما قال : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم  
يعيده ﴾ <sup>(٦)</sup> ، فهو الذي ابتداء الأشياء كلها فأوجدها ، إذ هو الأول الذي ليس  
قبله شيء ، ثم هو يعيدها سببانه .

والرب هو المحيي والمميت ، الذي أحيا الخلق بأن خلق فيهم الحياة ، والذي  
خلق الموت كما خلق الحياة . كما قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة  
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ <sup>(٧)</sup> ويقول : ﴿ لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم  
ورب آباءكم الأولين ﴾ <sup>(٨)</sup> .

---

(١) سورة الحشر الآية : ٢٣

(٢) سورة العنكبوت الآية : ١٧

(٣) سورة يس الآية : ٨٣

(٤) سورة الحشر الآية : ٢٤

(٥) انظر جامع البيان ١٤ / ٢٨ / ٥٦

(٦) سورة الروم الآية : ٢٧

(٧) سورة الملك الآية : ٢

(٨) سورة الدخان الآية : ٨

والرب هو النافع الضار ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ <sup>(١)</sup> . وقال : ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً ﴾ <sup>(٢)</sup> .

والرب هو المعطي المانع كما قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقال الرسول ﷺ في دعائه بعد الفراغ من الصلاة : « اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ » <sup>(٤)</sup> .

والرب هو المدبر لأمر هذا الكون كما قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَدْبِرُ الْأَمْرَ ﴾ <sup>(٥)</sup> . وقال : ﴿ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ <sup>(٦)</sup> ، وقال ﴿ يَدْبِرُ الْأَمْرَ يَفْصِلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تَوْقِنُونَ ﴾ <sup>(٧)</sup> .

والرب هو الخالق الرازق القوي القدير كما قال تعالى : ﴿ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ <sup>(٨)</sup> ، وقال ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٩)</sup> .

(١) سورة يونس الآية : ٢١

(٢) سورة الفتح الآية : ١١

(٣) سورة فاطر الآية : ٢

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة ، باب ٢٦ / ، استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان

صفته ٤١٤ / ١ رقم ٥٩١ .

(٥) سورة يونس الآية : ٣

(٦) سورة يونس الآية : ٣١

(٧) سورة الرعد الآية : ٢ .

(٨) سورة الرعد الآية : ١٦

(٩) سورة فاطر الآية : ٣

وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ويمكن تعريف توحيد الربوبية بكلام أخصر فيقال هو :-

« إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالْحُكْمِ » <sup>(٣)</sup> .

فالخلق أصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، وفي إيجاد الشيء من الشيء ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، أي أبدعهما بدلالة قوله : ﴿ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ <sup>(٦)</sup> . وهذا يتضمن أنه قد برأها وصورها <sup>(٧)</sup> .

قال الزجاجي <sup>(٨)</sup> : « والخلق : الفعل ، وأفعال الله عز وجل مقدرة على مقدار ما قدرها عليه » <sup>(٩)</sup> .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٨

(٢) وردت في عدة آيات من القرآن منها سورة البقرة الآية : ٢٠

(٣) انظر مدارج السالكين ١ / ٤١٢ ، فقد لخصته منه .

(٤) سورة الانعام الآية : ١

(٥) سورة البقرة الآية : ١١٧

(٦) سورة النساء الآية : ١

(٧) انظر المفردات للراغب ص / ٢٩٦

(٨) هو أبو القاسم : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النحوي ، توفي سنة (٣٣٧ هـ) ، انظر :

طبقات النحويين واللفويين ص / ١٢٩ ، ووفيات الاعيان ٣ / ١٣٦ .

(٩) اشتقاق أسماء الله الحسنى ص / ١٦٦

أما الحكم فمعناه القضاء ومنه قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنِ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (١) .

قال ابن جرير رحمه الله في معنى هذه الآية : « يقول : ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء ، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء فينفذ فيهم حكمه ، ويقضي فيهم ولا يرد قضاؤه » (٢) فالله عز وجل هو الذي يحكم بما أراد ولا معقب لحكمه .

فقولنا : « إفراد الله بالخلق » شمل هذا : الخلق الأول ، وهو ابتداء خلق الناس وغيرهم ، والخلق الثاني وهو البعث كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٣) ، فتضمن هذا كون الله عز وجل هو المبدئ وهو المعيد وهو المحيي وهو المميت ، وكذلك قد تقدم أن خلقه الأشياء أي إبداعه إياها يتضمن إبراءها وتصويرها ، فهو سبحانه الباريء المصور - وهذه كلها من خصائص ربوبيته .

وأما قولنا : « إفراده بالحكم » فإن الله هو الذي يحكم في خلقه ما يشاء ، فيتضمن الحكم نفعهم وضرهم ، وتدير أمورهم ، ورزقهم ، فالله عز وجل هو النافع الضار ، وهو المدبر للأمر والقاضي به ، وهو الرزاق ، وهذه كلها من خصائص ربوبية الله تعالى .

---

(١) سورة يوسف الآية : ٤٠

(٢) جامع البيان ٨/١٣/١٤ .

(٣) سورة ق الآية : ١٥

وكل واحد من الأمرين - أي الخلق والحكم - دال على ملك الله عز وجل لكل شيء وأنه هو السيد ، وذلك من خصائص الربوبية لله تعالى .

ومجموع الأمرين - أي إفراده بالخلق والحكم - : دال على دخول الإيمان بالقضاء والقدر في توحيد الربوبية .

وليعلم أن حكم الله عز وجل نوعان : كوني وشرعي .

أما الكوني ، فهو الذي تقدم ذكره ، والاستدلال له ، وحاصله : ما يقضي الله به تقديراً وخلقاً <sup>(١)</sup> .

وأما الحكم الشرعي ، فهو ما يقضي به الله شرعاً <sup>(٢)</sup> ، ومن ذلك قول الله جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ، لَآ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص / ١٥ ، وانظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٨ / ٥٨ .

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص / ١٥ .

(٣) سورة الممتحنة الآية : ١٠ .

## المطلب الثاني

### مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية

إذا أقر العبد لله تعالى بالربوبية ، فإن إقراره هذا يقتضي أموراً لا بد منها ، فإن لم يلتزم هذه المقتضيات ما نفعه إقراره بالربوبية لله ، فهذه المقتضيات هي :

**الأول منها :** « ألا يعتقد العبد نفعاً ولا ضرراً ولا حركة ولا سكوناً ولا بسطاً ولا خفضاً ولا رفعاً ولا إعطاءً ولا منعاً ولا إحياءً ولا إماتةً ولا تدبيراً ولا تصرفاً إلا والله سبحانه وتعالى هو فاعله وخالقه لا يشركه في ذلك ولا يملك واحد منه شيئاً » <sup>(١)</sup> وقد دخل في هذا : الإيمان بالقضاء والقدر - وسأفرده بمبحث خاص إن شاء الله .

**الثاني :** إثبات رب مبين للعالم ، يقول ابن القيم رحمه الله : « إن الربوبية المحضة تقتضي مبينة الرب للعالم بالذات كما بآينهم بالربوبية وبالصفات والأفعال ، فمن لم يثبت رباً مبيناً للعالم فما أثبت رباً » <sup>(٢)</sup> وهذا قاله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ ، والعالم هو كل ماسوى الله تعالى .

**الثالث :** أن يتوصل العبد بالإقرار بالربوبية إلى الإقرار بالالوهية فيجردها لله تعالى فلا يصرف أي نوع من أنواع العبادات لغير الله تبارك وتعالى . وقد تقدم ذكر الأدلة الدالة على هذا الأمر . <sup>(٣)</sup>

(١) مجلة الجامعة الإسلامية - السنة - ١١ - العدد ٢ - مفهوم الربوبية للشيخ سعد ندا ص : ١٢٤

(٢) مدارج السالكين - ١ / ٨٤ .

(٣) انظر : ص : ١٠٧ - ١١٣ .

## تفريع : الإيمان بالقضاء والقدر

القضاء : فصل الأمر وقطعه وإيجاده ، كقوله تعالى : ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ <sup>(١)</sup>

والقدر : هو التقدير والتحديد <sup>(٢)</sup> .

والقدر يكون كذلك بمعنى القضاء والحكم <sup>(٣)</sup>

ومن مجموع الكلمتين يمكن معرفة المراد بالقضاء والقدر وهو : - « إيجاد الله تعالى للكائنات وإحداثه لها حسب ما سبق به علمه واقتضته حكمته » <sup>(٤)</sup>

وأما أيهما أسبق القضاء أم القدر ؟ فذلك قد اختلف فيه ، والأظهر - على أن القدر هو التقدير والقضاء هو فصل الأمر وإيجاده - أن القدر يكون أسبق ، والقضاء بعده <sup>(٥)</sup> ، والله أعلم .

مراتب القدر :

للإيمان بالقدر أربع مراتب هي :

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ١٢

(٢) انظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص / ٦٧٤-٦٧٥

(٣) انظر : المحكم لابن سيده ٦ / ١٨٣ وانظر تاج العروس ١٣ / ٣٧٠ مادة : (قدر)

(٤) رسائل في العقيدة لابن عثيمين ص / ٣٧ وانظر القضاء والقدر في الإسلام ١ / ٣٢٨ .

(٥) انظر العقل والنقل عند ابن رشد للشيخ محمد أمان الجامي ص / ١٧١

## المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله عز وجل

فإن الله سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً ، وهو عالم الغيب والشهادة لا يعزب عن علمه شيء . فالواجب على العبد أن يؤمن بأن الله تعالى قد علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة .<sup>(١)</sup>

والأدلة الدالة على هذا الأمر كثيرة جداً منها : قول الله تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾<sup>(٢)</sup> . وقوله : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾<sup>(٤)</sup> ففي هذه الآية إثبات لعلم الله تعالى بعواقب الأمور أن لو وقعت كيف تكون عاقبتها ، فالله عز وجل علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ومن هذا المعنى أيضاً قوله تعالى : ﴿ ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾<sup>(٥)</sup> ومن هذا المعنى أيضاً قول النبي ﷺ لما سئل

---

(١) انظر : مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٨/٣ ومعارج للقبول ٣٢٨/٢

(٢) سورة الحشر الآية : ٢٢

(٣) سورة الطلاق الآية : ١٢

(٤) سورة البقرة الآية : ٢١٦

(٥) سورة الأنعام الآية : ٢٨



عن أولاد المشركين فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » <sup>(١)</sup> . وكتابة الله تعالى للمقادير قبل خلقها دالة كذلك على علم الله سبحانه السابق - كما سيأتي تفصيله قريباً إن شاء الله - .

وقد كان علماء أهل السنة والجماعة إذا أرادوا أن يحتاجوا القدرية احتجوا عليهم بالعلم ، فإن أنكروه كفروا ، وإذا أثبتوه خُصموا ، ومن نصوصهم في ذلك :-

ماقاله عمر بن عبد العزيز <sup>(٢)</sup> رحمه الله : « من أقرب العلم فقد خُصِم » <sup>(٣)</sup> ، وقد قيل له « إن غيلان <sup>(٤)</sup> يقول في القدر كذا وكذا ، فمر به ، فقال أخبرني عن العلم ؟ فقال : سبحانه الله ! فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة ، فقال عمر بن عبد العزيز : والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك ، اذهب الآن فاجهد جهدك » <sup>(٥)</sup>

---

( ١ ) متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب القدر - باب - الله أعلم بما كانوا عاملين ( صحيح البخاري مع فتح الباري ١١ / ٥٠٢ ) وأخرجه مسلم كذلك في صحيحه -

كتاب القدر - باب - ٦ - حكم موتى أطفال الكفار والمسلمين ٤ / ٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٩  
( ٢ ) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الخليفة العادل - وهو أحد التابعين وإمام حافظ - ولد سنة ( ٦٣ هـ ) ، وتوفي سنة ( ١٠١ هـ ) انظر : سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٤ - ١٤٨

( ٣ ) الرد على الجهمية للدارمي ص ١١٨ - ١١٩ / رقم ٢٤٤  
( ٤ ) هو غيلان بن مسلم الدمشقي ، تنسب إليه فرقة الغيلانية ، أخذ مقالته في القدر عن معبد الجهني - قتل سنة ( ١٥٠ هـ ) زمن هشام بن عبد الملك بعد مناظرة الأوزاعي له ، انظر ميزان الاعتدال ٤ / ٣٣٨ ولسان الميزان ٤ / ٤٢٤ .

( ٥ ) السنة لعبد الله بن أحمد ٢ / ٣٨٦ رقم ٨٣٨

وقال الدارمي <sup>(١)</sup> بعد أن ذكر أن قوماً أنكروا سابق علم الله في خلقه وما الخلق عاملون قبل أن يعملوا : « وهذا المذهب الذي ادعوه في علم الله قد وافقهم على بعضه بعض المعتزلة ، لأنه لا يبقى مذهب الفريقين جميعاً إلا برد علم الله ، فكفى به ضلالاً ، ولأنهم متى ما أقروا بعلم سابق خصموا ، كذلك قال عمر بن عبد العزيز » <sup>(٢)</sup> اهـ .

### المرتبة الثانية : الإيمان بكتابة المقادير

فيجب الإيمان بأن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قبل أن يخلقهم ، فدخل في ذلك أعمال المكلفين ومصيرهم <sup>(٣)</sup> .

ومن الأدلة في ذلك من الكتاب قول الله تعالى : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض ، إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ <sup>(٥)</sup> . وقوله : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ،

---

(١) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي ، أحد الأئمة الحفاظ ، له تصانيف منها : الرد على بشر المريسي ، والرد على الجهمية ، توفي سنة ( ٢٨٠ هـ ) ، انظر الجرح والتعديل ١٥٣/٦ وسير أعلام النبلاء ٣١٩/١٣ .

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص / ١١٨ وانظر كذلك ص / ١١٠ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٨/٣ ، ومعارج القبول ٢/٣٣٢ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ٣٨

(٥) سورة الحج الآية : ٧٠ .

ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ،  
 وقوله : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا  
 عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض  
 ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن الأدلة في ذلك من السنة قول الرسول ﷺ : « أول ما خلق الله القلم  
 قال له اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » <sup>(٣)</sup> ،  
 وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ  
 يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين  
 ألف سنة » <sup>(٤)</sup> ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : جاء سراقة بن  
 مالك بن جعشم فقال : يا رسول الله ، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ، فيم العمل  
 اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟ قال : « لا ، بل  
 فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » <sup>(٥)</sup>

---

(١) سورة الانعام الآية : ٥٩ .

(٢) سورة يونس الآية : ٦١ .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١ / ٥٠ رقم / ١٠٨ وصححه الألباني .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٠٤٤ كتاب القدر باب / ٢ حجاج آدم وموسى عليهما

السلام رقم / ٢٦٥٣

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٢٠٤٤ كتاب القدر باب / ١ - ٤ / ٢٠٤٤ برقم / ٢٦٤٨

## المرتبة الثالثة : الإيمان بالمشيئة والقدرة

فلا بد للعبد أن يؤمن بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة ، كما قال الله تعالى في إثبات مشيئته : ﴿ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال في قدرته : ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقدرته سبحانه لا يفعل الله بها إلا مع وجود مشيئته ، فإنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهما يجتمعان فيما كان وفيما سيكون ، ويفترقان في ما لم يكن ولا هو كائن ، بمعنى أن الشيء الذي كان فقد شاء الله تعالى كونه ، ووقع بقدرته ، والذي سيكون فقد شاء الله أنه سيكون ولا يقع إلا بقدرته لا محالة ، أما الشيء الذي لم يكن ولا هو كائن فهذا هو الذي لم يشأ الله تعالى كونه وإن كان قادراً عليه ، فافترقا هنا ، فليس كل ما كان الله قادراً عليه فعله ، وإنما يفعله إذا شاءه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فدل النص على أن الله لو شاء إيمان جميع الناس لفعل ذلك ، وهذا يستلزم قدرته عليه ، ولكن الذي جعل ذلك غير واقع هو إرادته ومشيئته ، عدم إيمان الجميع ، فدل ذلك على أن الفعل لا يوجد بمجرد كون الله قادراً عليه بل لابد مع القدرة من الإرادة والمشيئة ، وإلا للزم وقوع كل مقدور . ومثل هذه

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٢٧

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٤٨

(٣) سورة يونس الآية : ٩٩

الآية قول الله تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية : ﴿ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم ﴾ <sup>(٢)</sup> قال النبي ﷺ : « أعوذ بوجهك » ﴿ أو من تحت أرجلكم ﴾ قال : « أعوذ بوجهك » ﴿ أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض ﴾ قال : « هاتان أهون » <sup>(٣)</sup> ، فبين سبحانه أنه قادر على كل ما ذكره في الآية وإن لم يقع . فالسبب في عدم وجود الشيء هو مشيئة الله تعالى عدم إيجاده لا أنه عجز عنه تعالى الله وتقدس عن ذلك ، بل هو القادر على كل شيء ولا شيء يعجزه كما قال : ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقال : ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً ﴾ <sup>(٥) (٦)</sup> .

ومشيئة الله تعالى عامة لكل شيء من أفعاله وأفعال عباده <sup>(٧)</sup> ، كما قال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿ ولو شاء الله

(١) سورة السجدة الآية : ١٣

(٢) سورة الأنعام الآية : ٦٥

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب / ٢ من سورة الأنعام برقم / ٤٦٢٨ ، (صحيح البخاري مع الفتح ٨ / ١٤١) .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٤٨

(٥) سورة فاطر الآية : ٤٤

(٦) انظر منهاج السنة ٣ / ٢٧٠ - ٢٧١ ومعارج القبول ٢ / ٣٤٧

(٧) انظر رسائل في العقيدة لابن عثيمين ص / ٣٧

لجميعهم على الهدى ﴿١﴾ ، فتوفيق الناس للهدى والعمل به وجمعهم على ذلك إنما هو بفعل الله تعالى ، وقد علق فعله بمشيئته ، فهذا دليل على أن مشيئته تعم أفعاله ، ومن الأدلة على ذلك كذلك قوله تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ ﴿٢﴾ ، وقوله : ﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ ﴿٣﴾ ، وأما الدليل على أن مشيئة الله تتعلق بأفعال العباد فقوله تعالى : ﴿ ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾ ﴿٤﴾ ، وقوله : ﴿ ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم ﴾ ﴿٥﴾ ، بل إن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله تعالى كما قال : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ ﴿٦﴾

وقدرته سبحانه وتعالى تكون على الأعيان المنفصلة وعلى أفعال نفسه ، قال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾ ﴿٨﴾ ، وأما قدرته على الأعيان المنفصلة ومن ذلك العباد وأفعالهم ، فدل عليها نحو قوله تعالى : ﴿ أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون ﴾ ﴿٩﴾ ، فبين سبحانه

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٥

(٢) سورة القصص الآية : ٢٨

(٣) سورة إبراهيم الآية : ٢٧

(٤) سورة الأنعام الآية : ١١٢

(٥) سورة النساء الآية : ٩٠

(٦) سورة التكوين الآية : ٢٩

(٧) سورة يس الآية : ٨١

(٨) سورة القيامة الآية : ٤٠

(٩) سورة الزخرف الآية : ٤٢

أنه يقدر عليهم أنفسهم ، وهو نص في قدرته على الأعيان المفعولة <sup>(١)</sup> .

### المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله هو الخالق وحده

فيجب الإيمان بأن الله عز وجل هو خالق الكائنات ، ذواتها وصفاتها وحركاتها ، كما قال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقد تقدم في مبحث سابق ذكر الأدلة على هذه المرتبة ، والمقصود هو إثبات أن الله خالق كل شيء ، سواء كان هذا الشيء مفعولاً له أو مفعولاً لخلقه ، فدليل الأول قوله تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فالسموات والأرض مفعولات له سبحانه ، وتخليقها هو فعله وصفته وهو سبحانه إنما فعلها بقدرته ومشيئته ، فدل ذلك على أنه خالق مفعولاته .

وأما دليل الثاني : - أعني أنه خالق أفعال العباد - ، فقوله تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فنسب الله عز وجل ما عملوه إليه نسبة مخلوق إلى خالقه ، إذ هو خالق كل شيء <sup>(٦)</sup> .

---

(١) انظر مجموع الفتاوي ٨ / ١٠ - ١٣

(٢) سورة الزمر الآية : ٦٢

(٣) سورة الفرقان الآية : ٢

(٤) سورة يونس الآية : ٣

(٥) سورة الصافات الآية : ٩٦

(٦) انظر رسائل في العقيدة للشيخ ابن عثيمين ص / ٣٧ .

## المطلب الثالث

### منزلة توحيد الربوبية

إذا أقر العبد بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم ، وشهد بذلك ، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الإلهية ، فإن الأمرين متلازمان ، فمن أقر لله بالربوبية لزمه أن يقر له بالإلهية : « فإن أول ما يتعلق القلب بتعلق بتوحيد الربوبية ، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية ، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ، ويحتج عليهم به ويقررهم به ، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية » (١)

وبيان ذلك أن من أثبت لله خصائص الربوبية التي تقدم ذكرها من الخلق والإحياء والإماتة والنفع والضر والإسعاد والإشقاء - استسلم لله تعالى في كل شيء ، فيعلم أن ما أصابه فمن الله ولم يكن ليخطئه ، وأنه إذا دخل الجنة فبتوفيق الله وفضله ، وإذا دخل النار فبحكمته وعدله ، وكل ذلك قدره الله تعالى ، فإذا علم ذلك ، لجأ إلى خالقه ليستعين به في جلب المنافع ودفع المضار ، وليستهديه الصراط المستقيم ، فيورث ذلك محبة عظيمة في قلب العبد لربه تعالى ، فيقدم محاب ربه على كل شيء ، ويورثه ذلك الخوف من الله وتعظيمه وتوقيره (٢) : « فهذه علامة توحيد الإلهية في هذا القلب ، والباب الذي دخل إليه منه : توحيد الربوبية ، أي : باب توحيد الإلهية : هو توحيد الربوبية » (٣)

(١) مدارج السالكين ٤١٣/١ .

(٢) انظر ما قاله الحافظ ابن رجب ص / ١١٩

(٣) مدارج السالكين ٤١٣/١



وبهذا التقديم تظهر أهمية الإقرار بالربوبية لله تعالى، وهذه المعرفة فطرية في قلوب بني آدم - كما سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله <sup>(١)</sup> - إلا أن أكثر الناس الذين وقعوا في الشرك إنما وقعوا فيه لإتيانهم بما يناقض توحيد الإلهية، لذلك جاءتهم الرسل بالدعوة إلى هذا النوع من التوحيد - أعني توحيد الإلهية - وإذا أقر الإنسان لله بالربوبية ولم يوحد في عبوديته ما نفعه إقراره هذا - لذلك يقول الله جل وعلا : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قال مجاهد <sup>(٣)</sup> رحمه الله في تفسير هذه الآية : « إيمانهم قولهم : الله خالقنا ورازقنا ويميتنا ، فهذا إيمان ، مع شرك عبادتهم غيره » <sup>(٤)</sup> . اهـ وقد تقدم ذكر أقوال أئمة التفسير في تفسير هذه الآية بما أغنى عن إعادته هنا . <sup>(٥)</sup>

وسيأتي - إن شاء الله - ذكر الرد على القول بأن إثبات الصانع هو أول واجب على المكلف . <sup>(٦)</sup>

(١) انظر : ص : ٢٨٠ - ٢٨٨

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠٦

(٣) تقدمت ترجمته ص : ١٢٨

(٤) جامع البيان للطبري - ٧٨-٧٧ / ١٣ / ٨

(٥) انظر : ص : ١١٠ ، ١٧٦

(٦) انظر : ص : ٣١٦ - ٣٢٤

## المطلب الرابع

### أحكام متعلقة بأفعال الله تعالى المتعدية

#### المسألة الأولى

#### أفعال الله كلها خير

أفعال الله تعالى كلها خير عند أهل السنة والجماعة - وذلك للآتي :

(١) إن فعل الله تعالى قائم به ، والله تعالى لا يقوم به إلا ما هو الأحسن والأكمل كما قال الله تعالى ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ (١)

(٢) إن الملاحظ من سياق القرآن ونصوصه نسبة الخير إلى الله تعالى : فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فذكر الله تعالى أنه فاعل النعمة ، ثم لما ذكر الضلال أضافه إلى غيره وحذف فاعل الغضب فقال : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ والأمثلة كثيرة .

(٣) إن الرسول ﷺ نص على أن الخير يضاف إلى الله ولا يضاف إليه الشر فقال : « والخير كله في يديك والشر ليس إليك » (٢)

---

(١) سورة النحل - الآية : ٦٠ ، وانظر ص / ٤٦٩ في معنى المثل الأعلى .

(٢) هو جزء من حديث دعاء الاستفتاح في الصلاة : أخرجه مسلم في صحيحه ٥٣٤/١ -

كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٢٦) الدعاء في صلاة الليل وقيامه - رقم : ٧٧١

فإذا وضع هذا - وهو أن الخير يذكر في أفعال الله تعالى ، وأن الشر لا يذكر في أفعاله - فإنه يقال : إن الشر إنما يذكر في مفعولاته التي هي مخلوقات بائنة عنه ليست قائمة به . وللتحقيق في هذا الموضوع فإنه لا بد أن يبحث عن ثلاثة أمور وهي : -

الأول : التفريق بين الفعل والمفعول .

الثاني : طريقة إضافة الشر .

الثالث : النظر في الشر نفسه ، هل هو شر محض أو جزئي إضافي ؟

أما الأمر الأول وهو : التفريق بين الفعل والمفعول ، فإنه أمر يقول به أهل السنة والجماعة ، ويتضح هذا بمثال وهو : تخليق السموات والأرض ، فالسموات والأرض مخلوقة لله تعالى فهي ليست قائمة بذات الرب تعالى ، أما التخليق فهو فعله وهو صفته . (١)

وعلى هذا يقال : إن الشرور مثل الأمراض والمعاصي مخلوقة لله تعالى وليست قائمة به ، ولذلك فهو لا يتصف بها ، وإنما يتصف بها من قامت به . ومثل هذا : الطعوم والروائح والألوان .

وأما الأمر الثاني : فهو : إن الشر لا يضاف إلى الله تعالى مفرداً . وإنما بالاعتبارات الثلاث الآتية (٢) وهي : -

---

(١) انظر قول البخاري الآتي نقله إن شاء الله ص / ٢٧٣-٢٧٤ ، ص / ٤٢٢ وحكايته ذلك عن عامة أهل السنة والجماعة .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٣ / ١٤٢

(١) أن يدخل في العموم كما في قول الله تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ <sup>(١)</sup> فدخل في عموم مخلوقاته .

(٢) أو أن يضاف إلى السبب ، كما في قول الله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ﴾ وخالق السبب والمسبب هو الله .

(٣) أو أن يحذف فاعله كما في قول الله تعالى فيما حكاه عن الجن : ﴿ وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً ﴾ <sup>(٢)</sup>

وأما الأمر الثالث فهو : إن الشر الذي يكون في مخلوقاته هو شر جزئي إضافي ، وليس شراً متمحضاً من كل الوجوه ، لأنه يرجع إلى أحد أمرين : <sup>(٣)</sup> .

١- إما أن يكون الشر القائم بمحل معين خيراً من وجه آخر للمحل نفسه ، ومثاله : القصاص والحدود ، والآلام ، فهي تنفع صاحبها المؤمن بتكفير ذنبه أو رفع درجته . فهي إذاً خير من وجه آخر .

٢- أو أن يكون الشر القائم بمحل معين خيراً لمحل آخر ، كقتل الكفار ، فإن القتل وإن كان شراً للكفار ، إلا أنه خير لغيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض .

فبعد تحقيق هذه الأمور الثلاثة يوقن الإنسان تماماً أن أفعال الله تعالى لا

---

(١) سورة الزمر - الآية : ٦٢

(٢) سورة الجن الآية : ١٠

(٣) انظر : طريق الهجرتين ٢٦٩ - ٢٧٠ ، وانظر شفاء العليل ٤٤٣ ، ٤٤٧

يدخلها شر أبداً : لأن الشر إنما هو في مفعوله ، ومفعوله ليس شيئاً قائماً به فلا يتصف به ، وأن هذا الشر ليس متمحضاً وإنما هو خير من وجه آخر ، وأن استعمال القرآن : عدم إضافة الشر إلى الله مفرداً .

ولله عز وجل الحكمة البالغة في ذلك كله .

## المسألة الثانية

### الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه

قد تقدم الكلام فيما مضى عن قدرة الله وإرادته ، وأنه مامن شيء إلا ويقع بقدرته وإرادته ، ومن ذلك أفعال العباد ، فهذه مسألة . ثم إنه قد تكلم بعض الناس في مسائل الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، وفي الحسن والقبح العقليين ، وفي تأثير الأسباب في مسبباتها ، وهل ذلك يستلزم منع وصف الله بأنه يفعل ما يشاء ويختار ؟ . ولما كان موضوع هذا الكتاب أهل السنة ، والأشاعرة في منهجيهما ، فسيكون الكلام عن تلك المسائل في منهجيهما فقط إن شاء الله تعالى (١) .

فالحكمة عند أهل السنة : العاقبة المحمودة للفعل التي لأجلها فعل الله تعالى ، وللأمر الذي لأجله أمر الله ، فالحكمة عامة تتضمن ما في الخلق والأمر من العواقب المحمودة والغايات المطلوبة (٢)

### والحكمة تتضمن شيئين :-

أحدهما : حكمة تعود إليه تعالى يحبها ويرضاها ، فالحبة والرضى أخص من الإرادة والمشئمة ، والحكمة ليست مطلق المشئمة ، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيماً (٣) !

---

(١) وانظر طوائف الناس في هذه المسألة في طريق الهجرتين ص / ١٩٥ - ١٩٩

(٢) انظر منهاج السنة النبوية ١ / ١٤١ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى د. محمد بن ربيع

المدخلي ص / ٢٣

(٣) انظر منهاج السنة ١ / ١٤١ ومجموع الفتاوى ٨ / ٣٤ .

الثاني : حكمة تعود إلى عباده ، هي نعمة عليهم يفرحون ويلتذون بها في المأمورات والمخلوقات <sup>(١)</sup> وسيأتي عند ذكر الأدلة القاضية بإثبات الحكمة تفصيل ذلك إن شاء الله .

وقد تقدم في تعريف الحكمة أنها تكون في خلق الله تعالى وفي أمره ، وبيان ذلك : -

إن كل ما خلقه الله تعالى فله فيه حكمة بالغة كما قال : ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقال : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فاتقانه وإحسانه لخلقه دليل على أن له حكمة في ذلك <sup>(٤)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ <sup>(٥)</sup> ، فبين سبحانه أنه خلق ذلك لأجل الحكمة التي نص عليها وهي بيان قدرة الله الشاملة وعلمه المحيط ، وليست هي كل الحكمة ، فالله أعلم بتفاصيل كل شيء <sup>(٦)</sup> ، فكلام أهل السنة أنهم يقولون : فعل كذا لأجل كذا ، وفعل كذا بكذا ، لا كما قال غيرهم إنه فعل عنده لا به ولا له <sup>(٧)</sup>

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣٥/٨ .

(٢) سورة النمل الآية : ٨٨

(٣) سورة السجدة الآية : ٧

(٤) الفتاوى ٣٥-٣٤/٨

(٥) سورة الطلاق الآية : ١٢

(٦) انظر شفاء العليل ص / ٣٢٠

(٧) انظر منهاج السنة ٣١٥/٢

## وأما الحكمة الحاصلة من الشرائع فثلاثة أنواع :-

**النوع الأول :** حكمة حاصلة من الأمر بفعلٍ مشتمل على مصلحة ، أو من النهي عن فعلٍ مشتمل على مفسدة ، والمصلحة والمفسدة فيهما معلومتان بأصل الفطرة والحلقة ، كالعدل والظلم ، فهذا يعلم بالعقل والشرع ، وثبوتها بالشرع : المراد به إثبات الثواب أو العقاب به ، لا إثبات صفة للفعل لم تكن قبل مجيء الشرع <sup>(١)</sup>

**النوع الثاني :** حكمة حاصلة من الأمر أو النهي عن فعل بحسب اشتماله على المصلحة والمفسدة إلا أنه لا يعرف إلا بخطاب الشرع <sup>(٢)</sup> ، مثل قبح الزيادة على أربع في النكاح .

**النوع الثالث :** حكمة يكون منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به <sup>(٣)</sup> ، أي أنه مراد به الامتحان ، وذلك فيما يكون ظاهره القبح ، فيأمر به الشارع امتحاناً للعبد أيتمثل أم لا ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ، عندما رأى ذلك في المنام - ورؤيا الأنبياء حق - كما قال الله تعالى : ﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ <sup>(٤)</sup>

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨ / ٤٣٥

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٨ / ٤٣٦

(٤) سورة الصافات الآيات ١٠٢ - ١٠٦



فالله سبحانه الذي له الحكم البالغة والنعم السابغة التي لأجلها خلق وأمر يستحق أن يثنى عليه ويحمد لأجلها ، كما يُثنى عليه ويُحمد لأسمائه الحسنی ولصفاته العليا ، فهو كامل الذات ، كامل الأسماء والصفات ، لا يصدر عنه إلا فعل كريم مطابق لحكمته موجب لحمده ، يترتب عليه من محابه ما فعل لأجله<sup>(١)</sup> .

والحكمة - التي هي المطلوب المقصود من الفعل - تكون متقدمة في العلم والإرادة قد أحاط الله بها علماً قبل وجودها وهو يريد لها ، وتكون متأخرة في الوجود والحصول ، فيخلق الشيء لحكمة ، وهذه تقود إلى حكمة أخرى ، وهكذا ، ولا مانع من مثل هذا النوع من التسلسل الذي يكون في المستقبل ، مثله في ذلك مثل نعيم الجنة ودوامه في المستقبل<sup>(٢)</sup> ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « إن العلة الغائية مُقدِّمة في التصور والقصد وإن كانت مُؤخِّرة في الوجود والحصول »<sup>(٣)</sup> ويجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ، فلا تقاس أفعاله بأفعال خلقه ، فلا يقال إن مايقبح من العبد يكون قبيحاً من الخالق ، وإن ما حسن من العبد يكون حسناً من الخالق فإنه ما من فعل إلا والله به عليم وله فيه حكمة بالغة وإن خفي وجه الحكمة على خلقه في بعض خلقه كيابليس مثلاً ، ولكي يتضح هذا الأمر فإنه يقال : العلل الغائية تارة تطلب لنفسها ، وتارة تطلب لغيرها فتكون وسيلة إلى مطلوب لنفسه .

فالتی تطلب لذاتها كقول الله تعالى في الحكمة من خلق الجن والإنس :

(١) انظر طريق الهجرتين ص / ٢٧٦ .

(٢) انظر مجموع الفتاوي ٨ / ١٨٧ .

(٣) النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص / ١٣٦ .

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ <sup>(١)</sup> وكقوله : ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ <sup>(٢)</sup>

وأما التي تطلب لغيرها فتكون وسيلة إلى مطلوب لنفسه فكقوله تعالى :  
﴿وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ <sup>(٣)</sup> ، فاللام هنا في قوله ﴿ليقولوا﴾ دالة على التعليل  
لفعله المذكور وهو امتحان بعض خلقه ببعض ، فآسياد القوم وأشرافهم يأنفون  
استكباراً وإباءً إذا رأوا الضعفاء والمساكين منهم قد أسلموا ، فيقولون عند ذلك  
﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ ، فهذا القول منهم هو بعض الحكم والغاية  
المطلوبة بهذا الامتحان ، وهذا وإن كان علة فهو مطلوب لغيره بمعنى أنه وسيلة  
إلى مطلوب لنفسه ، فالمرتب على قولهم موجب لآثار مطلوبة للفاعل من إظهار  
عدله وحكمته وعزته وقهره وسلطانه وعطائه من يستحق عطاءه ويحسن وضعه  
عنده ، ومنعه من يستحق المنع ولا يليق به غيره ولهذا قال تعالى : ﴿أليس الله  
بأعلم بالشاكرين﴾ ، وكانت فتنة بعضهم ببعض لحصول هذا التمييز الذي  
يترتب عليه شكر هؤلاء وكفر هؤلاء <sup>(٤)</sup> .

فضرر بعض الناس ببعض الأشياء لا ينافي كون إيجاد ذلك لحكمة ، يقول

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٥٦ .

(٢) سورة الطلاق الآية : ١٢ .

(٣) سورة الانعام الآية : ٥٣ .

(٤) انظر شفاء العليل ص / ٣٢٢ .

شيخ الإسلام ابن تيمية في خلق إبليس وبعض ما ظاهره التضرر منه : « خلق الله إبليس كما خلق الحيات والعقارب والنار وغير ذلك لما في خلقه ذلك من الحكمة وقد أمرنا أن ندفع الضرر عنا بكل مانقدر عليه ، ومن أعظم الأسباب استعاذتنا به منه ، فهو الحكيم في خلق إبليس وغيره ، وهو الحكيم في أمرنا بالاستعاذة به منه ، وهو الحكيم إذ جعلنا نستعيذ به ، وهو الحكيم في إعاذاتنا منه ، وهو الرحيم بنا في ذلك كله ، المحسن لتلك الرحمة ، فخالق الرحمة أولى بالرحمة من الرحماء »<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً : « وذهب جمهور العلماء إلى أنه إنما أمر العباد بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ، وأن فعل المأمور به مصلحة عامة لمن فعله ، وأن إرساله الرسل مصلحة عامة ، وإن كان فيه ضرر على بعض الناس لمعصيته ، فإن الله : « كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش ، إن رحمتي غلبت عذبي »<sup>(٢)</sup> . . . . فهم يقولون : فعل المأمور به وترك المنهي عنه مصلحة لكل فاعل وتارك ، وأما نفس الأمر وإرسال الرسل فمصلحة عامة للعباد وإن تضمن شراً لبعضهم ، وهكذا سائر ما يقدره الله تغلب فيه المصلحة والمنفعة والرحمة . وإن كان في ضمن ذلك ضرر لبعض الناس ، فله في ذلك حكمة أخرى »<sup>(٣)</sup> . اهـ

فيفهم مما تقدم كذلك أن كل خير وشر حاصل للعبد إنما هو بقضاء الله تعالى ، ولا ينسب الشر إليه ، كما في قول الرسول ﷺ : « والشر ليس إليك »<sup>(٤)</sup>

(١) منهاج السنة ٣/ ٢١٥

(٢) سيأتي تخريجه في الأسماء والصفات إن شاء الله انظر ص ٥٧٧

(٣) منهاج السنة ١/ ٤٦٢ - ٤٦٣

(٤) تقدم تخريجه ص ٢٤٤

فليس في فعله شر أبداً ، بل أفعاله كلها خير ، وإن تضرر بعض خلقه فإن ذلك لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى .

ومن هذا يفهم أيضاً أن عدم العلم بالحكمة لا يدل على عدمها ، فانظر إلى جواب الحق تعالى للملائكة عندما قالوا كما أخبر الله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فأجاب المولى بقوله : ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم ماخفي من الحكمة قد يعلمه الله لبعض عباده وقد يطلعه على بعضها لا كلها ، فيستدل المؤمن بما فيه حكمة على ما لم تظهر له حكمته ويسلم لله تعالى ويثبت له حكمة إجمالية فيما لم يعلمه .

وقد تقدم أن قدرة الله تعالى مطلقة وإرادته كذلك إلا أنه سبحانه لا يفعل بها إلا ما هو حكمة ، فالظلم مثلاً هو ممكن مقدور لله تعالى إلا أنه سبحانه منزّه عنه لا يفعله لعدله ، ولهذا مدح الله نفسه بأنه لا يظلم الناس شيئاً كما قال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظِلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فالظلم في الآية : أن تحمل عليه سيئات غيره فيعاقب بها ، والهضم : أن تهضم حسناته <sup>(٣)</sup> فكلاهما نزه الله نفسه عن فعله كما قال في الحديث القدسي : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » <sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة الآية : ٣٠

(٢) سورة طه الآية : ١١٢

(٣) منهاج السنة ١٣٥/١

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٩٤ ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب ١٥/ تحريم الظلم

برقم ٢٥٧٧ .

ومنته سبحانه على المؤمنين بالهداية دون الكافرين لا تُسمى ظلماً ، بل هو تفضل منه علي المؤمنين كما قال : ﴿ بل الله يمين عليكم أن هذاكم للإيمان ﴾ (١) وإثابته لهم أيضاً فضل منه وإحسان ، وإن كان حقاً واجباً بحكم وعده الذي لا يخلفه وبما كتبه على نفسه من الرحمة وبموجب أسمائه وصفاته ، إلا أن هذا الحق ليس من باب المعاوضة كالأجير يستوفي حقه من المستأجر ، إذ المستأجر هنا قد استوفي منفعته فإن لم يوف أجيره كان ظالماً ، أما الله سبحانه فهو المحسن إلى عباده بالأمر والنهي وبإقداره لهم على الطاعة وإعانتهم .

فإن أمسك إعانته عن الكافر فلا يكون ظالماً له ، حيث إنه لم يمنعه حقاً ثابتاً له ، والله أعلم حيث يضع فضله ، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فلا يضع العقوبة إلا في المحل الذي يستحقها . (٢)

وإذا قدر أن الله عذب الجميع ، كما جاء في قول الرسول ﷺ : « لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً لهم من أعمالهم » (٣) ، فإن قُدِّر أن الله فعل ذلك لفعله وهو غير ظالم بل لا يفعله إلا بحق ، إذ من ذا الذي يقدر أن يقوم بحقيقة الطاعة ويكافئ نعم الله تعالى عليه (٤) .

(١) سورة الحجرات الآية : ١٧

(٢) انظر منهاج السنة ١/ ١٣٨ - ١٣٩ ، ٢/ ٣١٠

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٨٥ وأبو داود في سننه كتاب السنة في أبواب القدر ٤/ ٣١٠-٣١١

وابن ماجه في سننه في المقدمة ١/ ٢٩-٣٠ وانظر صحيح الجامع الصغير للألباني

١/ ٥٧-٥٨ .

(٤) انظر منهاج السنة ١/ ٤٦٩-٤٧٠ .

وإذ قد علم سابقاً أن الله سبحانه ترجع إليه حكمة يحبها من الخلق والأمر فلا يقال إنه صار مستكماً بها وأن الخلق قد أثروا فيه بها ، إذ أن الحكمة هي كسائر أفعاله الاختيارية التي تقوم به ، فهي ليست مغايرة له حتى يقال إنه صار مستكماً بها ، وأيضاً : فلو كانت نقصاً في حال عدم وجودها للزم نقصه في جميع الأفعال ، « فالحوادث التي لا يمكن وجودها إلا متعاقبة لا يكون عدمها في الأزل نقصاً » <sup>(١)</sup> ولو كانت لا تعود إليه وإنما تعود إلى الخلق فحسب لما وصف بها كسائر ما يعود على الخلق ولا يوصف به كالروائح والألوان والطعوم .

وأما القول بأنه صار محتاجاً إلى خلقه فيقال : إن الله سبحانه هو الغني ، والغني وصف ذاتي له ، الصمد القائم بنفسه ، لا يحتاج إلى خلقه بأي حال من الأحوال ، وأما الحكمة التي تحصل له بالخلق فهي حكمة حاصلة بمشيئته لا محذور فيها ، وهو سبحانه الذي إليه الأمر كله فهو الذي أثر في عباده بأن هداهم ووفقهم . <sup>(٢)</sup>

واستعمال الألفاظ الشرعية كما سيعلم هو طريق أهل السنة ، <sup>(٣)</sup> فيعبرون بلفظ « الحكمة » و « الرحمة » و « الإرادة » ونحو ذلك مما جاء به النص . وإن كانت الكلمة غير واردة في النص واحتملت معنى باطلاً فإنها تترك كلفظ : « الغرض » فإنه يشعر بنوع من النقص ، إما ظلم وإما حاجة ، فإذا قيل : إن فلاناً له غرض في شخص ، أو فعل شيئاً لغرضه فقد يراد به غالباً أنه فعله لهواه ومزاده

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٢١/١

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٣/١٦ ومنهاج السنة ٤٢١/١

(٣) انظر ص ٤١٨ ، ص ٤٣٢

المذموم ، فهذا ينزه الباري عنه سبحانه (١) .

وكذلك الحكمة الحاصلة فإنه يقال فيها : إن الله يحبها ويرضاها ، فالحبة والرضى كلاهما جاء بهما النص ، ولا يقال إنه يلتذ بها ، لعدم ورود الشرع بذلك ولأنه لفظ مجمل موهم للنقص (٢) .

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٢/ ٤٥٥

(٢) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦/ ١٣٠-١٣٣ .

## أنواع الأدلة في إثبات الحكمة :

ذكر الإمام ابن القيم أن الأدلة في ذلك كثيرة وأن حصرها عسير ، لذلك لجأ إلى محاولة حصرها بأنواعها ، فأوصلها إلى اثنين وعشرين نوعاً في كتابه شفاء العليل <sup>(١)</sup> ، وقد لخصت أهمها فيما أرى والله أعلم :

(١) نوع من الأدلة فيها التصريح بلفظ الحكمة <sup>(٢)</sup> كقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة فما تغني النذر ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(٢) إخباره أنه فعل كذا لكذا ، وأنه أمر بكذا لكذا <sup>(٤)</sup> كما في قول الله تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ﴾ <sup>(٦)</sup> .

(٣) الإتيان بكبي الصريحة في التعليل <sup>(٧)</sup> كقوله تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن

---

(١) انظر شفاء العليل من ص/ ٣١٩ إلى ص/ ٣٤٣ .

(٢) شفاء العليل ص/ ٣١٩

(٣) سورة القمر الآية : ٥

(٤) شفاء العليل ص/ ٣١٩

(٥) سورة الطلاق الآية : ١٢

(٦) سورة البقرة الآية : ١٤٣

(٧) شفاء العليل ص/ ٣٢٥



ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم  
والله لا يحب كل مختال فخور ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

( ٤ ) ذكر ماهو من صرائح التعليل وهو : « من أجل » <sup>(٢)</sup> كما قال تعالى :  
﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس  
أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾ <sup>(٣)</sup>

( ٥ ) تعليله سبحانه على عدم الحكم القدري والشرعي بوجود المانع منه <sup>(٤)</sup>  
فمن الأول قوله تعالى : ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في  
الأرض ، ولكن ينزل بقدر ما يشاء ، إنه بعباده خبير بصير ﴾ <sup>(٥)</sup> .  
ومن الثاني - وهو التعليل على عدم الحكم الشرعي لوجود المانع -  
فقوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من  
الرزق ..... ﴾ <sup>(٦)</sup> فوصف بعض الرزق بكونه طيباً مانع من الحكم  
بتحريمه .

---

( ١ ) سورة الحديد الآيتان : ٢٢ - ٢٣

( ٢ ) شفاء العليل ص / ٣٢٨

( ٣ ) سورة المائدة الآية : ٣٢

( ٤ ) شفاء العليل ص / ٣٣٠

( ٥ ) سورة الشورى الآية : ٢٧

( ٦ ) سورة الاعراف - الآية : ٣٢

## المسألة الثالثة

### التحسين والتقبيح العقليان

علاقة هذه المسألة بما قبلها هو أن تعليل أفعال الله وأوامره لا يمكن إلا بتقرير الحسن والقبح العقليين ، إذ لو كان الفعل حسنه وقبيحه سواء لما صح تعليل شيء إلا بتعلق الأمر أو النهي به .

ويمكن حصر مسألة الكلام في أوصاف الفعل في الآتي :-

أولاً : إنه توجد صفات ثبوتية في الفعل ، وهذه الصفات هي الحسن والقبح ، وقد يستقل العقل بمعرفة حسن بعض الأفعال كالعدل والصدق ، وبقبح بعض الأفعال كالظلم والكذب ، وهذه الصفات الثابتة لبعض الأفعال ليست لازمة لها في كل حال ، بل إن بعض الفعل في حال قد يكون حسناً وفي حال أخرى قد يكون قبيحاً ، وذلك كالكذب لإنجاء نبي ، فهو حسن في هذه الحال .<sup>(١)</sup> وقد لا يستقل العقل بإدراك حسن بعض الأفعال أو قبحها إلا بخطاب الشرع ، مثل قبح الزيادة على أربع في النكاح ....

ثانياً : توجد صفات عارضة - وهي أحكام الفعل - وهذه لا تثبت إلا بالشرع ، فكون الفعل يترتب عليه ثواب أو عقاب إنما يثبت بالشرع كما قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وإثبات الثواب والعقاب

(١) انظر منهاج السنة ٣ / ١٧٨ - ١٧٩

(٢) سورة الإسراء الآية : ١٥

بالشرع فقط لا ينافي إثبات حسن وقبح عقليين للفعل ، فإن العقل يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها باعتبار نفعها وضرها ، وباعتبار كونها محبوبة ومكروهة ، وبكونها ملائمة أو منافرة للطبع ، فبعد العلم بقبحها أو حسنها عقلاً يزداد الفعل قبحاً أو حسناً إذا تعلق به خطاب الشرع أمراً أو نهياً<sup>(١)</sup> .

ومن الأدلة الدالة على أن الفعل في نفسه حسن وقبيح قوله تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط .. ﴾<sup>(٢)</sup> .

فالفاحشة هنا هي طواف المشركين عراً بالبيت - رجالاً ونساءً - فبين الله تعالى أنه لا يأمر به ، وذلك لقبح هذا الفعل ، ولو كان المراد بالقبح الفعل المقول فيه : لا تفعل ، لكان معنى الآية : إن الله لا يأمر بما ينهى عنه . وهذا كلام يسان عنه كلام الباري<sup>(٣)</sup> ، ومنها قوله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾<sup>(٤)</sup> ، فوصف الله تعالى بعض رزقه بأنه طيب ، وأن وصفه بذلك مانع من تحريمه لمنافاته لحكمة الله تعالى<sup>(٥)</sup> .

وأهل السنة عندما يثبتون حسناً وقبحاً في الأفعال ، لا يحكمون بوجوب شيء عقلاً على الله تعالى ، ولا يقيسون أفعاله على أفعال عباده ، إذ هو سبحانه

(١) انظر منهاج السنة ٣ / ١٧٨ - ١٧٩

(٢) سورة الاعراف الآية : ٢٨

(٣) انظر مدارج السالكين ١ / ٢٤٩

(٤) سورة الاعراف الآية : ٣٢

(٥) انظر مدارج السالكين ١ / ٢٤٩

إذا فعل إنما يفعل لحكمة خفيت أو ظهرت للناس . وخلاصة الفرق بين المعتزلة وأهل السنة في هذه المسائل هو ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « المعتزلة أثبتوا حسناً وقبحاً على طريقة سورا فيها بين الله وخلقه ، وأثبتوا حسناً وقبحاً لا يتضمن محبوباً ولا مكروهاً ، وهذا لا حقيقة له ، كما أثبتوا تعليلاً لا يعود إلى الفاعل حكمه » (١) .

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٧٧/٣

## المسألة الرابعة

### الأسباب والمسببات وعلاقتها بأفعال الله تعالى

كل ما يوصل إلى المقصود يُسمى سبباً .

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق السلف على إثبات الأسباب فقال :  
« السلف والأئمة متفقون على إثبات الأسباب والحكم ، خلقاً وأمراً » <sup>(١)</sup> .

وظهر من كلام شيخ الإسلام أن الأسباب محل الشرع والقدر ، بمعنى أن الله سبحانه ربط الأسباب بمسبباتها شرعاً وقدرأ .

أما في القدر فقد بين الله سبحانه وتعالى أنه يخلق المخلوقات بالأسباب كما قال : ﴿ واللّه أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ <sup>(٢)</sup> فالآية نص في أن الماء الذي أنزله الله من السماء سبب لإحياء الأرض بأنواع النبات ، فالماء سبب ، والنبات مسبب عنه ، فتبين من هذا النص أن الأسباب لها تأثير في المسببات ، بمعنى أن حصول المسبب كان بتوسط السبب ، والله خالقهما ، والمراد أن الله خلق هذا بهذا <sup>(٣)</sup> . فارتباط الأسباب بالمسببات أمر ثابت يثبت به أهل السنة والجماعة وفق الضوابط الآتية : -

١- إن السبب ليس مستقلاً بالمسبب بل لابد من إثبات أمرين آخرين ليقع

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨ / ٤٨٥

(٢) سورة النحل الآية : ٦٥

(٣) انظر مجموع الفتاوي ٨ / ٣٨٩

المسبب وهما :-

( أ ) وجود الأسباب الأخرى المعينة بجانب السبب الأصلي .

( ب ) دفع الموانع والأضداد المعارضة .

٢- ربط ذلك كله بمشيئة الله وقدرته وإثبات خلقه للأسباب والمسببات (١)

ومن الأمثلة التي توضح هذا الأمر : أفعال العباد الاختيارية . فقدرة العبد التي بمعنى التمكن من الفعل سبب من الأسباب التي يوجد بها الفعل ، ولا يقع الفعل بهذه القدرة وحدها ، بل لابد من الإرادة الجازمة التي هي بتوفيق من الله وإرادته ومشئئته ، ومع هذا كله لابد من إزالة الموانع بمشيئة الله كالقيود والحبس ونحو ذلك من الموانع التي تمنع وقوع الفعل (٢) .

فعلم مما تقدم أن أهل السنة لا يقولون : إن السبب إذا وجد فلا بد أن يقع المسبب ، وإنما يقع ذلك بالشروط السابقة ، ولزيادة إيضاح معنى ربط الأسباب والمسببات بمشيئة الله - فإنه يقال : إن الله تعالى هو خالق السبب ومالكه يتصرف فيه بما يشاء ، ومن جملة تصرفه فيه أنه قد ينعقد السبب التام ولا يقع مسببه إذا شاء الله عدم وقوعه (٣) ، ومن أمثلته : أن الله تعالى قد سلب عن النار قوة الإحراق عن الخليل عليه السلام فقال : ﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على

---

(١) انظر الفتاوي ٤٨٦/٨ ودرء تعارض العقل والنقل ٣٤٨/٩ ومدارج السالكين

٤٦٠-٤٦١/٣ .

(٢) انظر مجموع الفتاوي ٤٨٨/٨

(٣) انظر إعلام الموقعين ٢٩٧/٢ ومدارج السالكين ٤٦٢/٣-٤٦٣

إبراهيم ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ، وقد لا تتوفر أسباب يعتادها الناس ومع ذلك يقع المسبب كإعطاء الذرية مع وجود العقم كما قال الله تعالى عن زكريا : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾ <sup>(٢)</sup> ، أو إعطائها مع عدم وجود الذكر كما قال عن مريم : ﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ﴾ <sup>(٣)</sup>

وقد حكى ابن القيم أن أهل السنة والجماعة يقولون بوجود تأثير للأسباب في المسببات وعلى : « جواز بل وقوع سلب سببيتها عنها إذا شاء الله ، ودفعها بأمر أخرى نظيرها أو أقوى منها مع بقاء مقتضى السببية فيها ، كما تصرف كثير من أسباب الشر بالتوكل والدعاء والصدقة والذكر والاستغفار والعق والصلة ، وتصرف كثير من أسباب الخير بعد انعقادها بضد ذلك » <sup>(٤)</sup> .

أما الأسباب في الشرع فهي محل حكمة الله في أمره الديني الشرعي ، والتي تعلل بها الأحكام الشرعية ومن لم يقل بتعليل الأحكام الشرعية ما أمكنه إثبات القياس <sup>(٥)</sup> .

والأدلة التي تفيد إثبات الأسباب كثيرة جداً ، وقد ذكر الإمام ابن القيم من

(١) سورة الأنبياء الآية : ٦٩

(٢) سورة آل عمران الآية : ٤٠

(٣) سورة آل عمران الآية : ٤٧

(٤) إعلام الموقعين ٢ / ٦٩٩

(٥) انظر الموافقات للشاطبي ٢ / ٦-٧ ، وفيه بين أن الاستقراء دل على أن الشريعة وضعت

لمصالح العباد وبين أن الرازي لا يمكنه دفع ذلك ، وأنه في علم أصول الفقه مضطر لإثبات

العلل ليتأتى له القول بالقياس

أنواعها مايلي :-

١- كل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط للجزاء <sup>(١)</sup> : كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ <sup>(٢)</sup> وكقوله : ﴿ وإن تعودوا نعد ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقوله ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ﴾ <sup>(٥)</sup>

٢- كل موضع رتب فيه الحكم الشرعي على وصف قبله بحرف أفاد التسبب <sup>(٦)</sup> ، كقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ <sup>(٧)</sup> .

٣- وكل موضع ذكرت فيه الباء تعليلاً لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب <sup>(٨)</sup> . كقوله تعالى : ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ <sup>(٩)</sup> .

---

(١) شفاء العليل ص / ٣١٧ ونص العبارة فيه : أفاد سببية الشرط والجزاء .

(٢) سورة الأنفال الآية : ٢٩

(٣) سورة الأنفال الآية : ١٩

(٤) سورة الطلاق الآيتان : ٢ - ٣

(٥) سورة آل عمران الآية : ١٢٠

(٦) انظر شفاء العليل ص / ٣١٦-٣١٧ وانظر مدارج السالكين ٣ / ٤٦١

(٧) سورة النور الآية : ٢

(٨) شفاء العليل ص / ٣١٧ وانظر مدارج السالكين ٣ / ٤٦١ .

(٩) سورة الحاقة الآية : ٢٤



٤- وكل موضع صرح فيه بأن كذا جزاء لكذا أفاد التسبيب <sup>(١)</sup> كقوله  
تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>

---

(١) شفاء العليل ص / ٣١٧ وانظر مدارج السالكين ٤٦١ / ٣

(٢) سورة الاحقاف الآية : ١٤

## المسألة الخامسة

### أفعال العباد وعلاقتها بأفعال الله تعالى

لما ذكر سابقاً أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ناسب هنا أن يذكر شيء من التفصيل عن أفعال العباد .

فأفعال العباد هي خلق لله عز وجل كما قال : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾<sup>(١)</sup> ، ف (ما) هنا موصولة بمعنى الذي ، أي خلقكم والذي تعملونه ، ويؤيد هذا الوجه أن إبراهيم عليه السلام أنكر على قومه - المشركين بالله غيره من الأصنام - عبادتهم المنحوت لا النحت ، وهذا يدل له سياق الآية : ﴿أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾<sup>(١)</sup> ، ودلالة الآية على خلق الأفعال من هذا الوجه هو : أن المنحوت حكم الله بأنه مخلوق له . والمنحوت ماصار إلا بفعلهم ، فيكون على هذا فعلهم مخلوقاً لله تعالى إذ لو لم يكن نحتهم - وهو فعلهم - مخلوقاً لله تعالى لم يكن المنحوت - وهو مفعولهم - مخلوقاً لله تعالى<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد هذا المعنى حديث الرسول ﷺ في خلق الأعمال حيث قال : « إن الله يصنع كل صانع وصنعه »<sup>(٣)</sup> وفي رواية : « إن الله خالق كل صانع وصنعه »

(١) سورة الصافات الآية : ٩٦

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٧/٨ ، وبدائع الفوائد ١٥٢/١ وشرح الطحاوية ص / ٤٩٦

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص / ٤٠ رقم ١١٧ وابن أبي عاصم في السنة ١٥٨/١ برقم ٣٥٨/١ والحاكم ٨٥/١ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٧/٧ بعد أن ذكر تخريج البزار له : « رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين الكردي وهو ثقة » وهو كذلك عند ابن منده في التوحيد برقم (١١٥) . وانظر سلسلة الاحاديث الصحيحة للالباني رقم ١٦٣٧ .

وأما من جعل ( ما ) مصدرية فيحتج بأن عدم التقدير أولى ، وأن دلالتها على المطلوب أوضح فالمعنى : والله خلقكم وعملكم ، ولكن يضعف هذا الوجه بأن إبراهيم عليه السلام أنكر عليهم عبادة المنحوت فناسب أن يذكر ما يتعلق بالمنحوت لا النحت . (١)

إلا أن يقال : إنما أنكر عليهم عبادة من لا يخلق شيئاً أصلاً وترك عبادة من هو خالق ذواتهم وأعمالهم ، فإذا كان الله خالقهم وخالق أعمالهم فكيف يعبدون من لا يخلق ذواتهم وأعمالهم . والله أعلم . (٢)

وقد حكى الإمام ابن جرير الطبري الوجهين في إعراب ( ما ) (٣) .

ووجه كون أفعال العباد مخلوقة لله ، أن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة ، وخالق الإرادة والقدرة هو الله (٤) .

وقد قدر الله تعالى مقاديرهم وعلم ما هم عاملون وكتب ذلك عنده في كتاب على نحو ما تم تفصيله آنفاً ، (٥) ومع هذا فإنه يجب عليهم أن يعملوا وألا يتكلموا على الكتاب السابق الذي فيه تمييز أهل الجنة من أهل النار ، فإن كل شخص ميسر لما خلق له ، فمن كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فسييسر لعمل أهل الشقاء ، كما دلت نصوص كثيرة

---

(١) انظر منهاج السنة ٣/ ٣٣٦

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/ ١٤٨ - ١٤٩

(٣) جامع البيان ١٢/ ٢٣/ ٧٥

(٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص / ٤٢

(٥) انظر ص / ٢٣٦ - ٢٣٧

لذلك ، فمنها أن علياً رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « ما من نفس إلا قد كُتِبَ لها من الله تعالى شقاء وسعادة ، فقام رجل فقال يا رسول الله ففيم إذاً العمل ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ هذه الآية ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرَهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى ﴾ . » (١) (٢) اهـ .

ومنها : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ : أرأيت ما يُعمل فيه ، قد فرغ منه أو في أمر مبتدأ ؟ قال : « فيما قد فرغ منه » فقال عمر : أفلا نتكل ؟ فقال : « اعمل يا ابن الخطاب ، فكل ميسر ، أما من كان من أهل السعادة يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء يعمل للشقاء » (٣) وفي رواية : قال عمر : ففيم العمل ؟ فقال : « يا عمر ، كلا ، لا يُدْرَكُ إلا بعمل » قال : فالآن نجتهد يا رسول الله « (٤) ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

وإطلاق الألفاظ المشروعة هو سبيل أهل العلم فيقولون بالجبل والتمسير ولا يطلقون الألفاظ الموهمة كلفظتي : التسيير ، والجبر ، وهم يستندون في ذلك إلى النصوص التي تدل لذلك ، أما لفظ التيسير فقد تقدم في الحديث السابق والآية

(١) سورة الليل الآيات : ٥ - ١٠

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٤ / ٣٠٣٩ كتاب القدر باب (١) برقم / ٢٦٤٧

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١ / ٧١ برقم / ١٦٣ وصححه الألباني ، وأخرجه كذلك

الترمذي ٢ / ١٨٨ والإمام أحمد في مسنده ١ / ٢٩ و ٢ / ٥٢ ، ٧٧

(٤) هذه الرواية أخرجه ابن أبي عاصم أيضاً ١ / ٧٢ برقم ١٦٥ وصححها الشيخ الألباني ،

وأخرجها كذلك الآجري في الشريعة ص / ١٧٠

قبله ، وأما لفظ الجبل فقد ورد في قول الرسول ﷺ : « إذا أفاد أحدكم المرأة أو الجارية أو الدابة أو الغلام فليقل : أسالك من خيرها وخير ما جبلت عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه »<sup>(١)</sup> .

وإنما لم يطلقوا لفظ ( جَبَر ) لما قد يشعره هذا اللفظ من عدم القدرة التامة ولأنه قد يكون مع الإكراه ، فالله منزّه عن الإجبار بهذا الاعتبار ، فهو خالق الإرادة ، والمراد ، قادر على أن يجعل العبد مختاراً بخلاف غيره<sup>(٢)</sup> .

ومع إثبات أن الله قد خلق العباد وأفعالهم فإنه قد جعل لهم إرادة وقدرة على الفعل ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَتُوا حُرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> ، وقال : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ففي الآية الأولى إثبات لمشيئة العبد ، ومشئته هذه تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى : ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾<sup>(٥)</sup> ، والآية الثانية نص في إثبات استطاعة العبد وقدرته .

وهذه القدرة شرط في التكليف وتكون قبل الفعل ، وهي قدرة من جهة الصحة والوسع والتمكن ، وسلامة الآلات والأسباب ، ومما ورد فيها قوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾<sup>(٦)</sup> ، فهذه الاستطاعة

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص / ٦٥ رقم / ١٩٩ وابن ماجه ٢ / ٧٥٧ رقم ٢٢٥٢ والحاكم في المستدرک ٢ / ٢٠٢ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) انظر مجموع الفتاوي ٨ / ٤٦٣ وشرح الطحاوية ص / ٥٠١ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٣

(٤) سورة التغابن الآية : ١٦

(٥) سورة التکویر الآية : ٢٩ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ٩٧ .

ثابتة قبل فعل الحج ، وهي هنا الزاد والراحلة ، ولو كانت هذه الاستطاعة مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج ، وهذا ظاهر الفساد وخلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام . ومنه قول الرسول ﷺ لعمران بن حصين : « صل قائماً فإن لم تستطع فعلى جنب » (١) .

وتوجد استطاعة أخرى غير هذه ، وهي ليست شرطاً في التكليف ، وهي بمعنى إعانة الله العبد للعمل وتوفيقه لذلك وإقداره عليه ، وهذه هي حقيقة القدرة ويسمونها بعض أهل العلم بالاستطاعة الكونية القدريّة ، وفي هذا المعنى قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢) فليس المراد هنا نفي الأسباب والآلات لأنها كانت ثابتة لهم ، وإنما المراد نفي حقيقة القدرة التي هي الكونية القدريّة . وفي هذا المعنى قول صاحب موسى لموسى عليه السلام كما قال الله عنهما : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (٣) ، فإن قدرته على الصبر بمعنى التمكن منه كانت ثابتة له ، ولذلك عاتبه على سؤاله واستنكاره ، ومعلوم أن من كان عادماً لآلات الفعل وأسبابه لا يلام ، وإنما يلام من امتنع عن الفعل المتمكن منه باشتغاله بغير ما أمر به أو ضد ما أمر به ، وعلى ذلك فالمراد إذاً نفي حقيقة قدرة الصبر (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب تقصير الصلاة باب ١٩ / إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب رقم / ١١١٧ ( صحيح البخاري مع الفتح ٢ / ٦٨٤ ) .

(٢) سورة هود الآية : ٢٠

(٣) سورة الكهف الآية : ٦٧

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨ / ١٢٩ ، ٣٧٢-٣٧٣ ، ٣٩٠ وشرح الطحاوية ص / ٤٩٠ .

وبناء على ما تقدم ، فإن القدرة التي تكون شرطاً في التكليف تكون صالحة للضدين وتكون مصححة للفعل ، فإما أن يصرفها العبد في الشر وإما في الخير ، أما القدرة الثانية التي هي الكونية فلا تكون صالحة للضدين وإنما هي إما للشر فقط وإما للخير فقط ، وتكون موجبة للفعل .

وكذلك يتبين مما تقدم أن أفعال العباد واقعة منهم حقيقة بقدرتهم ومشيتهم فهم الذين أحدثوها ، والله عز وجل هو الذي خلقها ، فإنه خالق الأسباب والمسببات ، فهو الذي خلق العبد وخلق له إرادة وقدرة ، وذلك هو سبب العمل . فإضافة الأعمال إلى العباد إضافة مُسَبَّبٍ إلى سببه ، وإضافتها إلى الخالق سبحانه إضافة مخلوق إلى خالقه ، فجهة الإضافة مختلفة ، ففعل العبد الذي أحدثه قائم به كائن بمشيئته وقدرته ، ولا يكون فاعلاً بمشيئته وقدرته حتى يجعله الله كذلك ، فيحدث قدرته ومشيتته .

وأما ما أحدثه الرب تعالى فإنه مبين له قائم بالمخلوق ، فأفعال العباد مفعولة للرب تعالى لا فعلٌ له ، إذ فعله ما قام به ، وهكذا القول في قدرة العبد وإرادته فهما إرادته وقدرته ، وهما مرادة ومقدورة للرب تعالى لا أنها نفس قدرة الرب وإرادته (١) .

وأهل السنة والجماعة كانوا يفرقون بين الفعل والمفعول ، كما قال الإمام البخاري رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿ خلق السموات والأرض ﴾ (٢) قال :

---

(١) انظر منهاج السنة ٣ / ٢٤٠ ، ٢٩٨ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٥ . ويوجد مثلها في القرآن في أكثر من موضع .

« فالسّموات والأرض مفعولهُ ، وكل شيء سوى الله بقضائه فهو مفعول ، فتخليق السّموات فعله لأنّه لا يمكن أن تقوم سماء بنفسها من غير فعل الفاعل ، وإنّما تنسب السّماء إليه لخال فعله ، ففعله من ربوبيته » (١) .

ثم نسب هذا القول إلى عامة أهل السنة ، حيث إنّهُ بعد أن حكى أقوال الفرق المبتدعة ؛ القدريّة والجبريّة والجهميّة ، في الفاعل والمفعول والفعل ، قال حاكياً للقول الحق : « وقال أهل العلم : التخليق : فعل الله ، وأفَاعِلُنَا مخلوقة لقوله تعالى : ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، ألا يعلم من خلق ..... ﴿ (٢) ، يعني السر والجهر من القول ، ففعل الله صفة الله ، والمفعول غيره من الخلق » (٣) .

---

(١) خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٨٨/

(٢) سورة الملك الآيتان : ١٣-١٤

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ص ١٨٨/



## المبحث الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في أدلة إثبات الربوبية .

المطلب الأول : مسلك القرآن في إثبات الربوبية : وفيه مسلكان :

المسلك الأول : مسلك الإلزام والرد على من انحرفت فطرهم .

المسلك الثاني : ذكر الآيات الدالة على الربوبية .

المطلب الثاني : أنواع الأدلة الدالة على إثبات الربوبية :

وفيه مسائل :

المسألة الأولى : دليل الفطرة .

المسألة الثانية : دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على وجود الله تعالى .

المسألة الثالثة : دليل الآيات .

المسألة الرابعة : المقاييس العقلية .

## المطلب الأول

### مسلك القرآن في إثبات الربوبية .

لم تكن مسألة إثبات وجود الله تعالى هدفاً أساسياً من الأهداف ، وذلك لأن الإقرار بوجود الله أمر فطري فطر الله عليه الخلق . والله سبحانه أبين وأظهر من أن يُجهل فيطلب الدليل على وجوده .

وقد وجد قليل من الناس سابقاً ممن ينكر وجود الله تعالى إما مكابرة وعناداً كفرعون ، أو لتغير الفطرة بسبب خارجي .

واليوم وإن كان قد كثر القائلون بعدم وجود الخالق إلا أنهم قليل جداً إلى جنب من يقر بوجوده ، وهم مع ذلك يحيلون خلقهم إلى الطبيعة ! .

وللسبب المذكور سابقاً نجد أن الاستدلال على وجود الله تعالى في القرآن لم يكن مقصوداً أصالة ، وإنما يمكن أن يستنتج ذلك استنتاجاً ، ويمكن الآن استنباط مسلكين : (١)

**المسلك الأول : مسلك الإلزام والرد على من انحرفت فطرهم :**

فمن الإلزام قوله تعالى : ﴿ أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٢) .

والذين انحرفت فطرهم هم الذين أنكروا الخالق تبارك وتعالى فقال الله عنهم

---

(١) انظر : كتاب « ابن حزم وموقفه من الإلهيات » ص : ١٣٨ - ١٥٠

(٢) سورة الطور الآية : ٣٥

﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ <sup>(١)</sup>  
فأنكروا البعث وأنكروا أن يكون لهم رب يفنيهم ، فرد الله عليهم بقوله : ﴿ وما  
لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ <sup>(٢)</sup> أي ليس لهم علم يقين يدل على  
صحة قولهم ، سواء كان هذا العلم خبراً ، أو كان حجة وبرهاناً عقلياً ، ثم بين  
الله أنهم في اعتقادهم الذي نطقوا به بالسنتهم شاكون ومرتابون ، وهذا أمر  
واضح لا تباعهم الظن . <sup>(٣)</sup>

ومن أوجه الرد على من انحرفت فطرهم : ما جاء عن فرعون الذي كان يقول  
لقومه : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ <sup>(٤)</sup> فتابعه قومه على ذلك كما قال  
تعالى : ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه ﴾ <sup>(٥)</sup> فسأل فرعون موسى فقال : ﴿ وما  
رب العالمين ﴾ <sup>(٦)</sup> أي من هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ قال ابن كثير  
- رحمه الله - « هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف » <sup>(٧)</sup>

وذلك رد على من قال : إن فرعون سأل عن ماهية الرب ، وهذا غلط لأنه  
كان منكرراً جاحداً ولم يكن مقرأً حتى يسأل عن الماهية ، ويبينه قوله تعالى : ﴿ قال  
: فمن ربكما يا موسى ﴾ <sup>(٨)</sup> وهنا أجاب موسى عليه السلام لما سألته عن رب

(١) سورة الجاثية الآية : ٢٤

(٢) انظر : جامع البيان للطبري ١٣ / ٢٥ / ١٥٣

(٣) سورة القصص الآية : ٣٨

(٤) سورة الزخرف الآية : ٥٤

(٥) سورة الشعراء - الآية ٢٣

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٣٣٢ . وانظر ما تقدم في ص / ١٥٥

(٧) سورة طه الآية : ٤٩

العالمين : ﴿ قال رب السموات والأرض وما بينهما ﴾ أي خالق جميع ذلك ومالكة والمتصرف فيه وهو الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلوي وما فيه من الكواكب ، والعالم السفلي وما فيه من عجائب المخلوقات كالجبال والبحار والأشجار ، وهذا الرد على فرعون واضح ، لأنه لا يمكن أن يدعي ملكه لكل هذه الأشياء ، وإنما كان له نوع ملك وهو محدود على مصر ، فعندما سمع هذه الحجة التفت إلى من حوله من الملائكة قائلاً ﴿ ألا تستمعون ﴾ على سبيل التهكم . ثم زاد موسى عليه السلام الحجج فقال : ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ . أي خالقكم وخالق آبائكم الأولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه ، فكيف تصح منه دعوى الربوبية إذا ؟ فما كان من فرعون إلا أن وصف موسى بالجنون فقال : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم مجنون ﴾ إمعاناً في تضليل قومه ، فأجاب موسى بقوله : ﴿ رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلع منه الشمس والكواكب ، والمغرب تغرب فيه الشمس والكواكب بنظام دقيق لا يتغير على حسب تقديره ، وتقرير الحجة : إن كان فرعون صادقاً في دعواه الربوبية فليعكس الأمر ، فقلِّبْ وانقطع فعدل إلى استعمال قوته وسلطانه إلى آخر القصة . (١)

### المسلك الثاني : ذكر الآيات الدالة على الربوبية :

وهي العلامات المخلوقة المحكمة الإتيان .

فدلالتها من جهة أنها مخلوقة محدثة ، ومن جهة إحكامها وإتيانها ، قال

(١) الحوار الذي جرى بين موسى عليه السلام وفرعون انظره في سورة الشعراء الآيات : ٢٣

٣٣- وانظر تفسيرها عند ابن كثير ٣/ ٣٣٢ - ٣٣٣ ، وقد نقلت منه بتصريف .

الله تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ <sup>(١)</sup>  
فلينظر الإنسان إلى آثار قدرة الله فيه والتدبير منذ أن كان نقطة في رحم أمه ، ثم  
تنقله من طور إلى آخر إلى خروج إلى الدنيا وله من الأعضاء والحواس مما يُظهرُ  
آثار الإحكام الإلهي .

وهكذا إذا نظر الإنسان في أمر هذا العالم وما فيه من السير الدقيق المنظم  
البديع ، فإنه يحصل له العلم بأن له خالقاً خلقه بعلم وحكمة .  
والآيات في هذا المقام كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً  
فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره  
وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل  
والنهار ﴾ <sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ ابن رجب <sup>(٣)</sup> : « وأخبر سبحانه وتعالى أنه إنما خلق السموات  
والأرض ونزل الأمر لتعلم بذلك قدرته وعلمه ، فيكون دليلاً على معرفته ومعرفة  
صفاته ، كما قال تعالى : ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن  
يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط  
بكل شيء علماً ﴾ . <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> اهـ

(١) سورة الذاريات الآيتان : ٢٠ - ٢١

(٢) سورة إبراهيم الآيتان : ٣٢ - ٣٣

(٣) تقدمت ترجمته ص : ١١٩

(٤) سورة الطلاق الآية : ١٢

(٥) شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم ص : ٤٠

## المطلب الثاني

### أنواع الأدلة على إثبات الربوبية

والإقرار بوجود الله تعالى وإن كان فطرياً ضرورياً إلا أنه يمكن إقامة الأدلة عليه . وهي كثيرة ومتنوعة ، ولا يلزم أن تكون واحدة وعقلية فحسب - وهذا ما ستمم الإشارة إليه إن شاء الله .

#### المسألة الأولى : دليل الفطرة .

الفطرة في اللغة : فعلها ثلاثي وهو فطر ، والحالة منه : الفطرة كالجلسة ، وهي بمعنى الخلقة .

قال ابن فارس <sup>(١)</sup> عن أصل هذه الكلمة « ... أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه ، ومنه الفطرة : وهي الخلقة » <sup>(٢)</sup> اهـ وأتى بالفتح قبل الإبراز لأنه سبب من أسبابه .

وفي اللسان : والفطرة تعني : الابتداء والاختراع <sup>(٣)</sup>

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، من أئمة اللغة - كان شافعيّاً ثم صار مالكيّاً ، وقد

ذكر عنه أنه على مذهب أهل الحديث - توفي سنة (٣٩٥ هـ) انظر : معجم الأدباء

٨٠/٤ . والديباج المذهب لابن فرحون المالكي ١٦٣/١ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥١٠/٤ - مادة (فطر)

(٣) لسان العرب ٥٨/٥ ، مادة (فطر) ، والأصل أنه لابن الأثير في النهاية في غريب

الحديث ٣ / ٤٥٧

والأمر ظاهر في أنه لا خلاف بين هذه المعاني الثلاثة ، الخلقة ، والابتداء ، والاختراع .

وقال الشيخ السعدي <sup>(١)</sup> رحمه الله في تعريفها : « هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها وجعلهم مفطورين عليها وعلى محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه ، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه » <sup>(٢)</sup>

ودليل الفطرة راسخ في نفوس البشر إلا ما غُيّر منها ، والدليل إذا كان راسخاً في النفس يكونه قوياً لا يحتاج الشخص معه إلى استدلال ، ولهذا فهو أصل لكل الأدلة الأخرى الدالة على الإقرار بوجود الرب سبحانه ، فهي مؤيدة له ومثبتة للإقرار . ولتقرير أصل هذا الدليل إليك بعض الأدلة الدالة على ذلك :

( ١ ) لجوء الإنسان وفزعه إلى خالقه سبحانه ، سواء كان هذا الإنسان موحداً أو مشركاً عند الشدة والحاجة .

فإن بني آدم جميعاً يشعرون بحاجتهم وفقرهم ، وهذا الشعور أمر ضروري فطري ، إذ الفقر وصف ذاتي لهم ، فإذا ألت بالإنسان - حتى المشرك - مصيبة قد تؤدي به إلى الهلاك فزع إلى خالقه سبحانه والتجأ إليه وحده واستغنى به ولم يستغن عنه ، وشعور هذا الإنسان بحاجته وفقره إلى ربه تابع لشعوره بوجوده

---

( ١ ) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي التميمي ولد بعنيزة سنة ( ١٣٠٧ هـ ) له

مؤلفات نافعة في التفسير والفقه والعقيدة توفي سنة ( ١٣٧٦ هـ ) انظر ترجمته في مقدمة

كتابه الرياض الناضرة لأحد تلاميذه .

( ٢ ) بهجة قلوب الأبرار ص : ٦٤

وإقراره ، فإنه لا يتصور أن يشعر الإنسان بحاجته وفقره إلى خالقه إلا إذا شعر بوجوده ، وإذا كان شعوره بحاجته وفقره إلى ربه أمراً ضرورياً لا يمكنه دفعه ، فشعوره بالإقرار به أولى أن يكون ضرورياً . (١)

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضَّرَّ دَعَانَا لَجْنَهُ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمِهِ ، كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ . ﴾ (٤)

فرجوع الإنسان وإنابته إلى ربه عند الشدائد دليل على أنه يقر بفطرته بخالقه وربه سبحانه ، وهكذا كل إنسان إذا رجع إلى نفسه أدنى رجوع عرف افتقاره إلى الباري سبحانه في تكوينه في رحم أمه وحفظه له ، وعرف كذلك افتقاره إليه في بقائه وتقلبه في أحواله كلها ، وتبقى هذه المعرفة في نفسه قوية لأن الحاجة

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٥٣٢ - ٥٣٣

(٢) سورة يونس الآية : ١٢

(٣) سورة الإسراء الآية : ٦٧

(٤) سورة الزمر الآية : ٨



استلزماتها ، فتكون أوضح من الأدلة الكلية مثل افتقار كل حادث إلى مُحدث<sup>(١)</sup>

## ٢) ورود التكليف بتوحيد العبادة أولاً :

لقد تقدم ذكر الأدلة الدالة على أن أول ما يكلف به المكلف : عبادة الله جل وعلا<sup>(٢)</sup> ومما يؤكد تلك الحقيقة هو أن الله تعالى نص على محل النزاع بين الرسل وأقوامهم بقوله : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوِ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا ﴾<sup>(٣)</sup> . أي أنهم يولون مدبرين عند طلب عبادة الله وحده دون غيره ، ويوضحه كذلك قوله : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾<sup>(٤)</sup>

ولذلك بعث الله رسله بالتوحيد وترك الشرك فقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾<sup>(٥)</sup>

وعلى هذا يكون تقرير هذه الحجة بأمرين :

الأول : لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لدعاهم إليه أولاً - إذ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١ / ٤٨ - ٤٩ . ودرء تعارض العقل والنقل ٣ / ١٢٦ . ودلائل

التوحيد للقاسمي ص : ١٩١ - ١٩٢

(٢) انظر : ص : ٨٦ - ٩٠ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٤٦

(٤) سورة غافر الآية : ١٢

(٥) سورة الانبياء الآية ٢٥

الأمر بتوحيده في عبادته فرع الإقرار به وبربوبيته فيكون بعده (١)

الثاني : لو لم يكن الإقرار بالله تعالى وبربوبيته فطرياً لساغ لمعارض الرسل عند دعوتهم لهم بقول الله تعالى : ﴿ فاعبدون ﴾ أن يقولوا : نحن لم نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا ، فلما لم يحدث ذلك دل على أن المعرفة كانت مستقرة في فطرهم (٢).

ويؤيده الدليل الثالث الذي سيأتي ذكره إن شاء الله . ولم يُعرف من ينكر وجوده من أقوام الرسل إلا ما كان من فرعون ، ومع هذا فإنكاره كان تظاهراً ولم يكن باطناً كما قال تعالى : ﴿ لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾ (٣) وقال : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ (٤).

(٣) إلزام المشركين بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية (٥) :

لقد تقدم ذكر هذا الكلام مفصلاً بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع (٦).

ووجه الدلالة : إن المشركين لو لم يكونوا مقرين بربوبية الله تعالى لما قرروهم

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣ / ١٣٠ - ٨ / ٤٩١

(٢) المصدر نفسه ٨ / ٤٤٠

(٣) سورة الإسراء الآية : ١٠٢

(٤) سورة النمل الآية : ١٤

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٧٩

(٦) انظر : ص : ١٠٧ - ١١٣

به، ولهذا كانت تقول الرسل لقومها : ﴿ أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ <sup>(١)</sup>

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين ، وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار » <sup>(٢)</sup> اهـ

٤ ( التصريح بأن الفطرة مقتضية للإقرار بالرب وتوحيده وحبه في الأدلة السمعية :

قال رسول الله ﷺ « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه » <sup>(٣)</sup> والصواب أن الفطرة هنا هي فطرة الإسلام ، وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ، وليس المراد أن الإنسان حين يخرج من بطن أمه يعلم هذا الدين موحداً لله فإن الله تعالى يقول : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً ﴾ <sup>(٤)</sup> وإنما المراد أن فطرته مقتضية وموجبة لدين الإسلام ولمعرفة الخالق والإقرار به ومحبته . ومقتضيات هذه الفطرة وموجباتها تحصل شيئاً بعد شيء وذلك بحسب كمال الفطرة وسلامتها من الموانع . <sup>(٥)</sup>

(١) سورة إبراهيم الآية : ١٠

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٤١

(٣) متفق عليه - أخرجه البخاري في كتاب الجنائز - باب ٧٩ - برقم ١٣٥٩ - ( صحيح

البخاري مع فتح الباري ٣ / ٢٦٠ ) - وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر - باب -

٦ - برقم ٢٦٥٨ ( صحيح مسلم ٤ / ٢٠٤٧ ) ،

(٤) سورة النحل الآية : ٧٨

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٨٣ .

والأدلة القاضية بصحة هذا التفسير كثيرة منها :

أولاً : ورود روايات لهذا الحديث تفسر الفطرة منها قوله ﷺ : « على هذه الملة »<sup>(١)</sup>

ثانياً : إن الصحابة فهموا من الحديث أن المراد بالفطرة : الإسلام ، ولذلك سألوا الرسول ﷺ عقب ذلك عن أطفال المشركين لوجود ما يغير تلك الفطرة السليمة وإلا لما سألوا عنهم<sup>(٢)</sup> وأيضاً فإن أبا هريرة - رضي الله عنه - تلا قوله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾<sup>(٣)</sup> عقب هذا الحديث .<sup>(٤)</sup> مما يدل أنه فهم أن المراد من الفطرة : الإسلام .

ثالثاً : إن هذا الحديث يؤيده ظاهر القرآن ، وهو قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾<sup>(٥)</sup> فقد عم الله كل الناس بهذه الفطرة في قوله ﴿ الناس ﴾ وأضافها إليه إضافة مدح لا إضافة ذم لأنها منصوبة على المصدرية التي دل عليها الفعل ﴿ أقم ﴾ فيكون المعنى : إن إقامة الوجه للدين حنيفاً هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها .<sup>(٥)</sup> وتفسير الآية بهذا المعنى منقول عن عامة السلف<sup>(٦)</sup>

---

(١) انظر : صحيح مسلم ٤ / ٢٠٤٨

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٧١

(٣) سورة الروم الآية : ٣٠

(٤) هو الحديث السابق ص / ٢٨٥

(٥) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٧٢

(٦) انظر : جامع البيان للطبري ١١ / ٢١ / ٤٠

رابعاً : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه « خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين .... » <sup>(١)</sup> والحنيفية: الإسلام .

خامساً : لم يذكر النبي ﷺ لموجب الفطرة ومقتضاها شرطاً ، بل ذكر ما يمنع موجبها حيث قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه » ومع ذلك لم يذكر عند تغييرها بمؤثر خارجي : « أو يسلمانه » ، مما يدل على أن المراد بالفطرة معرفة الله والإقرار به ، بمعنى أن ذلك هو مقتضى فطرتهم ، وأن حصولها لا يتوقف على وجود شرط وإنما على انتفاء الموانع <sup>(٢)</sup>

#### ٥) برهان عقلي : <sup>(٣)</sup>

وهو أنه إذا فرض جدلاً أن معرفة الله تعالى نظرية وطلب إقامة الأدلة على الإقرار به وبربوبيته ، فإنه لا بد من وجود علوم ضرورية فطرية أولية تنتهي إليها العلوم النظرية ، ولا يمكن إثباتها بعلوم نظرية كذلك لما يلزم من الدور القبلي والتسلسل في المؤثرات . وهذه العلوم الضرورية شرط وجودها صحة الفطرة وسلامتها ، فبالفطرة السليمة مع حسن النظر يحصل المطلوب من العلم . <sup>(٤)</sup>

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - ٤ / ٢١٩٧ - كتاب الجنة وصفة نعيمها - باب - ١٦ - برقم

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٥٤

(٣) قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ثمانية أدلة عقلية في درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٤٥٦ -

٤٦٨ واكتفيت بواحد فقط .

(٤) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٣ / ٣٠٩

ويوضح هذا أن الذي يستدل لإثبات الرب سبحانه لا بد أن ينقدح في نفسه أن الدليل الذي يستدل به هو بعينه يؤدي إلى مطلوبه الذي شعر به أولاً ، فههنا أمران : الشعور بمطلوبه ، والدليل المؤدي إليه <sup>(١)</sup> ، وبهذا يتضح أنه لولا ما في القلوب من الاستعداد لمعرفة الحقائق لما قام نظر ولا استدلال <sup>(٢)</sup> ، والحقيقة المطلوبة هنا : معرفة وجود الله . ويوضحه كذلك : أن مجرد التعليم والتحضيض لا يحصل به العلم والإرادة لولا وجود قوة في النفس قابلة لذلك التعليم وتلك الإرادة ، فإن البهائم والجمادات لو علّمت وحُضِّضَت بوسائل تعليمية كالتالي لبني آدم لما حصل لها ما يحصل لبني آدم مع أن الوسائل متفقة ، مما يدل على أن القوايل مختلفة ، والقابل هو مقتضى الفطرة .

#### اعتراضات على دليل الفطرة : -

الاعتراض الأول <sup>(٣)</sup> : لو كانت المعرفة فطرية فكيف أثر عن بعض الخلق إنكار وجود الله تعالى ؟

والجواب :

أولاً : إن الإقرار بالخالق يكون فطرياً في حق من سلمت فطرته ، كما هو نص الحديث السابق <sup>(٤)</sup> .

ثانياً : إن من أثر عنه إنكار الخالق في البشر قليلون جداً مقارنة مع من يثبت

(١) انظر : مجموع الفتاوي ٤٨ / ١

(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٥ / ٦٢

(٣) انظر : الاعتراض والجواب عنه في مجموع الفتاوي ١٦ / ٣٤٠

(٤) انظر : ص / ٢٨٥

وجوده ، وهم على قسمين :

قسم ينكره ظاهراً فقط كما تقدم في شأن فرعون .

قسم آخر هو في الحقيقة معترف في قرارة نفسه بوجود مدبر وصانع ، ويحيل ذلك إلى الطبيعة أو غيرها ! . مما يدل على وجود علوم أولية فطرية ، وإنما حصل ما حصل بسبب المؤثر الخارجي .

الاعتراض الثاني : (١)

لو كانت معرفته فطرية ضرورية فكيف ينكر ذلك كثير من النظار ويدعون أنهم يقيمون الأدلة على وجوده ؟

والجواب :

أولاً : إن من أنكر هذه المعرفة الفطرية الضرورية هم أهل الكلام المذموم الذين ذمهم السلف ، ولم يُؤثر هذا الإنكار عن علماء المسلمين ، بل إنهم نصوا على خلاف هذا كما صح عن الإمام الزهري (٢) ، فهؤلاء المتكلمون تأثروا بمؤثر خارجي .

ثانياً : إن الإنسان قد يقوم بنفسه من العلوم والإرادات وغيرها من الصفات ما

---

(١) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦ / ٣٤٠ .

(٢) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ٣ / ٢٦٠ برقم : ١٣٥٨ ونصه هكذا : « يُصَلَّى على

كل مولود وإن كان لغيره » ، من أجل أنه ولد على فطرة الإسلام « . . . الخ - ثم استشهد

بحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتقدم في ص / ٢٨٥ ، ٢٨٦

لا يَعْلَمُ أنه قائم بنفسه . فههنا أمور وهي : عِلْمُ الإنسان بعلم ما ، وَعِلْمُهُ بأنه يعلم هذا العلم ، وطلبُه الدليل على هذا العلم ، وكل إنسان يشعر من نفسه الفرق بين هذه الأمور ، فالعلم بشيء قد يكون قائماً بإنسان وإن كان غائباً عنه علمه بأنه يعلم ذلك الشيء ، ولكن إذا ذكر له تذكر ، وأحس من نفسه بالمعرفة . وقد تقدم أنه لولا وجود علوم ضرورية فطرية لما صح نظر ولا استدلال ولا تم وقام .

### الاعتراض الثالث : (١)

قالوا : إن المعرفة لا تحصل مبتدأة في النفس ، بل لابد لها من طريق .

الجواب :

أولاً : إن هذا من موارد النزاع وهو هل المعرفة نظرية أو فطرية ، وعليه فلا يصلح إيرادها قضية مسلماً بها ، وقد دللنا سابقاً على صحة القول بأنها فطرية .

ثانياً : أن يقابل هذا القول بالمعارضة فيقال : إنها قد تحصل في النفس مبتدأة ولا يمكنهم حينئذ أن يقيموا دليلاً على نفي ذلك ، وإن أقاموه فباستقراء يكون إما فاسداً وإما ناقصاً .

ثالثاً : إن أهل الكلام أثبتوا علوماً ضرورية ، منها علم الإنسان بوجود نفسه ، فإذا كان هذا ضرورياً ، فالعلم بربوبية الخالق أولى أن يكون ضرورياً في حق من سلمت فطرته ، وإن زعم المتكلم أن ذلك يحتاج إلى طريق .

---

(١) انظر : هذا الاعتراض والجواب عنه في درء تعارض العقل والنقل ٨ / ٣٧



## المسألة الثانية

### دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على وجود الله تعالى

هذه الطريقة قد تبدو غريبة خاصة على علماء الكلام ، ولكن سيتم بيان وجه دلالتها على وجود الله تعالى بما يزيل غرابتها إن شاء الله . وقد سلك بعض العلماء هذه الطريقة كالقاضي أبي يعلى في كتابه : « عيون المسائل » <sup>(١)</sup> وأبي بكر البيهقي في كتابه « الاعتقاد » <sup>(٢)</sup> والخطابي <sup>(٣)</sup> في رسالة : « الغنية عن الكلام » <sup>(٤)</sup> وأشار شيخ الإسلام إلى صحتها وشرعيتها إذا حررت <sup>(٥)</sup> . وقال ابن القيم : « وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله . وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها ، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ، ودلالتها ضرورية بنفسها ، ولهذا يسميها الله آيات بينات » <sup>(٦)</sup>

---

(١) ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١١ / ٢٧٧

(٢) انظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص ٤٥ - ٤٦ ، وذكر هذه الطريقة عن بعض مشايخه ولم يسمهم .

(٣) هو حمد بن محمد البستي الخطابي - أبو سليمان - شافعي المذهب ، له تصانيف منها كتاب الغنية المذكور أعلاه - توفي ( سنة ٣٨٨ هـ ) - طبقات السبكي ٣ / ٢٨٢ - وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٠١٨ - وسير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٣ .

(٤) نقل عنه ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل ٧ / ٢٩٧ - ٣٠٣ وذكر السيوطي هذه الرسالة مختصرة في كتابه صون المنطق من ص ٩١ إلى ص ١٠١

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١ / ٣٧٩ .

(٦) الصواعق المرسلة لابن القيم ٣ / ١١٩٧ .

وبيان هذه الطريق من وجهين :

الوجه الأول : الآيات والبراهين - وهي المعجزات .

الوجه الثاني : العلوم والأحكام المتضمنة لمصالح الخلق التي جاءوا بها .

الوجه الأول : الآيات والبراهين - وهي المعجزات :

بين الله تعالى في كتابه العزيز أنه أرسل رسله بالوحي وأيدهم بالآيات تصديقاً لهم فقال : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ (١) وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نُوحِي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴾ (٢) وقال الرسول ﷺ « ما من الأنبياء من نبي إلا أعطني من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » (٣) وسماها الله تعالى برهاناً كذلك ، فقال عن آيتي العصا واليد اللتين أرسل بهما موسى عليه السلام : ﴿ فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الحديد الآية : ٢٥

(٢) سورة النحل الآيتان : ٤٣-٤٤

(٣) الحديث متفق عليه : أخرجه البخاري في فضائل القرآن ( ٨ / ٦١٨ مع الفتح ) باب « كيف

نزل الوحي » حديث رقم : ( ٤٩٨١ ) وكذلك أخرجه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

( ١٣ / ٢٦١ مع الفتح ) باب قول النبي ﷺ « بعثت بجوامع الكلم » حديث رقم

٧٢٧٤ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ

١٣٤ / ١ - برقم ١٥٢

(٤) سورة القصص الآية : ٣٢

فسمّاها الله تعالى آية وبرهاناً وبينة ، وذلك لقوة دلالتها على المطلوب ، وأنه بمجرد حدوثها يحصل العلم الضروري ، فهي من جنس الآيات في دلالتها على المراد ، بل هي أقوى لغرابتها وعظمتها .

ومن المعلوم أن الرسول إذا جاء قومه وادعى أنه رسول الله يُوحَى إليه بأنه لا إله إلا الله ، أيده الله وصدقه بآية ، فههنا أمور :

الأول : دعواه أنه رسول .

الثاني : أن الله هو الذي أرسله سواء كان المخاطب يقر بوجوده أو لا يقر .

الثالث : أنه مرسل لدعوة الناس إلى أفراد الله بالألوهية .

فإذا جاء الرسول بآية وهي العلامة التي تدل على صدقه ثبتت الرسالة وكذلك الربوبية ضمناً ، وذلك لأنها حدث من جنس لا يقدر على مثله البشر وحصلت عند دعوى الرسول الرسالة ، كيف وإذا انضم إلى ذلك ما عرف من أحوال الأنبياء وصدقهم وما حصل لهم ولأتباعهم من التأييد والنصر ، ولأعدائهم من الهلاك والخسران - وسيأتي مزيد إيضاح لذلك إن شاء الله تعالى .

ولذلك فليس بلازم أن تتقدم معرفة العبد بوجود الله تعالى على حصول الآية والمعجزة ومن ثم تقرر النبوة ، لأنها كما تقدم من جنس الآيات المخلوقة المحدثّة التي لا بد لها من مُحدث أحدثها . (١)

ويمكن الاستدلال لها بما حدث بين موسى عليه السلام وفرعون ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن فقال آمراً موسى وهارون عليهما السلام : ﴿ فَاتَيَا

---

(١) انظر : درء تعارض العقل والنقل ٩ / ٤١

فرعون فقولاً إنا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بني إسرائيل . قال ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين . قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين . ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين . وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل . قال فرعون ومارب العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين . قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين . قال أولو جئتك بشيء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين . ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين .<sup>(١)</sup>

ومعلوم أن فرعون قد ادعى أنه ربهم الأعلى ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى ﴾<sup>(٢)</sup>

فهو وإن كان يتظاهر بذلك إلا أنه في باطنه يقر بربوبية الله على خلقه . كما قال الله عنه ومن حوله من الملائكة ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾<sup>(٣)</sup> . والآيات ساقها الله تعالى للرد عليه في هذه الدعوى التي تظاهر بها ، ولذلك لما حاجه موسى عليه السلام بالآيات الظاهرة قال له : ﴿ لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ فاصر على موقفه وعناده - فدعاه موسى عليه السلام لبرهانين عظيمين وهما قلب العصا ثعباناً وإخراج اليد بيضاء

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٦ - إلى - ٣٣

(٢) سورة النازعات الآية : ٢٤

(٣) سورة النمل الآية : ١٤

بعد ضمها فلو كان ذلك لا يدل على مطلوب موسى عليه السلام وإبطال دعوى  
فرعون لما دعاه إليه موسى عليه السلام ، بل إنه سماه مبيناً فقال : ﴿أولو جنتك  
بشيء مبين﴾ .

فتقرر من هذا النص أنه يمكن إثبات ربوبية الله ووجوده بالآيات المعجزات  
وإن لم يكن المخاطب مقراً بذلك ومن ثم يقوم لله بالعبادة <sup>(١)</sup> .

وأما إن كان المخاطب مقراً بوجود الله بفطرته التي لم تتغير فإنه بالآية  
والمعجزة تتقرر عنده النبوة والوحدانية في الإلهية كما قال الله تعالى : ﴿أم  
يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من  
دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله  
وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾ <sup>(٢)</sup> ، فهذا نص واضح على أنه بالآية -  
وهي هنا معجزة القرآن - تثبت وتتقرر الرسالة والوحدانية ضرورة <sup>(٣)</sup> ومعلوم أن  
توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، فإذا ثبت الأول ثبت الثاني تضمناً ،  
ضرورة ثبوت المتضمن بثبوت المتضمن . فثبت أنه يمكن إثبات الربوبية بآيات  
الأنبياء .

الوجه الثاني : العلوم والأحكام المتضمنة لمصالح الخلق التي جاءوا بها :

أولاً : العلوم :

فالرسل جميعاً اتفقوا على الإخبار بأشياء معينة - يقطع المرء بأنهم لم يتواطؤوا

---

(١) انظر ص / ٢٩٣

(٢) سورة هود الآيتان : ١٣ - ١٤

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١ / ٣٧٩

عليها ومن ذلك : دعوتهم جميعاً إلى عبادة إله واحد ، وكذلك بشارة موسى وعيسى برسالة رسولنا محمد عليهم الصلاة والسلام من غير تواطؤ منهم على بعد في الأزمنة والأمكنة ، فكان ذلك على الوجه الذي بشر به .

والرسول ﷺ قد أخبر بأخبار الأمم الماضية مع القطع بأنه كان يعيش في أمة أمية ، وكذلك قد أخبر بأمور تحصل في المستقبل ، وقد حصلت ، منها ما هو في القرآن ، ومنها ما هو في السنة ، فمما ورد في القرآن قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> فكان كما أخبر ، ومما ورد في السنة : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده » <sup>(٢)</sup> وقوله : « خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء » <sup>(٣)</sup> وكانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر ، وخلافة عمر رضي الله عنه : عشرين ونصفاً ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلافة الحسن رضي الله عنه ستة أشهر ، ثم نشأ الملك وكان معاوية رضي الله عنه أول ملوك المسلمين وهو أفضلهم <sup>(٤)</sup> ، فكان الأمر كما أخبر الرسول ﷺ .

---

(١) سورة الروم الآيات ١ - ٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب - باب - علامات النبوة - برقم ٣٦١٨ .  
(صحيح البخاري مع فتح الباري ٦/ ٧٢٣) .

(٣) أخرجه أبو داود في السنة - باب - ٩ - في الخلفاء ٤ / ٣٦ برقم : ٤٦٤٧ ، ٤٦٤٦ .  
والترمذي في الفتن باب ( ٤٨ ) ما جاء في الخلافة ٤ / ٥٠٣ - برقم ٢٢٢٦ - وقال « حديث

حسن » - وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٢ / ٥٩١ برقم ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٤٥

والأخبار في هذا كثيرة جداً يحصل بمجموعها القطع والعلم الضروري ،  
فيدل ذلك على صدقه في الرسالة وعلى وجود الخالق سبحانه ، لأنه هو الذي  
أطلعنا على ذلك إذ أنه لا يُعقل أبداً أن يتحدث الإنسان ويخبر بأشياء ويصدق  
فيها دائماً دون تردد ، ودون أن يُجرب عليه كذب ، إلا إذا كان موحى إليه ،  
وأن الذي أوحى إليه هو الذي بيده الأمور وتتطابق أخباره مع قدره ، وهذا ظاهر.

### ثانياً : الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق :

فقد تضمنت شريعة النبي ﷺ أموراً عظيمة ، يقطع الإنسان أنها لا يمكن  
أن تكون إلا من خالق عليم حكيم ، فالشريعة جاءت لتحصيل المصالح وتكميلها  
ودفع المفساد وتقليلها ، وهذا واضح جداً في الضروريات الخمس : الدين ،  
والعقل والنفس ، والمال ، والعرض . ويراجع في هذا الكتب التي بُحث فيها عن  
حكمة التشريع ومقاصد الشريعة الإسلامية <sup>(١)</sup> .

---

(١) وانظر على سبيل المثال كتاب الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، خاصة الجزء الثاني  
الذي خصصه في مقاصد الشارع ومقاصد المكلف .

## المسألة الثالثة

### دليل الآيات

الآية هي العلامة ، والفرق بينها وبين القياس العقلي <sup>(١)</sup> : أن الآية تدل على عين المطلوب ولا تدل على أمر كُلي مشترك بين المطلوب وغيره ، ككون الشمس آية للنهار . أما القياس فيدل على أمر كلي ولا يدل على المطلوب بعينه . <sup>(٢)</sup>

والمراد بالآيات هنا : الآيات النفسية والآيات الكونية .

والاستدلال بالآيات يمكن الاستدلال له بما حدث بين موسى وهارون عليهما السلام وبين فرعون الذي أنكر أن يوجد رب غيره ، ولما بينا له أنهما رسولا رب العالمين ، رد فرعون بقوله : ﴿ وما رب العالمين ﴾ فاجاب موسى بآيات الله : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ إلى بقية الآيات ، ومنها : ﴿ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ <sup>(٣)</sup> فعلق شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ أطلق اليقين ولم يقيده بشيء ، فأى يقين كان لكم بشيء من الأشياء ، فأول اليقين : اليقين بهذا الرب كما قالت الرسل لقومهم ﴿ أفي الله شك ﴾ <sup>(٤)</sup> ولما وصفوا موسى بالجنون بين

---

(١) والمقصود به : القياس المنطقي وهو : « قول مؤلف من قضايا إذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر » اهـ من التعريفات للجرجاني ص / ١٨١ ، وانظر : آداب البحث والمناظرة ١ / ٦٢ ، والمرشد السليم ص / ١٤٢ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١ / ٤٨ - ٩ / ١٤٢

(٣) هذه الآيات من سورة الشعراء - وقد تقدم تفسيرها ص / ٢٩٤

(٤) سورة إبراهيم الآية : ١٠



لهم أنهم أحق بهذا الوصف فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وكما قيل في حد العقل : إنه علوم ضرورية ، وهي التي لا يخلو منها عاقل ، فإن العقل مستلزم لعلوم ضرورية يقينية ، وأعظمها في الفطرة : الإقرار بالخالق ، فلما ذكر أولاً أن من أيقن بالشيء فهو موقن به ، واليقين بالشيء هو من لوازم العقل ، بين ثانياً أن الإقرار به من لوازم العقل <sup>(١)</sup> . اهـ

وهذا يدل على أنه لا بد من وجود علوم ضرورية فطرية ، ثم يحصل بوجود الآية المطلوب ، وهذا القدر موجود عند كافة العقلاء إلا من كابر وعاند .

والآيات في القرآن وإن كانت قد سيقّت لإثبات تفرد الله بالإلهية وإثبات البعث ، إلا أنه يمكن الاستفادة منها لإثبات وجود الله تعالى ، لأنه لا بد لكل حادث من مُحدث كما سيأتي في المقاييس العقلية <sup>(٢)</sup> إن شاء الله

وقد نبه بعض الأئمة على ذلك - من ذلك ما قاله الإمام ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... الْآيَةِ ﴾ <sup>(٣)</sup> فقال : « والصواب من القول في ذلك : أن الله تعالى ذكّره بعباده على الدلالة على وحدانيته وتفرده بالألوهية دون كل ماسواه من الأشياء بهذه الأشياء ... (إلى أن قال) : فإن الله إنما حاجَّ بذلك قوماً كانوا مقرين بأن الله خالقهم ، غير أنهم يشركون في عبادته عبادة الأصنام والأوثان فحاجَّهم تعالى ذكره ... (إلى أن

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦ / ٣٣٥ - ٣٣٦

(٢) انظر : ص : ٣٠٣

(٣) سورة البقرة الآية : ١٦٤

قال ( والذين ذكروا بهذه الآية واحتج عليهم بها : هم القوم الذين وصفت صفتهم دون المعطلة والدهرية ، وإن كان في أصغر ما عد الله في هذه الآية من الحجج البالغة المقنع لجميع الأنام ..... )<sup>(١)</sup>

وقال الإمام أبو الشيخ بن حيان الأصبهاني<sup>(٢)</sup> : « ذكر نوع من التفكير في عظمة الله عز وجل ووحدانيته وحكمه وتدبيره وسلطانه ، قال الله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾<sup>(٣)</sup> ، فإذا تفكر العبد في ذلك استنارت له آيات الربوبية ، وسطعت له أنوار اليقين ، واضمحلت عنه غمرات الشك وظلمة الريب »<sup>(٤)</sup> اهـ ثم ذكر كلاماً طويلاً يبين فيه عجائب خلق الله تعالى<sup>(٥)</sup> ثم أتبع ذلك بآبواب ضمنها آيات وآثاراً دالة على مراده استغرقت الجزء الأول كله .

والشاهد قوله : « استنارت له آيات الربوبية » فجعل تلك الآيات آيات دالة على ربوبية الله لخلقه وتبين عظمته ، فتم التقرير بها أولاً ، ثم الإلزام بإفراده بالعبادة وتعظيمه والخضوع له ومحبته ثانياً .

---

(١) جامع البيان للطبري ٢ / ٢ / ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان - أحد الأئمة الحفاظ - له مصنفات

منها : كتاب السنة وكتاب العظمة ولد سنة (٢٧٤هـ) وتوفي سنة (٣٣٩هـ) انظر : ذكر

أخبار أصبهان ٢ / ٩٠ - وتذكرة الحفاظ ٣ / ٩٤٥

(٣) سورة الذاريات الآية : ٢١

(٤) كتاب العظمة ١ / ٢٧١

(٥) كتاب العظمة ١ / ٢٧١ - ٢٨٦

وقريب منه صنيع الإمام ابن منده <sup>(١)</sup> فإنه قال : « ذكّر ما يستدل به أولو الألباب من الآيات الواضحة التي جعلها الله عز وجل دليلاً لعباده من خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعته وبدائع حكمته في خلق السموات والأرض وما أحكم فيها وخلق الإنسان ... الخ » <sup>(٢)</sup> ثم ساق أبواباً كثيرة بعده في هذا الصدد وقد نبه الحافظ ابن كثير على أن المراد من الاستدلال بالآيات هو إثبات وحدانيته في الألوهية - ثم أفاد بأنها دالة على الوحدانية في الربوبية بطريق الأولى فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ <sup>(٣)</sup> : « وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لاشريك له ، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع ، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى » <sup>(٤)</sup> أهـ

وتقرير دليل خلق الآيات على الربوبية هو : إما أن تكون هذه الأشياء أوجدت نفسها ، أو وجدت من غير خالق أصلاً ، أو أوجدها خالقها سبحانه ، والأولان باطلان ضرورة ، فلم يبق إلا الثالث وهو المتعين . <sup>(٥)</sup> وقد نبه الله عز

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أحد الأئمة الحفاظ المصنفين

في عقيدة أهل السنة والجماعة ومن مصنفاته : الإيمان - والتوحيد - ولد سنة (٣١١هـ)

وتوفي سنة (٣٩٥هـ) انظر : طبقات الحنابلة ٢ / ١٦٧ وتذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٣١

(٢) التوحيد لابن منده ١ / ٩٧ - وانظر تعليق المحقق .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢

(٤) تفسير ابن كثير ١ / ٥٨

(٥) انظر : الرياض الناضرة للسعدي ص : ٢٤٧

وجل على هذا الدليل بقوله : ﴿ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَهْمُ الْخَالِقُونَ ﴾ (١).

ويمكن الاستفادة من الكتب التي عني أصحابها بالبحث عن عجائب الخلق في الإنسان والكون وعالم البحار وغير ذلك .

---

( ١ ) سورة الطور الآية : ٣٥

## المسألة الرابعة

### المقاييس العقلية

كما تقدم سابقاً فإن القياس يؤدي إلى أمر كلي<sup>(١)</sup> إذ أنه يثبتُ به وجود موجود واجب، ولذلك لابد من شرط هنا ، وهو توسط علوم ضرورية ، إذ لابد أن يتصور الإنسان في نفسه وجود الخالق ، وأن يتصور أن ما يسلكه من الدليل يدل عليه .

ويجب كذلك أن لا يسلك الإنسان طريقاً يستلزم باطلاً كنفى الصفات الثابتة لله تعالى بدعوى أنها أعراض أو حوادث !

وهذه المقاييس العقلية قد تنفع من ينفي وجود الله ويقول إنه معدوم فيقال له :

من المعلوم بضرورة العقل والمشاهدة وجود موجودات . ومن المعلوم أن من هذه الموجودات ما هو حادث بعد أن لم يكن ، فإننا نشاهد حدوث السحاب والمطر ، والشجر ، والإنسان ، وغير ذلك .

ثم يقال : هذه المحدثات إما أن تكون وجدت من عدم أو من مُحدث لها ، والأول ظاهر البطلان ، إذ العدم ليس بشيء حتى يوجدَ غيره ، وأما الثاني وهو المُحدث الذي أحدثها فإما أن يكون هو نفسها - أي أنها هي التي أحدثت أنفسها - وهو ظاهر البطلان بالضرورة العقلية ، وإما أن يكون المُحدث مُحدثاً

---

(١) تقدم تعريفه ص / ٢٩٨

المُحدث آخر ، وهذا الأخير لمُحدث آخر إلى غير غاية ، وإما أن يكون هذا المُحدث واجب الوجود بنفسه ، والأول باطل - أي هذا التسلسل - بالضرورة العقلية ، ويبينه أن المُحدث الواحد لا يحدث إلا بمُحدث ، فإذا كثرت الحوادث وتسلسلت كان احتياجها إلى المُحدث أولى ، وكلها مُحدثات فكلها محتاجة إلى مُحدث ، ولا ينقطع هذا إلا بمُحدث لا يحتاج إلى غيره ، بل هو قديم أزلي بنفسه سبحانه وتعالى . <sup>(١)</sup> فإذا قد بطل الأول - وهو التسلسل - ، صبح الثاني وهو : أنه المُحدث واجب الوجود بنفسه ، وهو الله سبحانه وتعالى .

وهذا الاستدلال يمكن أن يستنبط من قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ <sup>(٢)</sup> وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وهذا التقسيم في الآية تقسيم حاصر ، ذكره الله بصيغة الاستفهام ، ليبين أن هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن جحدها ، يقول : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ؟ أي من غير خالق خلقهم ، أم هم خلقوا أنفسهم ؟ وهم يعلمون أن كلا النقيضين باطل فتعين أن لهم خالقاً خلقهم سبحانه وتعالى » <sup>(٣)</sup> اهـ والطرق العقلية كثيرة جداً - والمقصود التمثيل .

---

(١) انظر في هذا : مجموع فتاوي : ٥ / ٣٥٧ - ٣٥٨ - ١٦ / ٤٤٤

(٢) سورة الطور الآية : ٣٥

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية : ٥ / ٣٥٩

## **الفصل الثاني**

### **منهج الأشاعرة في توحيد الربوبية .**

وفيه بحثان :

المبحث الأول : منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الربوبية .

المبحث الثاني : منهج الأشاعرة في أدلة إثبات الربوبية .

## المبحث الأول

منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الربوبية .

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : حقيقة توحيد الربوبية : وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : مدلول كلمة ( الرب ) شرعاً .

المسألة الثانية : عموم و خصوص ربوبية الله لخلقه .

المسألة الثالثة : تعريف توحيد الربوبية .

المطلب الثاني : مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية

تفريع : الإيمان بالقضاء والقدر .

المطلب الثالث : منزلة توحيد الربوبية .

المطلب الرابع : أحكام متعلقة بأفعال الله المتعدية ( الربوبية )

وفيه خمس مسائل :

المسألة الأولى : أفعال الله كلها خير .

المسألة الثانية : الحكمة في أفعال الله تعالى وأحكامه .

المسألة الثالثة : التحسين والتقبيح العقليان .

المسألة الرابعة : الأسباب والمسببات وعلاقتها بأفعال الله .

المسألة الخامسة : أفعال العباد وعلاقتها بأفعال الله .



## المطلب الأول

### حقيقة توحيد الربوبية عند الأشاعرة

يطلق الأشاعرة على هذا النوع من التوحيد : توحيد الذات والأفعال -  
وسياتي بعد قليل إن شاء الله شرح مرادهم بعد بيان المراد بكلمة الرب ومعنى  
الربوبية .

ولما تقدم مدلول كلمة ( الرب ) لغة في الفصل الخاص بأهل السنة والجماعة  
كان لا حاجة إلى إفرادها هنا بالبحث لعدم وجود المقتضي من مخالفة أو نحوها .  
ولذلك فسأكتفي بذكر ثلاث مسائل وهي :

المسألة الأولى : مدلول كلمة الرب من حيث هي اسم لله تعالى :

قال إبراهيم الباجوري <sup>(١)</sup> في شرحه لبیت من جوهرة التوحيد : « قوله :  
( ربه ) : أى خالقه أو مالكة أو نحو ذلك من معاني الرب المنظومة في قول الشيخ  
السجاعي <sup>(٢)</sup> :

قَرِيبٌ مُحِيطٌ مَالِكٌ وَمُدَبِّرٌ	مُرَبٌّ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْمَوْلُ لِلنَّعَمِ
وَخَالِقُ الْمَعْبُودِ جَابِرٌ كَسَرْنَا	وَمُصْلِحُنَا وَالصَّاحِبُ الثَّابِتُ الْقَدَمِ
وَجَامِعُنَا وَالسَّيِّدُ أَحْفَظُ فَهَذِهِ	مَعَانٍ أَتَتْ لِلرَّبِّ قَادَعٌ لِمَنْ نَظَمَ <sup>(٣)</sup>

(١) تقدمت ترجمته ص : ١٨

(٢) لعله : أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهرى المتوفى سنة (١١٩٧ هـ) له

مشاركة في علوم كثيرة انظر معجم المؤلفين ١ / ١٥٤ .

(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص : ١٧ - ١٨

وهذه المعاني واضحة ، ومرادهم بالقديم هنا الإخبار عن الله تعالى بأنه موجود وجوداً أزلياً ، وليس مقصودهم القدم النسبي الذي بمعنى طول مدة الوجود التي لا تستلزم الأزلية <sup>(١)</sup> .

### المسألة الثانية : عموم وخصوص ربوبية الله خلقه .

والمقصود بالربوبية العامة : خلق الله عز وجل لمخلوقاته وهدايتهم لما يصلحهم في حياتهم مع بقائهم تحت قهره وملكه ، وهذه واضحة في النظم السابق .

وأما الربوبية الخاصة : وهي التي تتعلق بدلالة المكلفين وإرشادهم للدين الحق مع توفيقهم للعمل الصالح - فهذه أيضاً معلومة عند الأشاعرة ، وقد نصوا عليها عند كلامهم في مسألة خلق أفعال العباد ، فمن أقوالهم في الهداية الخاصة قول الرازي : « واعلم أنه سبحانه هادٍ من حيث إنه خص من أراد من عباده بمعرفته وأكرمه بنور توحيده كما قال : ﴿ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ <sup>(٢)</sup> » <sup>(٣)</sup> اهـ

### المسألة الثالثة : تعريف توحيد الربوبية :

كما تقدم فإن الأشاعرة اصطَلَحُوا على تسمية هذا التوحيد بتوحيد الذات والأفعال ، فإنهم يشبتون وحدانية في الذات والصفات والأفعال ، والوحدانية الأولى والثالثة هما المرادتان هنا ، فقالوا عن وحدانية الذات إنها تنفي عن

---

(١) انظر : شرح الأسماء الحسنی للرازي ص : ٣٥٨ - ٣٥٩

(٢) سورة البقرة - الآية : ٢١٣

(٣) شرح أسماء الله الحسنی ص / ٣٤٩

الذات « تركيبها من أجزاء ..... وتعددتها بحيث يكون هناك إله ثان فأكثر »  
فهذا ما تنفيه وحدانية الذات . قالوا : « ووحدة الأفعال بمعنى : أنه لا تأثير لغيره  
في فعل من الأفعال » <sup>(١)</sup> فيستحيل : « أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على  
وجه الإيجاد » <sup>(٢)</sup>

وقد وضح مقصودهم بتوحيد الذات والأفعال ، إلا أن تعبيرهم بكلمة ( لا  
تأثير ) فيه شيء من الإجمال ومبالغة ستأتي مناقشتهم فيها إن شاء الله في مسألة  
الأسباب والمسببات <sup>(٣)</sup> . وكذلك تعبيرهم بكلمة : « تركيبها من أجزاء » فيه  
إجمال متضمن لباطل وحق ، فلزم الاستفصال ؛ فنفيهم للصفات الذاتية كالوجه  
واليدن - بدعوى التركيب - نفي باطل لأنه معارض لأدلة من الكتاب والسنة  
تثبتها ، ولا يجوز أن يقال في ما ثبت لله بالأدلة من الصفات إنه تركيب <sup>(٤)</sup> . وأما  
نفيهم لأن يكون الله متركباً من أجزاء منفردة أو يقبل التقسيم والتفريق المستلزمين  
للحاجة والافتقار فهذا نفي صحيح ، إذ يجب نفي هذه الأمور عن الله ، إذ هو  
الحي القيوم الغني بذاته عمن سواه <sup>(٥)</sup> .

---

(١) تحفة المريد ص / ٥٩ - وانظر شرح أم البراهين ص / ٢٨

(٢) تحفة المريد ص / ٦٠

(٣) انظر : ص : ٣٤٤

(٤) انظر ص : ٥٥١

(٥) انظر : تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيمية ص / ١٥٠ ، والفتاوي له ٦ / ٣٤٤

## المطلب الثاني

### مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية عند الأشاعرة .

تقدم فيما مضى ما أثبتته أهل السنة وأقروا به من مقتضيات الإقرار بالربوبية<sup>(١)</sup> . والمراد هنا : الإشارة إلى موقف الأشاعرة من تلك المقتضيات :

فالأول من تلك المقتضيات ، وهو أن يعتقد العبد انفراد الله تعالى بالنفع والضرر والرزق والإحياء والإماتة وجميع أفعاله وألا يشرك في ذلك بالله أحداً ، فهذا كله يُقرُّ به الأشعرية ولا يخالفونه وكتبهم مليئة بهذا الكلام عند ذكر توحيد الأفعال . إلا أنه ظهر في المتأخرين منهم ما يقدح في هذا الذي يقولونه ، وقد فشا في العصور المتأخرة الشرك بالله تعالى في توحيد الربوبية لاعتقاد كثيرين أن غير الله تعالى يملك الضر والنفع حتى الأموات ، فأوجب لهم ذلك الشرك في عبادته فصاروا يستغيثون بهم ويلجأون إليهم ويطلبون منهم الذرية وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، فجمعوا بين الشرك في الربوبية والشرك في العبادة - وهذا أمر واضح جلي يعرفه القاصي والداني في كثير من بلاد المسلمين ، وزين لهم بعض الأكابر هذا الأمر بشبهات وتلبيسات بتسمية الأمور بغير أسمائها كتسميتهم الاستغاثة بالتوسل ، ويسمون شبائهم بشواهد الحق وإنما هي شواهد الباطل ، وهذا كله يقع مع كثرة كتبهم المبينة لإفراد الله تعالى في ربوبيته وأفعاله ١١ مع ملاحظة أخرى ، وهي أن الأشاعرة يجعلون الأفعال من تعلقات القدرة والإرادة

---

(١) انظر ص / ٢٣٢

دون قيامها بالله ! ، والواجب إثبات قيام هذه الأفعال بالله لأنها من مقتضيات الربوبية ، ولذلك قال ابن القيم : « فإن قيام الأفعال به هو معنى الربوبية وحقيقتها ، ونافي هذه المسألة نافٍ لأصل الربوبية ، جاحد لها رأساً . » <sup>(١)</sup> اهـ

وأما الثاني من تلك المقتضيات وهو إثبات رب مباين للعالم ، وذلك بإثبات العلو لله رب العالمين ، فهذا مما خالف فيه الأشاعرة ، وهذه المسألة من أكبر المسائل التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة بدعوى تنزيه الله تعالى عن الجهة والتحيز ! حتى غلا بعضهم فقال : « يستحيل على الله تعالى أن يكون في جهة للجرم بأن يكون فوق العرش مثلاً أو تحته أو يمينه أو شماله أو أمامه أو خلفه .. [و] يستحيل على الله تعالى أن تكون له جهة في نفسه بأن يكون له يمين أو شمال أو فوق أو تحت أو قدام أو خلف ! » <sup>(٢)</sup> وهذا الكلام لازمه أن لا يوجد الرب سبحانه وتعالى وتقدس لولا أنهم يثبتون وجوده سبحانه ، والسلف لا يرون لازم المذهب لازماً . وستأتي مناقشتهم في شبهتهم التي ذكروها لنفي العلو إن شاء الله تعالى <sup>(٣)</sup>

وأما الثالث من مقتضيات الربوبية وهو التوصل بالإقرار بها إلى إفراد الله تعالى في الألوهية ، فهذا النوع - وهو توحيد العبادة - يسلمون به في الجملة ، إلا أن الملاحظ خلو كتبهم من تقرير هذا النوع من التوحيد ، بل وجد من المتأخرين من يخالف في توحيد العبادة على ما سبق بيانه . <sup>(٤)</sup>

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ٤١٤/٣

(٢) شرح أم البراهين ص : ٢٤

(٣) انظر : ص : ٥٤٦ - ٥٥٢

(٤) انظر : ص : ١٨٥ - ١٩٥ ، ٢٠٣ - ٢١١

## تفريع : القضاء والقدر عند الأشاعرة

تعريفهما والفرق بينهما :

عرف الأشاعرة القضاء بأنه « إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما لا يزال » ، فالقضاء راجع إلى صفة من صفات المعاني ، وهي الإرادة . وعرفوا القدر بأنه : « إيجاد الله الأشياء على قدر مخصوص ووجه معين أرادته تعالى »<sup>(١)</sup> . والإيجاد فعل من أفعال الله .

فالفرق بينهما هو أن القضاء أزلي قديم لأنه يرجع إلى صفة ذاتية هي الإرادة - وهي قديمة ، وأما القدر فهو حادث لأنه يرجع إلى صفة فعل وهو الإيجاد - وما كان كذلك فهو حادث ! على طريقتهم في جعل الفعل من تعلقات القدرة - دون أن يكون قائماً به - وسيأتي الكلام عن التعلقات عندهم إن شاء الله<sup>(٢)</sup>

### مراتب القدر :

يثبت الأشاعرة مراتب القدر التي تم سردها وذكر أدلتها في الفصل الخاص بأهل السنة والجماعة<sup>(٣)</sup>

فقال الباجوري : « فalcضاء والقدر راجعان لما تقدم من العلم والإرادة وتعلق القدرة »<sup>(٤)</sup> ومراده بتعلق القدرة : الخلق ، على ما هو معروف عندهم من تأويل صفات الأفعال وردّها إلى صفات الذات . فهذا إثبات منهم للعلم والإرادة

(١) شرح جوهرة التوحيد ص / ١١٣

(٢) انظر ص / ٥٠٦ - ٥٠٧ ، ص / ٥١٥ ، ص / ٥٢٤ - ٥٢٥

(٣) انظر ص / ٢٣٤ - ٢٤١

(٤) شرح جوهرة التوحيد ص / ١١٣

والخلق.

وأما الكتابة فهم يثبتونها باتفاق كذلك . قال الرازي مستدلاً بحديث ابن عباس مرفوعاً : « أول ما خلق الله القلم قال له اكتب » <sup>(١)</sup> . قال الرازي : « وجه الاستدلال به : أنه دخل في هذا المكتوب جميع أفعال العباد » <sup>(٢)</sup> .

فهذه موافقة منهم لأهل السنة في إثبات هذه المراتب الأربع في الجملة ، ولهم مخالفات في بعض التفصيلات مثل كلامهم في الإرادة ، وإطلاق القول بإنكار تأثير قدرة العبد في الفعل ، وفي منع تأثير الأسباب في مسبباتها مطلقاً ، مبالغة منهم في إثبات توحيد الأفعال لله تعالى ! ، وسيأتي بيان هذه المسائل في مواضعها إن شاء الله تعالى <sup>(٣)</sup> .

ولاحاجة إلى الاطالة في هذا الموضوع لوضوح موقفهم في الجملة .

---

(١) تقدم تخريجه ص / ٢٣٧

(٢) المطالب العالية للرازي ٩ / ٢٤٤

(٣) انظر ص / ٣٤٤ ، ٣٤٦ - ٣٥٠ ، ٥٠٧

## المطلب الثالث

### منزلة توحيد الربوبية عند الأشاعرة

تقدم قول أهل السنة والجماعة في أن معرفة الخالق والإقرار بربوبيته أمر فطري فطر الله عليه خلقه<sup>(١)</sup> ، فلذلك ولما ورد من أدلة ، كان أول واجب على المكلف هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد بينوا أهمية توحيد الربوبية بأنه باب توحيد الألوهية.

أما الأشاعرة فقد اختلفت عباراتهم في أول واجب على المكلف بعد أن اتفقوا على أن الأمر بعبادته ليس أول واجب .

فحكى الأشاعرة عن الأشعري القول بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة<sup>(٢)</sup> . والمعرفة عندهم معناها معرفة وجود الله وتفرد به خلق العالم .

وعند الباقلاني أول واجب : النظر<sup>(٣)</sup> فقال : « أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر في آياته ... والثاني من فرائض الله عز وجل على جميع العباد الإيمان به والإقرار بكتبه ورسوله » .. الخ<sup>(٤)</sup>

وأول واجب على المكلف عند الجويني القصد إلى النظر فقال : « أول ما

---

(١) انظر : ص / ٢٨٠ - ٢٨٨ .

(٢) انظر : شرح جوهرة التوحيد ص : ٣٧ .

(٣) وقد حكى عنه أن أول واجب هو أول النظر ، أي المقدمة الأولى ، وليس هناك كبير فرق .

انظر : شرح الجوهرة ص : ٣٧

(٤) الإنصاف للباقلاني ص / ٣٣



يجب على العاقل البالغ باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعاً ، القصد إلى النظر الصحيح ...»<sup>(١)</sup>.

وقال شارح الجوهرة محاولاً الجمع بين هذه الأقوال : « والأصح أن أول واجب قصداً : المعرفة ، وأول واجب وسيلةً قربيةً : النظر ، ووسيلةً بعيدةً : القصد إلى النظر »<sup>(٢)</sup> ، فظهر من هذا أن النزاع بينهم لفظي .

والمراد بالنظر عندهم : « ترتيب أمرين معلومين ليُتوصَّلَ بترتيبهما إلى علم مجهول »<sup>(٣)</sup>.

وواضح أن هذا من المقاييس العقلية ، وليس المراد مجرد النظر في آيات الله المستلزم معرفة المراد دون توسط أي حد وسط ، كما هو في القياس ، وسيأتي بحث إثبات وجود الله تعالى وبيان صعوبته والإشكالات الواردة عليه ، وما فيه من لوازم باطلة - إن شاء الله -<sup>(٤)</sup>.

ولما عدد شارح الجوهرة المطالب السبعة التي يُتوصل بها إلى إثبات وجود الله تعالى قال : « وهذه المطالب السبعة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم » ثم قال : « قال السنوسي<sup>(٥)</sup> : وبها ينجو المكلف من أبواب جهنم السبعة ! »<sup>(٦)</sup> اهـ ولم

---

(١) الإرشاد ص ٢٥ .

(٢) شرح جوهرة التوحيد للباजوري ص / ٣٨ .

(٣) شرح الجوهرة ص ٣٧ وانظر الإرشاد للجويني ص / ٢٥ .

(٤) انظر ص / ٣٥٤ - ٣٦٦ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر التلمساني الحسني - ولد سنة (٨٣٢ هـ) متكلم أشعري وله مشاركة في الحديث - من مؤلفاته : أم البراهين - توفي سنة (٨٩٥ هـ) انظر

معجم المؤلفين ١٢ / ١٣٢ .

(٦) شرح جوهرة التوحيد ص / ٤٢ .

يتعقبه بشيء ! ، كأنه يقره على مقالته .

فانظر كيف جعل السنوسي عاقبة ترك هذه المطالب على المكلف سواء كان من العوام أو من العلماء الراسخين في العلم ! ، وانظر اعتراف الباجوري بأنه لا يعلمها إلا الراسخون في العلم ! ، فيكونون على هذا هم الناجين فقط دون من سواهم ! ، ويكون العوام ، وهم أكثر المسلمين ليسوا بناجين من النار ، بل حتى العلماء الذين ليسوا براسخين في العلم ! . وفي هذا تحجير لواسع وتضييق لرحمة الله ، وابتداع لقول لم يسبقوا إليه .

### الناقشة

١ - قولهم إن أول واجب على المكلف هو النظر الصحيح المفضي إلى معرفة الله يناقض أمرين :

أولهما : أن الإقرار بمعرفة الله أمر مركوز في الفطر .

وثانيهما : الأمر بعبادة الله أولاً .

أما كون الإقرار بالله مركوزاً في الفطر فقد تقدم دليله في الفصل السابق <sup>(١)</sup> .

وتقدمت الإجابة عن اعتراضاتهم كذلك .

وهنا لابد من الإشارة إلى اعتراف بعض حذاق علماء الأشاعرة بهذا الإقرار الفطري وهو : الشهرستاني حيث قال في كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام :

---

(١) انظر : ص / ٢٨٠ - ٢٨٨ .

« وأنا أقول : ما شهد به الحدوث أو دل عليه دليل الإمكان بعد تقديم المقدمات دون ما شهدت به الفطرة الإنسانية من احتياج في ذاته إلى مدبر هو منتهى الحاجات فيرغب إليه ولا يرغب عنه ، ويستغني به ولا يستغني عنه ، ويتوجه إليه ولا يعرض عنه ، ويفزع إليه في الشدائد والمهمات فإن احتياج نفسه أوضح له من احتياج الممكن الخارج إلى الواجب ، والحادث إلى المحدث » <sup>(١)</sup>

فاعترف الشهرستاني بدليل الفطرة وأن منزلته في الاستدلال فوق الاستدلال بدليل الحدوث والإمكان ، وعلى ذلك بأن أصل دليل الفطرة مركوز في النفس لذلك كان أقوى من الدليل الذي يُطلب من خارج - وهو واضح - وسيأتي ذكر اعترافات أخرى من غيره في الباب الرابع إن شاء الله <sup>(٢)</sup>.

وأما الأمر الثاني الذي ناقضوه بقولهم هذا فهو أن المعروف بالكتاب والسنة والإجماع أن أول ما يجب على المكلفين هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وقد مضى تحقيق هذه المسألة في الباب الأول <sup>(٣)</sup> - ولكن لا بأس من الإشارة هنا إلى بعض الأدلة :

فمن الكتاب قول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام ص ١٢٥/

(٢) انظر ص ٦٥٣.

(٣) انظر ص ٨٦ - ٩١.

(٤) سورة النحل الآية : ٣٦.

إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ ، وهذا صريح في أن الرسل ما بعثوا إلا لعبادة الله وحده ، وأفاد هذا الحصر الآية الثانية .

وأما من السنة فقول الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى أهل اليمن : « فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » <sup>(٢)</sup> . وقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » <sup>(٣)</sup> .

وقد وردت في حديث معاذ جملة وهي : « فإذا عرفوا الله » فتمسك بها من قال إن أول واجب هو المعرفة <sup>(٤)</sup> ، والجواب كما قال الحافظ ابن حجر <sup>(٥)</sup> رحمه الله : « إن الأكثر رواه بلفظ : « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك » ومنهم من رواه بلفظ : « فادعهم إلى أن يوحدوا الله ، فإذا عرفوا ذلك » ، ومنهم من رواه بلفظ : « فادعهم إلى عبادة الله فإذا عرفوا الله » . ووجه الجمع بينهما أن المراد بالعبادة : التوحيد ، والمراد بالتوحيد : الإقرار بالشهادتين ، والإشارة بقوله ( ذلك ) إلى التوحيد : وقوله

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٢) تقدم تخريجه ص / ٨٩ .

(٣) تقدم تخريجه ص / ٧٨ .

(٤) ونُسب هذا القول إلى إمام الحرمين كما في فتح الباري ١٣ / ٣٦١ .

(٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني العلامة الحافظ - له مؤلفات عديدة ، انظرها في خاتمة

تهذيب التهذيب لمصححه توفي سنة (٨٥٢هـ) انظر : شذرات الذهب ٧ / ٢٧٠ والبدرد

الطالع ١ / ٨٧ .

« فإذا عرفوا الله » أي عرفوا توحيد الله ، والمراد بالمعرفة : الإقرار والطواعية <sup>(١)</sup> ،  
فبذلك يجمع بين الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة <sup>(٢)</sup> . اهـ

وعلى هذا فإن دلالة هذا الحديث على المطلوب واضحة ، فلو كانت المعرفة  
هي أول واجب على المكلف لأمر النبي ﷺ بالدعوة إليها أولاً ، ولما أمر بتوحيد  
الله في عبادته أولاً ، لأنه لا يعقل أن يؤمر بعبادة الله من لا يقربه ، وقد تقدم أن  
الإقرار به ومعرفته فطرية <sup>(٣)</sup> .

وأما الحديث الثاني فدلالته أيضاً واضحة ، ولكن أنقل هنا كلاماً لأبي المظفر  
السمعاني رحمه الله فقال بعد ذكره لهذا الحديث : « ومثل هذا كثير ، ولم يرد  
أنه دعاهم إلى النظر والاستدلال ، وإنما يكون حكم الكافر في الشرع أن يُدعى  
إلى الإسلام ، فإن أبى وسأل النظرة والإمهال لا يجاب إلى ذلك ، ولكنه إما أن  
يسلم أو يعطي الجزية أو يُقتل ، وفي المرتد إما أن يسلم وإما أن يقتل ، وفي  
مشركي العرب على ما عرف . وإذا جعلنا الأمر على ما قاله أهل الكلام لم يكن  
الأمر على هذا الوجه ، ولكن ينبغي أن يقال له - أعني الكافر - عليك النظر  
والاستدلال لتعرف الصانع بهذا الطريق ، ثم تعرف الصفات بدلائلها ، وطرقها ،  
ثم مسائل كثيرة إلى أن يصل الأمر إلى النبوات ، ولا يجوز على طريقهم الإقدام  
على هذا الكافر بالقتل والسبي إلا بعد أن يُذكر له هذا ويمهل ، لأن النظر لا يكون

---

(١) أي التوحيد الذي فسره بالإقرار بالشهادتين لا النظر ولا معرفة الوجود فقط كما زعم الجويني

، وهو واضح .

(٢) فتح الباري ١٣ / ٣٦٧ .

(٣) انظر ص ٢٨٠ / ٢٨٨ .

إلا بمهلة ، خصوصاً إذا طلب الكافر ذلك ، وربما لا يتفق النظر والاستدلال في مدة يسيرة فيحتاج إلى إمهال الكفار مدة طويلة تأتي على سنين ليتمكنوا من النظر على التمام والكمال ، وهو خلاف إجماع المسلمين»<sup>(١)</sup> .

٢- ويقال للأشعرية ثانياً: قولكم إن النظر أول ما يجب على المكلف فيه مناقشة أيضاً من جهتين أخريين:

أولاهما: في نوع هذا النظر.

وثانيتهما: في إيجابه على كل المكلفين.

أما الجهة الأولى: فقد تقدم مرادهم بهذا النظر - وسيأتي إيضاح طريقه إن شاء الله<sup>(٢)</sup> ، وقد صرحوا هم بأن طريقة النظر طريقة معتادة على الفهم حيث لا يعلمها إلا الراسخون في العلم ! وهنا لابد من وقفات :

الأولى: إن هذه الطريقة لم تنقل عن السلف مع اشتمالها على طرق محرمة كما قال الإمام أبو المظفر السمعاني: « وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا فإنهم قالوا: أول ما يجب على الإنسان النظر المؤدي إلى معرفة الباري عز وجل . وهذا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين . » اهـ<sup>(٣)</sup> ، فتراه أنكر عليهم طريقتهم لاشتمالها على ما لم ينقل عن السلف من أن أول واجب على المكلف النظر، وهي كذلك تستلزم لوازم باطلة كنفي صفات الباري

(١) رسالة « الانتصار لأهل الحديث » له - ضمن كتاب صون المنطق والكلام للسيوطي ص ١٧٢/ ونقله عنه أبو القاسم التيمي بإسناده عنه في كتابه الحجة في بيان المحجة ١١٩/٢ .

(٢) انظر ص/ ٣٥٥ - ٣٦٠ .

(٣) الانتصار لأهل الحديث - ضمن صون المنطق والكلام للسيوطي ص/ ١٧١ ، ونقله عنه أبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١١٧/٢ - ١١٨ .

الاختيارية - وقد التزموا ذلك - بدعوى أنها لو ثبتت للزم قيام الحوادث به ، وهذا يؤدي إلى تعطيل إثبات وجوده ، الذي تم بإثبات أن كل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث !

الثانية : وطريقتهم هذه في الأصل قد أخذوها من المعتزلة كما قال أبو جعفر السمناني وهو من رؤوس الأشاعرة : « إن هذه المسألة بقيت في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة وتفرع عليها أن الواجب على كل أحد معرفة الله بالأدلة الدالة عليه ، وأنه لا يكفي التقليد في ذلك .<sup>(١)</sup> » فإنهم قد أخذوها عنهم وحاولوا أن يخالفوهم في أصول أخرى كإثبات صفات المعاني فتناقضوا وحاولوا أن يخرجوا من هذا المضيق فأثبتوها كلها أو جلها - بطريقة لا تخلوا من مخالفة لاهل السنة كما سيأتي إن شاء الله<sup>(٢)</sup> .

الثالثة : إن النظر الذي ذكر في القرآن ليس هو النظر الذي تواضع عليه هؤلاء المتكلمون ، وإنما النظر فيه بذكر الآيات التي هي العلامات الدالة على ما هي آيات له ، من غير حاجة إلى توسط حد كما هو في المقاييس العقلية ، وقد تخلص بعضهم فقال إنه يصح الاستدلال بالدليل الإجمالي ، « وهو المعجوز عن تقريره وحل شبهه »<sup>(٣)</sup> ، ومرادهم أن يعجز الإنسان بذكره على الوجه المعتبر عند

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٣٦١ .

(٢) انظر ص / ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٧ .

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص / ٢١ .

المنطقيين. (١)

وقد ترتب على إيجابهم النظر على جميع المكلفين اختلافهم في حكم التقليد في معرفة العقائد على ستة أقوال :-

أولها : الحكم بكفر المقلد مطلقاً.

وثانيها : الحكم بعصيانه مطلقاً.

وثالثهما : الحكم بعصيان من قلده وفيه أهلية للنظر.

ورابعها : صحة إيمان من قلده القرآن والسنة القطعية ١١ - فيما عدا الصفات النقلية.

وخامسها : صحة إيمان المقلد مطلقاً ، لأن النظر شرط كمال .

وسادسها : صحة إيمان المقلد مع تحريم النظر ، وحملوه على المخلوط بالفلسفة . وأقوى هذه الأقوال عند المتأخرين القول الثالث (٢) .

ويلاحظ أن كل تلك الأقوال مبنية على أساس منهار وهو أن المعرفة نظرية لا فطرية ١ . وزعمهم بأن من تابع القرآن والسنة في المعرفة يكون مقلداً ناشئاً من ظنهم أنهما دليلان لفظيان خبريان لا يتضمنان براهين عقلية وهذا ظن باطل - والتحقيق هو أن النظر يجب على من لم يحصل العلم والإيمان إلا به ، على أن يكون هذا النظر صحيحاً غير مستلزم لباطل .

(١) والتفريق بين الدليل الجملي والتفصيلي لم يرتضه بعض الأشاعرة - كالرازي - باعتبار أن الدليل إذا كان متكباً من عشر مقدمات - مثلاً - فإنه لا يقبل الزيادة لأنها كافية ، ولا يقبل النقصان لأنه يؤدي إلى التقليد في بعض المقدمات ١ انظر الحصول في أصول الفقه للرازي

٧٧-٧٦/٦

(٢) انظر شرح جوهرة التوحيد ص / ٣٤-٣٥ .



الجهة الثانية من المناقشة : في إيجابهم النظر على كل مكلف من ذكر وأنثى :

١- فإننا نسلم بأن النظر الوارد الأمر به في الآيات القرآنية واجب ، فأما إيجابه على كل أحد فلانسلم به بل ولا نسلم بأنه أول الواجبات ، مع التفريق بين النظر الصحيح - فهو المأمور به- ، وبين النظر المفضي إلى الباطل - فلا تدل عليه الآية . فالذي يلاحظ من القرآن هو أن النظر يجب على من لم يحصل له الإيمان إلا به ، فمثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ <sup>(١)</sup> ، فهذه الآية والتي قبلها جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملئ لهم إن كيدي متين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ، وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم كافرون ﴾ <sup>(٣)</sup> ، فهذه جاءت بعد قوله : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ <sup>(٤)</sup>

فمن آيتي الأعراف والروم السابقتين يعلم أن النظر واجب على المكذبين

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٥

(٢) سورة الأعراف الآيتان : ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) سورة الروم الآية : ٨

(٤) سورة الروم الآيتان : ٥ ، ٦

والذين لا يعلمون وكل من كان لا يقوم بالواجب عليه من عبادة الله إلا بعد النظر، فظهر من هذا أن هذا الوجوب جاء من جهة أنه واجب على كل من لا يؤدي واجباً إلا به ، وعلق شيخ الإسلام على هذا القول بأنه : « أصح الأقوال »<sup>(١)</sup>.

٢- وقولهم إن أول واجب على المكلف هو النظر يشمل كل المكلفين ، وبما أنه واجب فيلزم أن الشخص حال الاشتغال به يكون مقيماً على الطاعة ولو كان على غير ملة الإسلام ! ولهذا ألزمهم أبو المظفر السمعاني بقوله : « وينبغي على قولهم : إذا مات في مدة النظرة والمهلة قبل قبول الإسلام أنه مات مطيعاً لله مقيماً على أمره ، لا بد من إدخاله الجنة كما يدخل المسلمين ، وقد جعلوا غير المسلم مطيعاً لله مؤتمراً بأمره في باب الدين وأوجبوا إدخاله الجنة ، وقد قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ . »<sup>(٢)</sup> . اهـ<sup>(٣)</sup> .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨/٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

(٣) الانتصار لأهل الحديث للسمعاني - ضمن كتاب صون المنطق للسيوطي ص/ ١٧٣ مختصراً .

## المطلب الرابع

### أحكام متعلقة بأفعال الله المتعدية عند الأشاعرة

وهذا المطلب فيه خمس مسائل - وهي:

المسألة الأولى : هل أفعال الله كلها خير عند الأشاعرة ؟ :

هذه المسألة ترجع عند التحقيق إلى مسألة القبيح والحسن . ولذلك قال الباجوري <sup>(١)</sup> في شرحه لنظم الجوهرة : « قوله ( الشر والخير ) : اعلم أنهم يعبرون عن الأول بالقبيح وعن الثاني بالحسن » <sup>(٢)</sup> اهـ . والمراد من البحث هنا هو : هل يفعل الله الخير والشر ؟ فالأشاعرة لا يشبتون فعلاً قائماً بذات الله ، ولذلك يفسرون الفعل بالمفعول ، أو أنه مُتعلّق بالإرادة عند تخصيصه بالوجود ، فعلى أن الفعل هو المفعول قالوا : « إن الله يجوز عليه خلق الخير والشر » <sup>(٣)</sup> ، وعلى أن الفعل مُتعلّق بالإرادة قالوا : « إن الله يريد الخير ويريد الشر » <sup>(٤)</sup> .

والكلام معهم في مقامين :

المقام الأول : إن الحكم على أفعال الله بالخير والشر متوقف على إثبات الحسن

---

(١) انظر ترجمته ص / ١٨

(٢) تحفة المريد ص / ١١١

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر المصدر نفسه في سياق رده على المعتزلة ، وقد يعبر بعضهم عن ذلك بقوله « يريد لجميع

الكائنات » انظر المواقف للإيجي ص / ٣٢٠ .

والقبح العقليين وإثبات الحكمة في أفعاله ، وهم ينفون الجميع باعتبار أن الأفعال متساوية في حكم مشيئته . ولذلك كان يلزمهم ألا يصفوا أفعاله بخير ولا شر ، ولما تفتن إمام الحرمين <sup>(١)</sup> لهذا الأمر الذي لا يتفق مع أصلهم قال : « ولولا أنه شاع في ألفاظ عصابة الحق أنه خالق الخير والشر لكان سر التوحيد يوجب أن يقال : ليس في أفعال الله تبارك وتعالى خير ولا شر بالإضافة إلى حكم الألوهية ، فإن الأفعال متساوية في حكمه وإنما تختلف مراتبها بالإضافة إلى العباد » اهـ <sup>(٢)</sup>

**المقام الثاني :** فإنه يقال لهم أولاً : إنا قد أثبتنا الفرق بين الفعل والمفعول وأثبتنا أن أفعال الله كلها خير ولا شر فيها ، إذ أفعال الله صفات قائمة به ولا يقوم به إلا ما هو أكمل وأحسن ، وأما مفعولاته فتدخلها القسمة بمعنى أن فيها الخير، وفيها الشر الجزئي الإضافي غير المتمحض <sup>(٣)</sup> ، فكان الواجب على الأشاعرة التفريق بين الفعل والمفعول ليأتوا بهذا التفصيل الحق فإذا لم يتم التفريق بين الفعل والمفعول فلن يمكنهم أن يأتوا بالتفصيل المذكور. ويقال لهم ثانياً : أما قولكم : « الله يريد الخير والشر » فقول لا يجوز إطلاقه نفيًا ولا إثباتاً ، لأن إرادة الله وردت في كتاب الله بمعنيين ؛ إرادة بمعنى المشيئة وهي تستلزم وقوع المراد ولا تستلزم محبته ، والثانية إرادة بمعنى المحبة والرضا ، وهي لا تستلزم وقوع المراد وتستلزم محبته فمن الأول قول الله تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية ﴾ <sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ ومن يرد

(١) انظر ترجمته ص ٦٧٢ .

(٢) العقيدة النظامية لإمام الحرمين ص ٣٦-٣٧ .

(٣) انظر ص ٢٤٤ - ٢٤٧ .

(٤) سورة الإسراء - الآية : ١٦ .

أن يضلّه ﴿<sup>(١)</sup>﴾ ومن الثاني قوله : ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ ﴿<sup>(٢)</sup>﴾ ، وعلى هذا فالقسمة العقلية للإرادتين ثلاثية ؛ فإن الله قد يريد الشيء كوناً ويحبه كإيمان من قدر الله إيمانه - كأبي بكر رضي الله عنه مثلاً - فقد أراد الله منه الإيمان كوناً وشرعاً . وقد يريد الله الشيء كوناً ولا يحبه ، ككفر من قدر الله كفره - كأبي جهل مثلاً - فقد أراد الله قدراً أن يكفر والله لا يريد منه الكفر شرعاً - أي لا يحبه - . وقد يريد الله عدم كون الشيء ولكنه يحبه ، كإيمان من قدر الله كفره ، فأبوجهل قدر الله عليه الكفر وأراد وقوعه منه ولم يرد منه الإيمان قدراً ، والله يحب الإيمان ، وزاد بعضهم قسماً رابعاً : وهو أنه قد يريد الله عدم كون الشيء ولا يحبه ، ككفر من قدر الله إيمانه . فعلم من هذا التفصيل الفرق بين الإرادتين وما تستلزمه كل واحدة ، وعليه فلو أطلق الكلام فقليل : الله يريد للشر لأوهم أنه محب له راض به ، ولو أطلق فقليل : الله غير يريد للشر لأوهم أنه لم يخلقه ولم يرده كوناً ، فبطل الإطلاق ولزم التفصيل . ﴿<sup>(٣)</sup>﴾

هذا وقد نص الأشاعرة على أنه وإن جاز إسناد الكائنات إليه إجمالاً إلا أنه قد لا يجوز إسنادها إليه تفصيلاً ، وذلك لأحد أمرين :

الأول / لمراعاة الأدب ، فإنه « يصح أن يقال : الله خالق كل شيء ولا يصح أن يقال : إنه خالق القاذورات وخالق القرودة والخنازير » ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ ، وليتهم سلكوا هذه

(١) سورة الأنعام - الآية : ١٣٥ .

(٢) سورة النساء - الآية : ٢٧ .

(٣) انظر شفاء العليل لابن القيم ص / ٤٤٦

(٤) قاله الإيجي عن بعض الأشاعرة في المواقف ص / ٣٢٠ .

الطريقة في التنزيه في صفات الله كذلك ، إذ سلكوا في التنزيه طريقة التفصيل مع ذكرهم لعبارات مجملة فيما نزهوا الله عنه .<sup>(١)</sup>

الثاني / أو لإيهامه الكفر كأن « يقال : له الزوجات والأولاد » مع أنه يصح أن « يقال : له كل ما في السموات والأرض »<sup>(٢)</sup>

وهذه الأمور التي ذكروها لاعتبار مراعاة الأدب مع الله تعالى صحيحة ، ولكن ينبغي أن يُجوز ما منعه في الأول إذا اقتضى الأمر التنصيص ، كأن يقول شخص منكر : لم يخلق الله القردة والخنازير - مثلاً - فيجواب : إنه خالقها . والله أعلم .

---

(١) انظر ص / ٥٤٥ ، ٥٥٥

(٢) المواقف للإيجي ص / ٣٢٠

## المسألة الثانية

### الحكمة في أفعال الله وأحكامه عند الأشاعرة

يرى الأشاعرة أن أفعال الله وأحكامه لا تعلل بالعلل والأغراض ولا تتوقف على الحكم ، إذ كل ذلك بمحض مشيئته وإرادته .

قال الآمدي <sup>(١)</sup> : « مذهب أهل الحق أن الباري تعالى خلق العالم وأبدعه لا لغاية يستند الإبداع إليها ولا لحكمة يتوقف الخلق عليها ، بل كل ما أبدعه من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه ولا لمقصود أوجب الفعل عليه » <sup>(٢)</sup> .

فتراه ينفي توقف الخلق على الحكمة ، والأشاعرة لا ينفون ثبوت الحكمة ، إذ لا ينكرون ترتب الحكم على أفعال الله ، وإنما الممنوع عندهم أن تكون مقصودة سابقة للفعل ، وهذا ظاهر من كلام الآمدي ، أما إثباتها ففي مثل كلام الباجوري حيث قال معدداً صور المماثلة التي ينزه الله عنها : « أو يتصف بالأغراض في الأفعال والأحكام ... (ثم قال) : فلا ينافي أنه لحكمة وإلا لكان عبثاً وهو مستحيل في حقه تعالى » <sup>(٣)</sup> .

---

(١) علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي الشافعي الأصولي الأشعري - ولد سنة

(٥٥١هـ) له في الأصول : الإحكام ، وفي علم الكلام : غاية المرام - وأبكار الأفكار . توفي

سنة (٦٣١هـ) انظر : البداية والنهاية ١٣ / ١٥١ وطبقات السبكي ٨ / ٣٠٦ .

(٢) غاية المرام في علم الكلام ص / ٢٢٤ .

(٣) تحفة المريد ص / ٩٦

ومما ينبغي أن يعلم أن بعض الأشاعرة يثبت الحكم في الأحكام فيعمل بها، وهذه طريقة من تأثر منهم بالفقه كقول التفتازاني: «والحق أن تعليل بعض الأفعال لا سيما شرعية الأحكام بالحكم والمصالح ظاهر... ولهذا كان القياس حجة إلا عند شذمة لا يعتد بهم وأما تعميم ذلك بأن لا يخلو فعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث» اهـ<sup>(١)</sup>. وقال الرازي<sup>(٢)</sup>: «إن غالب أحكام الشرع معلل برعاية المصالح المعلومة»<sup>(٣)</sup> وهو قد ذكر أدلة كثيرة في كتبه على نفي تعليل أفعال الله بالحكمة<sup>(٤)</sup> ولكنه قد يذكر في بعض المواضع جواز ذلك تفضلاً من الله وإحساناً لا وجوباً عقلياً على الله.<sup>(٥)</sup> وهذا ينافي ما ساقه من أدلة تنفي جواز التعليل ١.

وأصل هذا النزاع كان بين المعتزلة والأشاعرة، فالأولون أثبتوا العلل والحكم القائمة بالخلق ولا يشبتون ما قام بالخالق وجروا على عادتهم في الإيجاب على الله تعالى بعقولهم، فشبهوا أفعاله بأفعال خلقه، فقابلهم الأشاعرة وغلوا في نفي ذلك، فنفوا مع الباطل حقاً. وسأعرض الشبه الحاملة لهم على نفي الحكم التي يسمونها أغراضاً إن شاء الله، فمنها:-

(١) شرح المقاصد ٤/ ٣٠٢ - ٣٠٣ ولفظ الغرض في كلامه فيه نظر، وكذا نفيه لتعليل بعض

الأفعال. انظر التنبيه ص / ١١.

(٢) انظر ترجمته ص / ٦٨٧.

(٣) المحصول في علم أصول الفقه ٥/ ١١٤.

(٤) انظر على سبيل المثال كتابه المحصول ٥/ ١٨٢ - ١٩٢.

(٥) انظر المحصول له ٥/ ١٩٦.



## الشبهة الأولى: (١)

قالوا: لو كان الباربي فاعلاً لغرض لكان في ذاته مستكماً بتحصيل ذلك الغرض ، سواء قيل إن الغرض عائد حكمه إليه أو إلى خلقه .

الجواب: (٢) وهو من وجهين:

الأول: من باب المعارضة: إن الأشاعرة يقولون: إن الأفعال حادثة بعد أن لم تكن ، ولا يقولون إن الله كان ناقصاً قبل حدوثها، إذ أنه سبحانه فاعل بالقوة – أي أن الفعل ممكن له – فيقال لهم: ينبغي على قولكم هذا أن تحذوا بالحكمة حذو الفعل ، فإن الله متصف بالحكمة أزلاً كسائر صفات ذاته ، ثم تقع الأشياء حسب ما تقتضيه حكمته ، وعليه فليس عدم كل شيء نقصاً ، بل الصحيح أن يقال: حدوث ما لا تقتضيه الحكمة هو النقص كما أن عدم وجود ما تقتضيه الحكمة وجوده هو نقص أيضاً.

الثاني: من جهة حل الشبهة: وهو أنا قد أثبتنا الحكمة صفة لله تعالى ، والصفات كلها الذاتية والفعلية قائمة بذات الله تعالى ، فالحكمة إذن ليست منفكة عن الذات حتى يقال إنه صار مستكماً بغيره ، وإنما هي صفة قائمة به – وعليه فلا إشكال إذا قيل أنه كمل بحكمته، إذ هو نظير قولنا كمل بذاته وصفاته .

---

(١) انظر إيراد هذه الشبهة في التمهيد للباقلاني ص / ٥٠ والمواقف في علم الكلام للإيجي ص / ٣٣١ وشرح المقاصد للفتازاني ٤ / ٣٠١ .

(٢) انظر: رسالة: الإرادة والأمر لشيخ الإسلام ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ١ / ٣٧٩ – ٣٨١ . وشفاء العليل لابن القيم ص ٣٤٩ وانظر ما تقدم ص / ٢٠٣ – ٢٠٤ .

## الشبهة الثانية :

قال الباقلاني : « لو كان تعالى فاعلاً للعالم لعله أوجبه لم تخل تلك العلة من أن تكون قديمة أو محدثة ، فإن كانت قديمة وجب قدم العالم لقدم علته وألا يكون بين العلة القديمة وبين وجود العالم إلا مقدار زمان الإيجاد ، وذلك يوجب حدوث القديم ، لأن ما لم يكن قبل المحدث إلا بزمان أو أزمنة محدودة وجب حدوثه ، لأن فائدة توقيت وجود الشيء هو أنه كان معدوماً قبل تلك الحال ، فلما لم يجر حدوث القديم لم يجر أن يكون العالم محدثاً لعله قديمة . وإن كانت تلك العلة مُحدثة فلا يخلوا مُحدثها أن يكون أحدثها لعله ، أو لا لعله ، فإن كانت مُحدثة لعله وعلتها مُحدثة وجب أن تكون علة العلة مُحدثة لعله أخرى وكذلك أبداً إلى غير غاية ، وذلك يحيل وجود العالم جملة لتعلقه بما يستحيل فعله وخروجه إلى الوجود . وإن كانت العلة والخاطر والداعي والباعث والمحرك مُحدثة لا لعله ، وكانت بالوجود لما وجدت من فاعلها أولى منها بالعدم لا لعله ، وكان فاعلها حكيماً غير سفيه جاز حدوث سائر الحوادث منه لا لعله وكان حكيماً غير سفيه ... » (١)

والجواب من وجوه :

الوجه الأول : - قوله « فإن كانت قديمة وجب قدم العالم لقدم علته » ينتقض بصفة الإرادة ، فالأشعرية يقرون بقدمها مع قولهم بحدوث المراد ، فلما لم يلزم من القول بقدم الإرادة قدم المراد لم يلزم من قدم الحكمة قدم الفعل - أي المفعول - . (٢)

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص / ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم ص / ٣٥٣ .

الوجه الثاني : وهو عن لزوم التسلسل إذا قيل إن العلة مُحدثة ، وهي مُحدثة لعلّة وهكذا ...

وجوابه ، إن هذا التسلسل الصحيح أنه في المستقبل ، لأن الحكمة من الفعل تحصل عقبه وإن كانت مُقدّمة عليه في التصور ، ولا شك أن التسلسل في الآثار المستقبلية جائز بل واقع كما هو الحال في نعيم الجنة وعذاب النار الدائمين ، وهذا مما يسلم به الأشعرية فيلزم أن يسلموا به في الحكمة ، وعليه فقولهم : « وجب أن تكون علة العلة محدثة لعلّة أخرى ... » قول ممنوع ، وهو وارد على تعليل العلل ، أي إذا فعل فعلاً لعلّة فما هي علة هذه العلة وهكذا ... فإننا نقول : الحكمة التي ذكروها هي التي يعود حكمها إلى الرب ، وكل الحكم تعود إلى حكمة لا حكمة فوقها « فالمفعول لأجله مراد للفاعل محبوب له ، والمراد المحبوب تارة يكون مراداً لنفسه وتارة يكون مراداً لغيره ، والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى المراد لنفسه قطعاً للتسلسل ، وهذا كما نقوله في خلقه بالأسباب : إنه يخلق كذا بسبب كذا ، وكذا بسبب كذا حتى ينتهي الأمر إلى أسباب لا سبب لها سوى مشيئة الرب ، فكذلك يخلق لحكمة ، وتلك الحكمة لحكمة حتى ينتهي الأمر إلى حكمة لا حكمة فوقها » (١)

الوجه الثالث :- وهو عن لزوم القول بوجود مُحدث أحدث ابتداءً لا لعلّة ، ومن ثم لزوم نفي العلل كلها ؛ وهو في قوله : « وإن كانت العلة والخاطر والداعي ... إلخ » فالجواب : إننا قد قدمنا في الوجه الثاني أن الحكم تنتهي إلى حكمة لا

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ص ٣٥٣ ، وانظر منهاج السنة النبوية ١ / ١٤٥ - ١٤٧ - ورسالة الإرادة والأمر ضمن الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

حكمة فوقها ، ولم نسلم بأنه لا توجد حكمة تعود إليها كل الحكم ، ولذلك فهذا الاحتمال - وهو قوله : « محدثة لا لعة » - احتمال غير وارد ولا نسلم به ، مع ملاحظة أن استعمال ما جاء به الشرع من لفظ الحكمة هو الصحيح ، ولا يجوز التعبير بما يوهم باطلاً كالمحرك والباعث والخاطر ...

ثم إن قوله : « جاز حدوث سائر الحوادث منه لا لعة » فكلام مبني على توهم وجود فعل خلا من الحكمة وقد منعناه ، مع ملاحظة أن دعواه أعم من دليله ، فهو قد جوز خلو الأفعال من الحكم بناءً على نفي علة العلة الأولى للفعل ، فما ذكره فيه سلب العموم لا عموم السلب ، كيف وقد بينا سابقاً أن الحكم كلها تعود إلى حكمة لا حكمة فوقها فدليله من أساسه منهار ، ومع انهياره فهو لا يدل على ما ادعاه .

### الشبهة الثالثة (١) :

قالوا : لو كان شيء من الممكنات غرضاً لفعل الباري لما كان ذلك الممكن حاصلاً بخلق الله ابتداءً ، وإنما بتوسط الغرض ، والغرض هو إيصال اللذة إلى العبد أو دفع الألم عنه ، وقد علم إجماعاً أن الله قادر على إيجادها ابتداءً فيكون إثبات هذه الوسائط عبثاً ينزه الله عنه .

### الجواب :

لا نسلم أن الحكمة منحصرة في الشيئين المذكورين فقط - لأن هذه الحكمة

---

(١) انظر المواقف للإيجي ص/ ٣٣٢ وشرح المقاصد ٤/ ٣٠٢ .

راجعة إلى المخلوق ، ونحن نثبت حكمة أخرى - غير هذه معها - يعود حكمها إلى الله من حيث إنه يحبها ويرضاها ، كما أننا ننكر تسمية الحكمة بالغرض - وعلى فرض التسليم - بحصر الحكمة فيما ذكره - فإن غاية هذه الشبهة هو أن الله قادر على تحصيل الحكمة بدون هذه الوسائط وقادر على تحصيلها بها ، والعدول عن أحد المقدورين إلى الآخر لا يسمى عبثاً إلا إذا كان المعدول إليه مساوياً للآخر من كل وجه أو كان دونه ، وهذا ما لا يمكن إثباته ، بل الشرع والعقل بخلافه ، فإنه لا يمكن أحداً أن يقول مثلاً : إرسال الرسل وعدم إرسالهم سواء ، ومعلوم أن الشيء يكون عبثاً إذا كان لا فائدة منه ، أما إذا كان وجود الوسيط سبباً أو شرطاً لحصول شيء لم يكن وجوده عبثاً كوجود آلات الإحساس التي هي شرط لتحصيل الحس ، ولا يقول عاقل إن وجودها عبث ، فإن وجودها ضروري ، وما قال أحد بالعبث في إيجادها ، فكذلك يقال في بقية الحكم المعلوم وغير المعلوم لنا <sup>(١)</sup> .

#### الشبهة الرابعة <sup>(٢)</sup> :

قالوا : لو كانت أفعاله معللة بالأغراض والحكم ما خلا فعل منها ، والمشاهد خلو بعضها عن ذلك ، كإيلاء الأطفال وخلق الشرور والكفر .

الجواب :

لما أثبت أهل السنة الحكمة لم يدعوا علمهم بكل حكمة ، وما أورده الأشاعرة غاية ما فيه : عدم علمهم بالحكمة فيما ذكره ، وعدم العلم بالحكمة لا

(١) انظر شفاء العليل ص / ٣٥٨ - ٣٥٩ ، وانظر عن نوعي الحكمة ما تقدم ص / ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) انظر المواقف للإيجي ص / ٣٣٢ وشرح المقاصد للتفتازاني ٤ / ٣٠١ - ٣٠٢ .

يعني عدمها - وهو واضح - وتام الإجابة على هذه الشبهة هو بالعلم بأن أفعال الله كلها خير ، وكل خير فإنه داخل في أسماء الله وصفاته ومفعولاته بالذات وبالقصد الأول ، والشر لا يدخل في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ، فهو إنما يدخل في مفعولاته بالعرض لا بالذات ، وبالقصد الثاني لا الأول دخولاً إضافياً ، وهذا مثل إنزال المطر والثلج وتصريف الرياح والشمس ، فهذه كلها خيرات في نفسها وفيها حكم ومصالح وإن كانت شراً نسبياً إضافياً في حق من تضرر بها <sup>(١)</sup> .

ويلاحظ أن الأشاعرة قد استعملوا لفظ ( الغرض ) مكان ( الحكمة ) وهذا الاستعمال غير صحيح لإيهامه الباطل ، ثم إن ما ذكر من الأدلة الدالة على إثبات الحكمة لله تعالى كثيرة لا يمكن دفعها ، وقد تقدم ذكر شيء منها <sup>(٢)</sup> ، وبمعرفتها والتيقن منها تزول الشبهات الواردة من نفاتها ، إذ لا قرار للشبهات مع الحق المتيقن الثابت .

### الإزامات على نفاة الحكمة : <sup>(٣)</sup>

١ - من المعلوم أن الله يستحق الحمد بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فالله له الحمد على جميع ما خلقه ويخلقه لما له فيه من الحكم والغايات المحمودة

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة ١ / ٢١٨ - ٢٢٣ وشفاء العليل ص / ٣٦٥ وطريق الهجرتين ص / ٢٣٨ - ٢٤٤ . وانظر كلام الغزالي في المقصد الأسنى ص / ٦٤ - ٦٦ عند شرحه لاسمي ( الرحمن الرحيم ) وجوابه عن الشبهة .

(٢) انظر ص / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(٣) انظر هذه الإزامات في طريق الهجرتين ص / ٢٠٨ - ٢٠٩ .

المقصودة بالفعل ، فيلزم من نفي الحكمة أن يُنفي الحمد معها ، إذ الحمد من لوازم الحكمة ، والحكمة إنما تكون في حق من يفعل شيئاً لأجل شيء ، وعندهم أن الله بخلقه ما ينفع العباد أراد مجرد وجوده لانفعهم ، فكيف يُحمد على أصلهم على فعل ليست له فيه حكمة - وهي منفعة العباد - ! ويتبين هذا بضرب مثال في فعل العدل وترك الظلم .

فالله تعالى حمد نفسه على فعل العدل وترك الظلم ، وعباده المؤمنون يحمدونه على ذلك ، وهذه من الحكم ، أما الأشاعرة الذين يفسرون الظلم بأنه الممتنع الذي لا يدخل تحت المقدور فيقال لهم :

من المعلوم أنه لا يُمدح المدح بترك ما لو أراد له لم يقدر عليه ، وعندكم أن الظلم لا يقدر الله عليه فأي مدح له على شيء لم يفعله لعدم قدرته عليه ؟

ونحن نقول : إن الله قادر عليه إلا أنه لا يفعله لتمام حكمته وعدله ورحمته سبحانه وتعالى ، ومما يدل على قدرته عليه قوله في الحديث القدسي : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » <sup>(١)</sup> ، فقوله : « وجعلته بينكم محرماً » يدل على أنه ظلم مقدور يستحق تاركه الحمد والثناء .

٢- من اعتمد منهم إثبات العلل والمصالح في الأحكام الشرعية يقال له : لم فرقت بين إثبات العلل والحكم في أحكامه وبين إثباتها في أفعاله ؟ ولن يجد لذلك جواباً فيما أن يلتزم نفي الجميع فيكون الرد عليه بما تقدم ، وإما أن يلتزم إثبات الجميع وهو الحق .

---

(١) أخرجه مسلم وقد تقدم تخريجه ص / ٢٥٤ .

٣- قالوا في دليل إثبات العلم لله بالعقل : « الله تعالى فاعل فعلاً متقناً محكماً بالقصد والاختيار ، وكل من كان كذلك وجب له العلم »<sup>(١)</sup> .

فيقال لهم : قد استدللتم على إثبات علم الرب بما في مخلوقاته من الإحكام والإتقان بشرط قصد ذلك ، فأنبئتم له قصداً ، ونحن نقول إنه قصد حكمة أرادها من خلقه ، فأنبئتم قصده في العلم ونفيتها في الحكمة ، وكان اللازم إثباتهما حتى لا يحدث اضطراب وتناقض ، وإلا لزم من نفي الحكمة نفي العلم . والصواب إثبات القصد في العلم والحكمة . فمن نفاه في الحكمة وأثبتته في العلم كان متناقضاً .

---

(٢) تحفة المريد ص / ٦٩ .



### المسألة الثالثة

#### التحسين والتقييح العقليان عند الأشاعرة

يرى الأشاعرة أن القبيح ما نهى عنه الشارع والحسن بضده ، فلا حكم إذاً للعقل في حسن الأشياء وقبحها ، وأنه ليس ذلك عائداً إلى أمر حقيقي في الفعل ، فالشارع مثبت ومبين للحسن والقبح بأمره أو نهيه <sup>(١)</sup> .

ولهم طرق لإثبات زعمهم هذا ، منها ما صرح بعضهم بضعه <sup>(٢)</sup> ، ومنها ما اتفقوا على قوته ، والمقصود إيراد ما اتفقوا عليه من الطرق :

الدليل الأول : قال الإيجي : « إن العبد مجبور في أفعاله ، وإذا كان كذلك لم يحكم العقل فيها بحسن ولا قبح اتفاقاً . بيانه : إن العبد إن لم يتمكن من الترك فذلك هو الجبر ، وإن تمكن ولم يتوقف على مرجح بل صدر عنه تارة ولم يصدر عنه أخرى من غير سبب كان ذلك اتفاقياً ، وإن توقف على مرجح لم يكن ذلك من العبد ، وإلا تسلسل ووجب الفعل عنده ، وإلا جاز معه الفعل والترك فاحتاج إلى مرجح آخر وتسلسل ، فيكون اضطرارياً ، وعلى التقادير فلا اختيار للعبد فيكون مجبوراً » <sup>(٣)</sup>

---

(١) انظر المواقف للإيجي ص ٣٢٣ وشرح المقاصد ٢٨٢/٤ .

(٢) انظر المواقف للإيجي ص ٣٢٥-٣٢٦ وشرح المقاصد ٢٨٤/٤ .

(٣) المواقف للإيجي ص ٣٢٤ .

## والجواب من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إن هذا التقسيم باطل مخالف للشرع والعقل والحس ، لأنه يلزم منه التسوية بين الفعل الاضطراري والفعل الاختياري ، وهذا خلاف ما تقضي به الضرورة <sup>(١)</sup> .

الوجه الثاني : إن الإيجي سلم بأن الفعلين الاتفاقي والاضطراري لا يكونان حسنين ولا قبيحين عقلاً ، فيقال له : يلزم من هذا التقسيم إبطال الحسن والقبح الشرعيين كذلك ، لأن فعل العبد لا يخلو من أن يكون ضرورياً أو اتفاقياً <sup>(٢)</sup> .

الوجه الثالث : ثم إن هذا التقسيم يعلم الأشاعرة بطلانه ، فهم يقولون عن الفعل الواقع بلا مرجح : إنه اختياري ، وعن فعل المكلف الواجب وإن لم يقع بقدرة مؤثرة منه فيه : إنه لا يخرج عن كونه اختياريّاً ! فكان الواجب إذاً عدم إيراد هذه الحجة ، فإن قالوا هي إلزامية - فجوابهم : إننا لا نلتزم بشيء مما ذكره فلا يرد إذاً هذا الإلزام الذي ذكره .

الدليلي الثاني : قالوا : إن الكذب لو كان قبيحاً لذاته لوجب أن يكون كذلك في كل صورة - كالكذب لإنجاء نبي ، ومعلوم أن الكذب هنا واجب فلزم أن يكون حسناً ، ومثل ما قيل في قول الكذب ، كذلك يقال في الفعل كالقتل فإنه قد يكون حسناً كالقصاص ، وقد يكون قبيحاً إذا كان ظلماً ، فلزم من هذا أنه لا حسن ولا قبيح ذاتيين يدركهما العقل <sup>(٣)</sup> .

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٥ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص ١٠١ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) انظر المواقف للإيجي ص ٣٢٥ وشرح المقاصد للتفتازاني ٤/ ٢٨٥ .

## والجواب :

إن المراد من كون الفعل حسناً أو قبيحاً لذاته أو لصفته هو كونه منشأً للمصلحة والمفسدة ، وترتب المصلحة والمفسدة على الفعل كترتب المسببات على أسبابها المقتضية لها <sup>(١)</sup> ، وقد علم سابقاً أنه لا بد من وجود شروط وانتفاء موانع لاقتضاء الأسباب لمسبباتها <sup>(٢)</sup> ، فإذا تخلف شرط أو وجد مانع ما نتج شيء ، فكذلك يقال هنا ، إن الكذب قبيح ولكن وجد مانع هنا من الحكم بقبحه في حالة معينة وهو المصلحة الراجعة ، وهكذا يقال في الفعل وهو القتل هنا <sup>(٣)</sup> .

وللإشاعة أدلة أخرى لنفي التحسين والتقبيح العقليين أقر المتأخرون منهم بضعفها ، وآثرت ذكر واحد منها لأن له تعلقاً بأفعال الله ، وقد يكون هو من أكبر الشبهات الحاملة لهم على نفي الحسن والقبح لذات الفعل أو لوصفه ١ ، وهو :

**الدليل الثالث :** قالوا لو كان حسن الفعل وقبحه لذاته أو لصفاته للزم أن يكون الباري غير مختار في الحكم!

وبيانه : أن الفعل لا بد له من حكم شرعي ، وهذا الحكم الشرعي إما أن يكون موافقاً للحسن لذاته المعلوم بالعقل أو مخالفاً له ، والثاني باطل بصريح العقل لكونه لا يليق بالله تعالى ، والأول يلزم منه أنه يتعين على الباري الحكم عليه بحسب المعقول ولا يصح تركه وهذا يتنافي الاختيار <sup>(٤)</sup> .

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٨ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص / ١٠٢ .

(٢) انظر ص / ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٧ والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص / ١٠٢ .

(٤) انظر شرح المقاصد للفتاواني ٤/ ٢٨٨ .

## والجواب من وجهين :

**الأول :** ما ادعوه من أن حكم الله إذا تعلق بالشيء لكونه حسناً لذاته ينافي الاختيار تلبيس ، فإنه لم يتعلق بخلافه - وهو القبيح - لصارف الحكمة ، مع أنه قادر عليه ، والامتناع لصارف الحكمة لا ينافي الاختيار ، كيف والواقع أن إرادته واختياره اقتضت استلزام الحكم للحسن لذاته <sup>(١)</sup> .

**الوجه الثاني :** إن الأشاعرة يقولون إن خطاب الله - وهو حكمه - قديم لأنه كلام نفسي أزلي فكيف على أصلهم يكون الاختيار ، وهكذا يقال في أفعاله التي تعلقت بها القدرة والإرادة تعلقاً صلوحياً أزلياً ، فهل يقال على أصلهم هذا : يلزم ألا يكون فعله اختيارياً ؟ فما كان جواباً لهم على هذا كان جواباً لنا على شبهتهم <sup>(٢)</sup> . والصواب أن جميع ذلك تعلق به اختياره وإرادته فلا يكون اضطرارياً .

ومع كل ما تقدم فإن الله تعالى لا يوجب عليه أحد شيئاً ، وإنما الله تعالى هو الذي يوجب على نفسه بوعده الصادق وبما له من الأسماء الحسنى والمحامد العظيمة ، ولا يجوز إيجاب شيء أو تحريمه على الخالق بالقياس على خلقه <sup>(٣)</sup>

ثم إن بعض الأشاعرة حاول أن يقرب الشقة فذكر بأن الحسن والقبح يردان

لثلاثة معان :

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٨ وشرح المقاصد ٤/ ٢٨٨ .

(٢) انظر شرح المقاصد ٤/ ٢٨٨ ومفتاح دار السعادة ٢/ ٣٨ .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٧٧٦-٧٧٧ .

الاول : صفة الكمال والنقص فيقال : العلم حسن والجهل قبيح .  
الثاني : ملاءمة الغرض ومنافرتة - أو بتعبير آخر : - المصلحة والمفسدة ،  
ويختلفان بالاعتبار .

الثالث : تعلق المدح والثواب أو الذم والعقاب .

قالوا : فالأولان عقليان ، والثالث شرعي فقط ، وهذا هو محل النزاع <sup>(١)</sup> .

### والتعليق :

هذا التقسيم صحيح ، ولكن أن يقال : محل النزاع في الثالث فقط ، فكلام  
يشك فيه ، إذ لو كان كذلك فلمَ أوردوا تلك الشبهات لنفي الحسن والقبح لذات  
الفعل ؟ ، فالذي يظهر أن محل النزاع هو : « هل الفعل نفسه مشتمل على صفة  
اقتضت حسنه وقبحه بحيث ينشأ الحسن والقبح منه ، فيكون منشأ لهما أم  
لا؟ » <sup>(٢)</sup> ، أما محل النزاع الذي ذكروه فإنه مع المعتزلة فقط . وكذلك يمكن اعتبار  
قائل محرر النزاع تاركاً لقول القدماء الذين غلوا في نفي تحسين العقل وتقبيحه .

---

(١) انظر المواقف في علم الكلام ص / ٣٢٣ - ٣٢٤ .

(٢) قاله ابن القيم في مدارج السالكين ١ / ٢٤٦ .

## المسألة الرابعة

### الأسباب والمسببات عند الأشاعرة وعلاقتها بأفعال الله

الأشاعرة يثبتون وجود تلازم عادي بين الأسباب والمسببات، بمعنى أن المسببات تحدث عند الأسباب لا بها، فمثلاً إذا لاقت النار شيئاً قابلاً للاحتراق فاحترق، فيقولون إن الاحتراق لم يكن بسبب النار، فهي لم تؤثر شيئاً، وإنما المؤثر هو الله وحده ! ، وقالوا هذا القول لأمرين:

الأول : إثبات تأثير الأسباب في مسبباتها يفضي إلى القول بوجود شريك مع الله يؤثر في الأفعال ، والله عز وجل هو المؤثر وحده <sup>(١)</sup> !

الثاني : إن إثبات التلازم بين الأسباب والمسببات يفضي إلى إنكار النبوات الثابتة بمعجزات الرسل، وهي خوارق مخالفة للعادة، فلو وجد التلازم بين الأسباب والمسببات لما صح تخلف هذا التلازم، وهذا يؤدي إلى إنكار النبوات <sup>(٢)</sup>.

فالجواب : إن القرآن مملوء بذكر الأسباب وربطها بمسبباتها ، وقد تقدمت الأدلة على ذلك في الفصل الخاص بأهل السنة والجماعة <sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر تحفة المريد ص ٩٨-٩٩ والسلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي !! . للبوطي ص ١٧٥ .

(٢) انظر تحفة المريد ص / ٩٨-٩٩ .

(٣) انظر ص / ٢٦٦-٢٦٧ .

وأما الجواب عن الأمر الأول الذي ذكروه فإنه لا يلزم ذلك ، لأن أهل السنة عندما قالوا ذلك ، شرطوا وجود المعاون المشارك ، وانتفاء الموانع ، وربط ذلك بمشيئة الله ، مع القول بأن الأسباب والمسببات مخلوقة لله تعالى فلا يتوجه إليهم هذا المحذور .

وأما جواب الأمر الثاني ، فإن أهل السنةذكروا بأن الأسباب خلق لله تعالى تتعلق بها مشيئته وقدرته ، فلو شاء ألا تؤثر ما أثرت ، ولذلك فإن قول الأشاعرة: لو وجد التلازم بين الأسباب والمسببات لما صح تخلف هذا التلازم ، قول ليس بلازم ولا صحيح ، وقد مضى ذكر الأدلة الدالة على وجود هذا التخلف إذا شاء الله <sup>(١)</sup> ، وإنه ليسأوها عند إثبات النبوات وغير ذلك ، فلا ينسد طريق إثبات النبوات .

ولو قلب شخص عليهم استدلالهم لكان أقرب من إيرادهم وهو: لو كان التلازم عادياً فما وجه إفادة آيات الأنبياء للتعجيز ١٩.

---

(١) انظر ص / ٢٦٤ - ٢٦٥ .

## المسألة الخامسة

### أفعال العباد عند الأشاعرة

وافق الأشاعرة أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد الاختيارية والاضطرابية فقالوا: إنها مخلوقة لله تعالى، ولم تختلف عباراتهم في ذلك.

قال صاحب الجوهرة:

فَخَالَقَ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلَ مَوْفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ<sup>(١)</sup>

وأقاموا الأدلة النقلية والعقلية على صحة هذا القول.

ولكنهم خالفوا أهل السنة في بعض فروع هذه المسألة، ومن ذلك: هل العبد فاعل لفعله حقيقة أو لا ؟

فالأشعرية نسبوا فعل الإنسان الاختياري إليه كسباً لا خلقاً، وهذا صحيح، ولكنهم اضطربوا في هذا الكسب الذي أثبتوه للعبد واختلفت عباراتهم فيه.

والتفسير المستقر عندهم الآن هو كما قال شارح أم البراهين: « والكسب مقارنة القدرة الحادثة للفعل من غير تأثير »<sup>(٢)</sup>.

---

(١) جوهرة التوحيد للقاني مع شرحها تحفة المريد ص / ٩٩.

(٢) شرح أم البراهين ص / ٤٥.



وحاولوا بهذا التفسير التوسط بين الجبرية والمعتزلة، فقالوا بالكسب فراراً من قول الجبرية ، وزعموا أنهم بهذا الكسب يثبتون للعبد اختياراً ١ ، وقالوا بعدم تأثير قدرة العبد الحادثة في الفعل فراراً من قول المعتزلة وتحقيقاً تاماً لوحداية الأفعال فلا مؤثر إلا الله وحده ، ولا يوجد تأثير للأسباب في مسبباتها !! .

### المناقشة :

الأول : تفسيرهم الكسب بالاقتران مخالف للغة العرب واستعمال القرآن الكريم ، فهو في اللغة بمعنى الطلب والجمع <sup>(١)</sup> ، وهو في القرآن لم يخرج عن هذا المعنى ، فمن ذلك قول الله تعالى : ﴿ أنفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وهو يستعمل في فعل الصالحات والسيئات <sup>(٣)</sup> ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ <sup>(٤)</sup> ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ <sup>(٥)</sup> ومن الآيات التي تجمع بينهما قوله تعالى : ﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ <sup>(٦)</sup> .

فظهر مما تقدم أن الكسب يرجع إلى ما يكسبه الإنسان من عمل القلب أو عمل الجوارح وهو المعبر عنه بالاجترار والعمل، وظهر أن تفسير الأشعرية للكسب بالمقارنة قول لم يسبقوا إليه <sup>(٧)</sup> .

(١) انظر القاموس المحيط ص / ١٦٧ . مادة (كسب)

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٧ .

(٣) انظر مفردات الفاظ القرآن للراغب ص / ٧٠٩ - ٧١٠ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١٥٨ .

(٥) سورة البقرة الآية : ٧٩ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ١٦١ .

(٧) انظر الشرح الجديد على جوهر التوحيد للعدوي ص / ٧٩ .

الثاني : إثباتهم قدرة للعبد غير مؤثرة فراراً من القول بأن ذلك يفضي إلى إثبات مؤثر غير الله تعالى ، فيستلزم القول بأن أفعال العباد مخلوقة لهم بقدرتهم قول تبين ضعفه <sup>(١)</sup> فإنه إذا تبين أن الله قد خلق العبد وخلق صفاته التي بها يقع الفعل من القدرة والإرادة وهما من أسباب العمل ، وخلق أيضاً عمله على وفق سنته من تأثير الأسباب في مسبباتها - على حسب ما تم تفصيله <sup>(٢)</sup> - فلا حرج بعد ذلك ، ولا يلزم أن تكون الأسباب هي الخالقة للفعل .

الثالث : إن بناء التكليف على هذه المقارنة غير معقول وينتهي إلى القول بتكليف العاجز، وهذا هو الذي دفع الإيجي إلى وصف الأشعرية بأنهم مجبرة متوسطة <sup>(٣)</sup> ، ودفع التفتازاني إلى أن يقول : « فالإنسان مضطر في صورة المختار » <sup>(٤)</sup> ، وقال الرازي بعد أن أورد إشكالات على كسب الأشعري : « وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمى » <sup>(٥)</sup>

الرابع : إثبات مقارنة القدرة الحادثة للفعل قول عند التحقيق قصد به مخالفة الجبرية وهو ليس بشيء ، كما تقدم في الفقرة السابقة ، إذ يقال لهم : ما الداعي لذكرها إذا كانت لا تؤثر ؟ ، وما المزية لها في الذكر إذا كانت لا تؤثر في الفعل ؟ . فإن قولكم : الفعل يقارن القدرة الحادثة قول لا طائل تحته إذ يمكن أن

(١) انظر ص / ٢٦٣ ، ٣٤٤ .

(٢) انظر ص / ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) انظر المواقف في علم الكلام ص / ٤٢٨ ، وانظر ما تقدم في ص / ٢٨

(٤) شرح المقاصد للتفتازاني ٤ / ٢٦٣ . وانظر التنبيه ص / ١١ .

(٥) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص / ٢٨٨ .

نقول : إنه يقارن العلم والسمع والبصر الحادث وغير ذلك من الصفات ... فصار بهذا ذكرهم للقدرة لامتني له وهو مجرد تمويه (١).

وقد تنازع الأشعرية في معنى قدرة العبد على الطاعة. فقال الأشعري: هي العرض المقارن للطاعة. وهذا فيما حكاه عنه الأشاعرة. وقال إمام الحرمين: هي سلامة الأسباب والآلات (٢).

وأورد على كلام الأشعري الإلزام الذي تقدم، وهو أنه يلزم من هذا تكليف العاجز، لأن التكليف على قوله واقع قبل إقداره على العمل.

وأجيب عن هذا الإيراد بجوابين بناء على أن العرض هل يبقى زمانين أو لا ؟ فعلى قول الأشعري: إن العرض لا يبقى زمانين:

فالجواب: إن العبد قادر بالقوة لما اتصف به من سلامة الأسباب والآلات. وهي التي عليها اعتبار التكليف. وعلى القول بأن العرض يبقى زمانين فإنه لا مانع من تقدم القدرة على الطاعة (٣)، ولكن ما زال الإشكال باقياً عليه في عدم فائدة هذه القدرة غير المؤثرة!

وأما تفسير إمام الحرمين فأورد عليه: أن الكافر أيضاً يكون قادراً بهذا الاعتبار على الطاعة، فاحتاجوا إلى إدخال جملة أخرى تكون قيداً لكلامه وهي:

---

(١) انظر الشرح الجديد لجوهرة التوحيد للعدوي ص / ٨٠.

(٢) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص / ١٠٠.

(٣) انظر المرجع السابق.

( وتسهيل سبيل الخير إليه ) وبهذا يخرج الكافر <sup>(١)</sup> . مع ملاحظة أمرين :

الأول : إن إمام الحرمين نص على مسألة تسهيل سبيل الخير في رسالته النظامية <sup>(٢)</sup> .

الثاني : إن إمام الحرمين أثبت قدرة للعبد مؤثرة في مقدورها <sup>(٣)</sup> .

ولكي يكون هذا القول صواباً لأبد من تفسير التأثير تفسيراً صحيحاً وهو : أن خروج الفعل من العدم إلى الوجود كان بتوسط القدرة المحدثه لا أنها منفردة بالإيجاد سواء كان في صفة الفعل أو ذاته . ومع هذا فما خلقه الله فعلاً للعبد كان العبد هو الفاعل له حقيقة ، لأنه قائم به ، والشيء إنما يوصف به من قام به <sup>(٤)</sup> .

---

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص / ١٠٠

(٢) انظر الرسالة النظامية ص / ٥٢ .

(٣) انظر الرسالة النظامية ص / ٤٣ - ٥٠ .

(٤) انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٨ / ٣٨٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ .

## المبحث الثاني

### منهج الأشاعرة في أدلة إثبات الربوبية

وهذا المبحث فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : منزلة الأدلة السمعية من الاستدلال لإثبات الربوبية

عند الأشاعرة .

المطلب الثاني : دليل إثبات وجود الله عند الأشاعرة .

المطلب الثالث : دليل إثبات وحدانية الله عند الأشاعرة .

## المطلب الأول

### منزلة الأدلة السمعية من الاستدلال لإثبات الربوبية عند الأشاعرة.

ذكر الأشاعرة بأن ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الله وإثبات النبوة فإنه لا يصلح إثباته بدليل النقل لما يلزم من الدور ، ولذلك فإنه لا يثبت إلا بالدليل العقلي <sup>(١)</sup>.

وأما إثبات كونه واحداً فيرى كثير منهم أنه يمكن بالدليل العقلي والنقلي ، أما العقلي فواضح ، وأما الدليل السمعي :- فكإجماع الأنبياء على الدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك ، وكالنصوص القطعية من الكتاب الدالة على ذلك - فإنه لا يتوقف على الوجدانية <sup>(٢)</sup>.

#### المنافشة :

إن هذا الترتيب الذي ذكره للأدلة مبني على أن معرفة الله ليست فطرية - وقد علم ما في هذا الكلام من الخطأ - وستأتي مناقشتهم واعتراف بعضهم وتسليمهم بأن المعرفة فطرية إن شاء الله تعالى <sup>(٣)</sup>.

ثم إن تأخيرهم لرتبة الدليل السمعي مبني على أنه دليل خبري صادق فقط

---

(١) انظر : على سبيل المثال المواقف للإيجي ص / ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص : ٤٠ - وشرح المقاصد ٤ / ٣٤-٣٨ .

(٣) انظر : ص : ٣٦٠ وص : ٦٥٣ ، وانظر ص / ٣١٧ .

ليس مشتملاً على براهين وحجج عقلية - وهذا خطأ ، فإن الله حكم بأن الكتاب الذي أنزله مشتمل على البرهان فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِيناً ﴾ <sup>(١)</sup> - وسيأتي بيان أكثر من هذا في موضعه إن شاء الله تعالى . <sup>(٢)</sup>

ثم إن تفريقهم بين إثبات الوجود وبين الوجدانية - فيجوز الاستدلال بالدليل السمعي في الثاني دون الأول - تفريق غير دقيق ، فكما أن إجماع الأنبياء على أنهم مرسلون من عند الله وإجماعهم على وحدانيته دال على إثبات الوجدانية فهو أدل على إثبات الوجود ، ذلك لأن الفطرة - كما تقدم - <sup>(٣)</sup> فيها استعداد لمعرفة الله فإذا جاءها الدليل السمعي حصل لها التنبيه والتيقظ ، وأيضاً فإن معجزات الأنبياء آيات بينات ، فإذا شاهدها المنكر والمتغير في فطرته أو بلغته بطريق قطعي حصل له العلم بوحدانية المرسل التي هي فرع إثبات وجوده ، فحصول العلم بالوجدانية متضمن للعلم بالوجود .

---

(١) سورة النساء الآية : ١٧٤ .

(٢) انظر : ص : ٤٣٤ - ٤٤٢ ، و ص / ٦٢٦ - ٦٢٩ .

(٣) انظر : ص : ٢٨٠ - ٢٨٨ .

## المطلب الثاني

### دليل إثبات وجود الله عند الأشاعرة.

أشهر دليل عند الأشاعرة هو دليل الحدوث ، وإن كان يوجد فيهم من سلك مسالك أخرى لإثبات وجود الله ، ولكن لما كان دليلهم الذي سار عليه متقدموهم ومتأخروهم هو دليل الحدوث فإنه الذي سار كز عليه - إن شاء الله تعالى .

وهذا الدليل ينبنى على مقدمتين ، وكل واحدة من المقدمتين يشترط إقامة أدلة على صحتها حتى تنتج المقدمتان نتيجة صحيحة .  
أما المقدمتان فهما :

الأولى : العالم حادث .

الثانية : كل حادث لابد له من مُحدث .

والنتيجة بعد إثبات صحة المقدمتين : العالم لابد له من مُحدث أحدثه ، وهو الله سبحانه وتعالى .

فأما إثبات حدوث العالم فيستند إلى إثبات خمسة أمور وهي : <sup>(١)</sup>

الأول : إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر .

الثاني : إثبات حدوث الأعراض .

الثالث : إثبات استحالة تخلي الجواهر عن الأعراض .

الرابع : إثبات امتناع جوادث لا أول لها .

---

(١) انظر: الإرشاد للجويني : ص / ٤٠ ويعرف الجواهر بأنه : المتحيز ، وكل ذي حجم متحيز ،

وأما العرض فهو المعنى القائم بالجواهر . وانظر : نهاية الإقدام للشهرستاني ص / ١١ .



الخامس : إثبات أن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

وأما إثبات صحة المقدمة الثانية : ( كل حادث لابد له من مُحدث ) فلا بد لها من دليل يدل على صحتها ، فهي من القضايا النظرية لا الضرورية كسابقها .  
وسياتي دليل صحتها عند بيان طريقة إثبات صحة المقدمتين – إن شاء الله تعالى .

طريقة إثبات صحة المقدمتين :

المقدمة الأولى : إثبات حدوث العالم :

والمراد بالعالم : الجواهر والأعراض ، وهذا اصطلاح اصطلح عليه المتكلمون ولم يكن معروفاً عند سلف الأمة ، وفي ذلك يقول الجويني : « العالم عند سلف الأمة : عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى ، وعند خلف الأمة : عبارة عن الجواهر والأعراض » .<sup>(١)</sup>

وأما الطريقة لإثبات حدوث العالم فهي مبنية على إثبات الأعراض وقيامها بالجواهر وهذا « من أهم الأغراض في إثبات حدث العالم »<sup>(٢)</sup>

واحتاج الأشاعرة إلى إثبات وجود الأعراض لإنكار طوائف من الملاحدة لها وزعمهم أنه لا موجود إلا الجواهر<sup>(٣)</sup> . وفيما يلي عرض للأمور الخمسة التي يستند إليها إثبات حدوث العالم :

---

(١) لمع الأدلة للجويني ص : ٧٦ .

(٢) قاله الجويني في الإرشاد ص / ٤١ .

(٣) انظر المصدر السابق ص / ٤٠ .

١- ودليل إثبات الأعراض: إن الجوهر إذا تحرك بعد سكونه إلى جهة فإنه بالضرورة العقلية يدرك العاقل التفرقة بين حالتي الحركة والسكون لهذا الجوهر وهذه التفرقة إما أن ترجع إلى ذات الجوهر أو إلى معنى زائد على الجوهر، وهل هذه التفرقة معلومة على البديهة؟ هذا ما ذكره الجويني وأقام الدليل على صحتها مع بدايتها فهو باختصار:

إن اختصاص الجوهر بالجهة التي انتقل إليها من الممكنات إذ لا يستحيل تقدير بقاءه في الجهة الأولى، وما دام من الممكنات فإن حكمه جائز ثبوته وجائز انتفاؤه، فلما تخصص بالثبوت افتقر إلى مقتض يقضي له الاختصاص.

وكما تقدم فإن هذا المقتضي إما أن يكون هو الجوهر نفسه أو أمراً زائداً عليه، ويستحيل أن يكون المقتضي هو الجوهر نفسه، إذ لو كان هو نفسه لاستحال عليه الزوال عن جهته الأولى، فإذا ثبت هذا فلا بد أن يكون المقتضي أمراً زائداً، وهذا الأمر الزائد يستحيل أن يكون عدماً أو جوهرًا مثله.

ثم بعد طول مقدمات يصلون إلى نتيجة ثبوت الأعراض وقيامها بالجواهر<sup>(١)</sup>.

٢- ثم أما دليل إثبات حدوث الأعراض، فهو أنه قد ثبت بالملاحظة تعاقب أعراض متضادة على محالها - وهي الجواهر - مثل أن يكون الجوهر ساكناً ثم تطرأ عليه الحركة، فحدوث الحركة مستيقن لأنه طارئ، والسكون حادث لأنه قد عدم فلو كان قديماً لاستحال عدمه.

والغرض من إثبات حدث الأعراض يترتب على أصول منها، إيضاح استحالة

---

(١) انظر المصدر السابق ص / ٤٠ - ٤١ ولع الأدلة للجويني ص / ٧٨.

قيام العرض بنفسه ، واستحالة قيام العرض بالعرض ، واستحالة انتقال العرض ، واستحالة عدم القديم ، وإبطال القول بالكمون والظهور<sup>(١)</sup> .

٣- ثم طريقة إثبات استحالة تخلي الجواهر عن الأعراض هي : أن الجوهر لا يخلو عن كل جنس من الأعراض ، والعرض إما أن يُقدَّر له ضد أو يقدر أنه لا ضد له ، فإن كان له ضد فلا يخلو الجوهر عن أحد الضدين ، فإن قُدِّر عدم وجود ضد له لم يخل الجوهر عن قبول واحد من جنسه . وحكى الجويني اتفاق أهل الحق على ذلك<sup>(٢)</sup> . وذكر أيضاً أنه يعلم ببديهية العقول استحالة تعري الأجسام عن الاتصاف بالسكون أو الحركة - وكلاهما عرض - فدل ذلك على استحالة خلو الجواهر عن الأعراض<sup>(٣)</sup> . أما إذا كان المخاطب بذلك من الملاحظة فإنه يقال له : إنه من المعلوم بالاضطرار أن الجواهر الشاغلة للأحياء لا تخلو عن كونها مجتمعة أو مفترقة ، لأنها لا تعقل غير متماسة ولا متباينة ، وذلك يقضي باستحالة خلوها عن الاجتماع والافتراق ، وكل منهما يستلزم حدوث الآخر ، لأنه إذا قُدِّر الاجتماع أولاً قرر العقل افتراقاً سابقاً ، وإذا طرأ الافتراق دل على سبق الاجتماع<sup>(٤)</sup> .

٤- ثم طريقة إثبات امتناع حوادث لا أول لها هي ببيان بطلان التسلسل ، فالملاحظة يزعمون أن المخلوقات متولدة عن بعضها إلى ما لا نهاية بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله وعلة لما بعده ، وهذا هو التسلسل في المؤثرين

---

(١) انظر الإرشاد ص / ٤١ .

(٢) انظر الإرشاد ص / ٤٤ .

(٣) انظر لمع الأدلة له ص / ٧٩ .

(٤) انظر الإرشاد ص / ٤٥ ولع الأدلة ص / ٧٩

والفاعلين المعلوم بالضرورة العقلية بطلانه ، وسلك الأشاعرة مسالك لإبطاله وإبطال نوع آخر من التسلسل في الماضي في الآثار ، وأشهر برهان سلكوه لإبطال التسلسل هو برهان التطبيق ، ويكون ذلك بفرض سلسلتين : سلسلة من الآن إلى ما لانهاية ، وسلسلة من الطوفان إلى ما لانهاية ، ثم يُطبَّق بينهما ، فكلما طرح من السلسلة الأولى واحد طرح مقابله من السلسلة الثانية واحد أيضاً ، فلا يخلو الأمر من ثلاثة أمور :

الأول : أن يفرغاً معاً - وهو خلاف الفرض - ولأنه يلزم منه مساواة الناقص للزائد .

الثاني : ألا يفرغاً - وهو الفرض في القضية - ولكنه باطل لأنه يلزم منه المساواة بينهما ، وهذا مستحيل لتحقيق الزيادة في أحدهما .

الثالث : أن يفرغ أحدهما دون الآخر - فإذا فرغت السلسلة الثانية لزم أن تفرغ السلسلة الأولى أيضاً - لأن بينهما قدراً متناهياً ، والزائد على شيء بقدر متناه يكون متناهياً أيضاً بالضرورة <sup>(١)</sup> .

وضرب إمام الحرمين الجويني لذلك مثلاً فقال حاكياً له : « مثال إثبات حوادث لا أول لها قول القائل لمن يخاطبه : لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله ديناراً ، ولا أعطيك ديناراً إلا وأعطيك قبله درهماً ، فلا يتصور أن يعطي على حكم شرطه ديناراً ولا درهماً !! » . اهـ <sup>(٢)</sup>

(١) انظر في بيان بطلان التسلسل المواقف للإيجي ص / ٩٠ وشرح المقاصد للتفتازاني ١٢٠ / ٢

- ١٢٢ وأصول الدين الإسلامي - عليان والدوري - ص / ٦٦ .

(٢) الإرشاد للجويني ص / ٤٧ .

٥- ثم إذا ثبتت الأعراض ، وثبت حدوثها وثبت استحالة خلو الجواهر عن الأعراض ، وثبت بطلان كون الحوادث لا أول لها : ترتب على هذا أن الجواهر لا تسبق الحوادث ، وما لا يسبق الحادث فحادث معلوم حدوثه بالضرورة العقلية .

ما مضى كله في إثبات صحة المقدمة الأولى .

ثم يبقى إثبات صحة المقدمة الثانية وهي : « كل حادث لا بد له من مُحدث » .

وطريقة إثبات صحتها هي أن الحادث مسبوق بالعدم قبل وجوده ، فهو ممكن والممكن جائز الوجود والعدم ، وكلاهما أمران متساويان في الجواز ، فلا بد من مُرجح يزجج الوجود على العدم ، وهذا مستبين على الضرورة <sup>(١)</sup> ، ومعلوم بالبدهة أن الشيء لا يوجد نفسه .

ثم إذا وضح افتقار المُحدث إلى مُحدث رجح وجوده على عدمه ، فهذا المُحدث المُخصَّص لا يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة أشياء :-  
الأول : أن يكون بمثابة العلة الموجبة لمعلولها .

الثاني : أن يكون طبيعة .

الثالث : أن يكون فاعلاً مختاراً .

فالأول باطل ، لأن العلة التامة يجب أن يقارنها معلولها ، والعلة إما أن تكون قديمة أو حادثة ، فإن كانت قديمة لزم قدم المعلول - وهو العالم - وقد تقدم برهان حدوثه ، وإن كانت حادثة افتقرت إلى مُحدث مُخصَّص ، وهكذا فيفضي

---

(١) انظر الإرشاد للجويني ص / ٤٩ وأصول الدين الإسلامي - عليان والدوري - ص ٦٧ .

ذلك إلى التسلسل ، وقد تقدم برهان بطلانه .

والثاني : باطل كذلك ، إذ الطبيعة عند مشبتها توجب آثارها إذا ارتفعت  
الموانع ، ثم يفصل معهم القول كما في الأول . وإذا بطل الأول والثاني تعين الثالث  
قطعاً - وهو أن مُحدث العالم فاعل مختار <sup>(١)</sup> .

ولعلماء الأشاعرة أدلة أخرى ساقها الإيجي في المواقف ، واكتفيت بذكر هذا  
الدليل لشهرته بينهم واتفاق متقدميهم ومتأخريهم عليه .

ونسب بعض علماء الأشاعرة الاستدلال بدليل الحدوث لإبراهيم عليه السلام  
فقال : « وكذلك الخليل عليه السلام إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها  
وانتقالها من حالة إلى حالة ، لأنه لما رأى الكوكب قال : ﴿ هذا ربي ﴾ إلى آخر  
الآيات <sup>(٢)</sup> ، فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت على أنها  
كانت مُحدثة مفطورة مخلوقة ، وأن لها خالقاً فقال عند ذلك : ﴿ وجهت  
وجهي للذي فطر السموات والأرض ﴾ <sup>(٣)</sup> . » اهـ <sup>(٤)</sup> .

### المناقشة :

والمناقشة في مقامين :-

الأول : في طريقة الاستدلال التي سلكوها لإثبات وجود الله : .  
الثاني : في نسبة هذا الاستدلال إلى أدلة سمعية .

---

(١) انظر الإرشاد للجويني ص / ٤٩ - ٥٠ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٧٦ إلى الآية : ٧٩ .

(٣) سورة الأنعام الآية : ٧٩ .

(٤) الإنصاف للباقلاني ص / ٤٤ .

أما المقام الأول وهو في طريقة الاستدلال فيقال لهم :

أولاً : إن هذه الطريقة صعبة جداً ومعتاصة ، فكيف تجعل واجبة على كل مكلف ؟ وهذا الإلزام تجنبه بعضهم بقوله : إنه يكفي الدليل الجملي ، وهو الذي يعجز صاحبه عن تقريره على قواعد منطقية ولا يقدر على دفع الشبه عنه <sup>(١)</sup> .

ثانياً : إن هذه الطريقة التزم بسلوكها الأشاعرة القول بإنكار الصفات الفعلية أن تقوم بالباري تعالى : - لأنها حادثة - وما لازم الحادث فهو حادث : - وهو بعينه طريق إثبات وجود الله تعالى - فحتى يتم لهم هذا الاستدلال كان لابد من نفي هذه الصفات <sup>(٢)</sup> - ولو أنهم فرقوا بين نوعين من التسلسل ما وقعوا في هذا المحذور ، فالتسلسل المتفق على امتناعه عند العقلاء هو التسلسل في المؤثرين والفاعلين ، أما التسلسل الذي حصل فيه نزاع فهو في الآثار ، والصحيح أنه لا مانع من التسلسل في الماضي والمستقبل في هذا النوع مع الإقرار بأن كل عين من الفعل حادث مسبوق بعدمه فأفعال الله نوعها قديم لأنها متعلقة بمشيئته وقدرته ، ومنها الكلام - مثلاً - فإن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولم يكن الفعل ممتنعاً عليه . أما مفعولاته - وهي المخلوقات - فهي حادثة بعد أن لم تكن ، ولا يجوز إثبات شيء من المخلوقات مقارناً لوجود الله تعالى <sup>(٣)</sup> .

---

(١) انظر تحفة المريد شرح جوهره التوحيد ص / ٢١ . وانظر ما تقدم ص / ٣٢٢ هامش / ١ .

(٢) انظر الصواعق المرسلة ٣ / ١١٩٠ - ١١٩٦ عن اللوازم التي التزمها الأشاعرة وغيرهم بسلوك هذه الطريق .

(٣) انظر منهاج السنة النبوية ١ / ٤٣٦ - ٤٣٨ . وانظر درء تعارض العقل والنقل ٢ / ١٤٧ ، وانظر ما تقدم ص / ٣٠٤ لبيان مسلك صحيح لإبطال التسلسل .

ثالثاً: كثير من المقدمات بدهية لا تحتاج إلى أدلة لإثباتها - كما صرح الجويني بذلك في بعضها - والحق أنه لا تنافي بين كون الشيء بدهياً وبين إقامة الدليل لإثباته أو تصوره مع بدهيته - ولكن المشكلة تنحصر في أمور ثلاثة وهي:

أولاً: أن يكون الدليل المسلوك أصعب تصوراً من المستدل عليه، وهذا شيء معيب كالحدود فإن الحد يشترط أن يكون أوضح من المحدود.

وثانياً: أن يكون الدليل مستلزماً لأمور باطلة كإنكار حق ثبت بالكتاب والسنة كإنكار صفات الأفعال.

وثالثاً: أن يكون الدليل ضعيفاً ليس بالقوي، وهذا يمثل له هنا ببرهان التطبيق الدال على استحالة تسلسل الحوادث. والنقد الموجه في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: إن التطبيق بين المتفاضلين غير وارد وإنما يرد في المتماثلين - ولو سلم فيرد عليه أمر آخر وهو:

الأمر الثاني: وهو قولهم: إنه «إذا لم تفرغ السلسلتان لزم مساواة الناقص للزائد» غير صحيح، لأن الاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوي في المقدار، وهذا يتضح بمثال وهو:

إذا ضاعف شخص: الواحد تضعيفاً لا يتناهي هكذا:

٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، .....،

ثم ضاعف الاثنين كذلك تضعيفاً لا يتناهي هكذا:



$$٢٢، ٣٢، ٤٢، ٥٢، ٦٢، ٧٢، ....$$

فإن الواحد والاثنين اشتركا في عدم التناهي في التضعيف، وهما قطعاً لا يتساويان، لأن حاصل تضعيف الواحد دائماً يساوي واحداً فالمسألة هكذا :

$$٢١ = ١، ٣١ = ١، ٤١ = ١ ...$$

أما الرقم اثنان فإنه يزداد مقداره بتضعيفه هكذا :  $٢٢ = ٤، ٣٢ = ٨،$

$$٤٢ = ١٦، ٥٢ = ٣٢، ...$$

فظهر من هذا أن الاشتراك في عدم التناهي لا يقتضي التساوي في المقدار.

### الأمر الثالث :

وأما قولهم « لتحقيق الزيادة في أحدهما » فغير وارد لأن هذه الزيادة في الجهة المتناهية وهي المستقبل ، فلا يلزم إذا المساواة بينهما في الماضي ، وغاية ما في الأمر أنه لم يمكنهم حصر الأعداد في الماضي بحسب الواقع لا بحكم العقل<sup>(١)</sup>.

ولهذا فإن التفتازاني لما وجد صعوبة في بيان برهان التطبيق لإبطال حوادث لا أول لها قال : « والحق أن تحصيل الجملتين من سلسلة واحدة ثم مقابلة جزء من هذه بجزء من تلك إنما هو بحسب العقل دون الخارج ، فإن كفى في تمام الدليل حكم العقل بأنه لا بد أن يقع بإزاء كل جزء جزء أو لا يقع ، فالدليل جار في الأعداد وفي الموجودات المتعاقبة والمجموعة والمرتبة وغير المرتبة ، لأن للعقل أن

(١) انظر منهاج السنة النبوية ٤٣٣/١ ودرء تعارض العقل والنقل ٣٠٤/١ .

يفرض ذلك في الكل . وإن لم يكف <sup>(١)</sup> ذلك بل اشترط <sup>(٢)</sup> ملاحظة أجزاء  
الجمليتين على التفصيل لم يتم الدليل في الموجودات المترتبة فضلاً عما عداها ، لأنه  
لا سبيل إلى ذلك إلا <sup>(٣)</sup> فيما لا يتناهى من الزمان <sup>(٤)</sup> وقال الظواهري <sup>(٥)</sup> بعد  
نقل كلام التفتازاني « وبعد ما تقدم صار التطبيق غير متفق عليه في إبطال التسلسل  
وإن قيل إنه العمدة ١١ » اهـ <sup>(٦)</sup> .

والموازنة التي ذكرها الجويني ضعيفة ليست بصحيحة ، إذ الكلام هو في  
التسلسل في الماضي – فكان الصواب أن يقول : ما أعطيتك درهماً إلا أعطيتك  
قبله ديناراً ، فيجعل ماضياً قبل ماض ، أما عبارته : « لا أعطيتك درهماً إلا  
وأعطيتك قبله ديناراً » فهي نفى للمستقبل حتى يحصل مثله في المستقبل ،  
والكلام هنا إنما هو في الماضي الذي قبله ماض <sup>(٧)</sup> .

رابعاً : إن هذه الطريقة قد أخذها الأشاعرة من المعتزلة – وقد تقدم قول  
السمناني في ذلك – <sup>(٨)</sup> ، والمعتزلة قد نفوا جميع الصفات صفات المعاني وغيرها

(١) في الأصل (يكن) والتصحيح من كتاب : التحقيق التام في علم الكلام ص ٤١ / إذ هو قد  
نقل كلامه وإن لم يصرح بذلك .

(٢) في الأصل ( اشتراط ) والتصحيح من المصدر السابق .

(٣) كلمة (إلا) يظهر أنها زائدة .

(٤) شرح المقاصد للتفتازاني ١٢٣/٢ ، وانظر : التنبيه في ص ١١ .

(٥) محمد بن الحسيني بن إبراهيم الظواهري المصري – درس بالأزهر – وله مؤلفات منها :

التحقيق التام في علم الكلام توفي سنة (١٣٦٥ هـ) انظر : الاعلام ٦/٣٣٩ – ومعجم

المؤلفين ٩/٢٦٤ .

(٦) التحقيق التام في علم الكلام ص ٤٢ .

(٧) انظر منهاج السنة النبوية ١/٤٣٦ .

(٨) انظر ص ٤٤ ، ٣٢١ .

بناءً على أنها أعراض، والدليل عندهم على حدث العالم : التغير، فأخذ الأشاعرة أصل الدليل منهم مع قولهم بإثبات صفات المعاني فاضطربوا وتسلبت عليهم المعتزلة فاضطربوا لإثباتها بطريقة تخالف إثبات السلف لها – كما سيأتي إن شاء الله <sup>(١)</sup> .

وأما المقام الثاني من المناقشة فهو في نسبة هذا الاستدلال إلى أدلة سمعية وأن إبراهيم عليه السلام قد استدل بها فيقال لهم :

١- إن إبراهيم عليه السلام لم يكن ناظراً وإنما كان مناظراً ، وسياق الآيات يدل لذلك حيث قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذَ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

٢- وبعد إثبات كونه مناظراً لا ناظراً فإنه لا يسلم لهم أنه استدل بطريقة الحدوث ليفهم قومه ، وذلك للأمور الثلاثة الآتية :

(أ) إن تفسير (الأفول) بالحركة – وهي عرض حادث – ليس معروفاً في لغة العرب ، وإنما المعروف عندهم أنها بمعنى المغيب والاحتجاب <sup>(٣)</sup> ، فلا يجوز نسبة ذلك إلى لغة العرب .

(ب) لا يصح القول بأن إبراهيم عليه السلام استدل بالحركة على حدوث الكواكب ، إذ لو كان كذلك لما انتظر أن تغيب الشمس والقمر والكوكب ، إذ حركتها منذ طلوعها إلى مغيبها واضحة .

(ج) ثم يقال لهم : لو كان مراد إبراهيم عليه السلام الاستدلال على أن

---

(١) انظر ص / ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ٧٤ .

(٣) انظر : القاموس المحيط ص / ١٢٤٢ – مادة (أفل)

الكوكب ليس رب العالمين لكانت الآية حجة عليهم ، إذ أن إبراهيم عليه السلام قد رأى الشمس بازغة وهي متحركة حينئذ ، فلازم هذا أن الحركة لم تكن عنده مانعة من كونها رب العالمين ، وإنما المانع الأفول .

ثم بعد هذا كله يقال لهم : قد قصرتم في معنى الآية ، إذ المراد من سياقها هو إبطال شركاء الله تعالى في العبادة والاستدلال على أن المستحق للعبادة وحده هو الله ، ومن المعلوم أن توحيد العبادة متضمن لتوحيد الربوبية ، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد العبادة فلو جعلوا الآية دالة على الألوهية بالمطابقة ، وعلى الربوبية بالتضمن لكان صحيحاً ، ولكنهم قصروا في المراد بناءً على أصلهم في أن أول واجب على المكلف هو إثبات وجود الله .<sup>(١)</sup> - ومما يدل على أن قوم إبراهيم كانوا مقرين بوجود الله قول الله تعالى : ﴿ أفرايتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآبائكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾<sup>(٢)</sup> ، فاستثنى الرب سبحانه من جميع ما يعبدون ، فهم كانوا يعبدونه ويعبدون معه آلهة أخرى ، لذلك طلب منهم الإيمان به وحده<sup>(٣)</sup> كما في قوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾<sup>(٤)</sup> . ولهذا قال الخليل إبراهيم عليه السلام في تمام حاجته مع قومه : ﴿ إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) انظر منهاج السنة ٢/ ١٩٢-١٩٧ ورسالة في الصفات الاختيارية ٢/ ٥١-٥٣ .

(٢) سورة الشعراء - الآيات : ٧٥ - ٧٧ .

(٣) وانظر درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣١١ .

(٤) سورة الممتحنة الآية : ٤ .

(٥) سورة الأنعام الآية : ٧٨ ، ٧٩ .

### المطلب الثالث

#### دليل إثبات وحدانية الله عند الأشاعرة

والمراد بالوحدانية : أن رب العالم واحد ، وقد تقدم شرح مراد الأشعرية بالوحدانية . (١)

والدليل المشهور عند الأشاعرة لإثبات وحدانية الله هو برهان التمانع ، وطريقة نظم الدليل إجمالاً هي :

لو تعددت الآلهة لما وجد شيء من العالم ، ولكن العالم موجود بالمشاهدة ، إذاً فلا تعدد في الآلهة ، وإذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية .

ولكي يكون الدليل صحيحاً فلا بد من بيان صحة الملازمة بين تعدد الآلهة وعدم وجود العالم ، فليفترض وجود إلهين فإنهما إذا أرادا شيئاً فإما أن يختلفا وإما أن يتفقا .

#### الأول : احتمال اتفاقهما :

وهذا الاحتمال عند التحقيق غير وارد ، لأنه لا معنى من القول بالتعدد إذا كانا متفقين ، لأنه إذا فرض إلهان ، كل واحد منهما غير الآخر فلا بد أن تختلف صفاتهما تبعاً لهما ، وهذا خلاف يستحيل معه الوفاق . ولكن يناقش هذا الاحتمال لزيادة بيان بطلانه فيقال : احتمال الاتفاق لا يخلو من ثلاثة أمور : الأول : أن يوجداه معاً .

---

(١) انظر ما تقدم ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ وانظر لمع الأدلة للجويني ص ٨٦ و تحفة المريد ص ٦٠ .

الثاني : أو أن يوجداه مرتباً ، بأن يوجد ه أحدهما ثم يوجد ه الآخر .

الثالث : أو أن يوجد أحدهما البعض والآخر البعض .

أما الأول : فباطل لأنه يلزم منه اجتماع مؤثرين على أثر واحد .

وأما الثاني : فباطل أيضاً إذ يلزم منه تحصيل الحاصل .

وأما الثالث : فباطل أيضاً لأنه يلزم منه عجزهما ، لأن كل واحد

سد على الآخر تعلق قدرته بالبعض الآخر .

الثاني : احتمال اختلافهما :

وذلك بأن يريد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه ، ولا يخلو الأمر من

أحد ثلاثة أشياء :

الأول : أن ينفذ مرادهما .

الثاني : أن لا ينفذ مرادهما لتمانعهما .

الثالث : أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر .

أما الأول : فباطل لاستحالة اجتماع النقيضين وهما الإيجاد والإعدام ،

والثاني كذلك باطل للزوم عجزهما ولأنه يؤدي إلى ارتفاع النقيضين ، وهما

الإيجاد والإعدام ، وهو مستحيل ، وإذا بطلت كل الأقسام بقي الاحتمال الأخير

وهو أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر ، فالذي نفذت إرادته هو الإله الحق القادر

، والآخر ليس بإله . (١)

(١) انظر الدليل في اللمع للأشعري ص / ٢٠ وذكر فيه احتمال اختلافهما فقط . والإنصاف

للباقلائي ٤٩ - ٥٠ ولمع الأدلة للجويني ص / ٨٦ - ٨٧ والإرشاد له ص / ٧٠ - ٧٤

والمواقف للإيجي ٢٧٨ - ٢٧٩ وتحفة المريد ص / ٦٠ .

وذكر علماء الأشاعرة أن في القرآن آيات مشتملة على هذا الدليل منها قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(١)</sup> والمراد بالفساد هنا عدم التكوين.

### المناقشة :

الدليل الذي ذكره لإثبات الوحدانية - أي في الربوبية - دليل صحيح ، وهذا القدر معلوم بالفطرة الضرورية ، وأما استدلالهم بأن الآية مشتملة على برهان التمانع ، فهذا ليس مقصود القرآن ، وإنما مقصوده توحيد الإلهية المتضمن لتوحيد الربوبية الذي ذكره دون عكس<sup>(٢)</sup> فظهر أنهم قصروا في الاستدلال ، وما يقال في تفسير هذه الآية قيل في تفسير بعض الآيات التي تقدمت .<sup>(٣)</sup>

والرد عليهم في الاستدلال بالآية بإيجاز :

١- إن الله جل وعلا قال : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ ولم يقل أرباب . ومعلوم بدلالة قاطعة التغاير بين الإله والرب من حيث المفهوم . ويقويه الثاني وهو :

٢- إن الذين أنزل الله فيهم القرآن كانوا يثبتون ربوبية الله على خلقه ويقعون في الشرك به في الإلهية<sup>(٤)</sup> ولذلك سبقت الآية في الرد عليهم في هذا الثاني .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٢

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٩ / ٣٥٤-٣٩٦ وانظر مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص / ٢١ .

(٣) انظر : ص / ٣٦٥ .

(٤) انظر ص / ١١٠ ، ١٧٦ .

٣- إن الله تعالى قال : ﴿ لفسدتا ﴾ - أي السموات والارض - فهذا الفساد بعد وجودهما بدليل قوله في أولها : ﴿ لو كان فيهما آلهة ﴾ أي وهما موجودتان . ودليل التمانع قائم على أساس عدم تكوينهما ووجودهما ، ولذلك اضطر هؤلاء المتكلمون إلى تأويل الفساد بعدم التكوين والوجود ، <sup>(١)</sup> وهو تأويل متكلف .

وبهذا يعلم خطأ استدلالهم بهذه الآية - والله أعلم .

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ٨٦ - ٨٧



# فهرس موضوعات الجزء الأول

الصفحة

الموضوع

## المقدمة

- ١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره ..... ٢
- ٢- الخطة ..... ٥
- ٣- منهج الرسالة ..... ٨
- تنبيه حول النقل من التفتازاني ..... ١١
- ٤- شكر وتقدير ..... ١٢

## التمهيد

- ١- تعريف التوحيد ، وبيان أقسامه بالأدلة ، وتلازمها عند أهل السنة ..... ١٤
- تعريف التوحيد عند الأشاعرة ..... ١٧
- ٢- التعريف بأهل السنة والجماعة ..... ١٩
- نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة ..... ٢٤
- بيان صفات أهل السنة والجماعة وما يميزهم عن غيرهم ..... ٢٥
- ٣- التعريف بالأشاعرة ..... ٢٨
- المراحل الاعتقادية الثلاث التي مربها أبو الحسن الأشعري ..... ٢٩
- الرد على من زعم أن أبا الحسن لم يرجع عن مرحلته الكلاية ..... ٣١
- حكم إطلاق لقب أهل السنة على الأشعرية ..... ٤٠
- منزلة الأشعرية في التجهم ..... ٤٦
- ٤- تعريف كلمة : (منهج) ..... ٥٠

## الباب الأول

منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الألوهية.

- ٥٣ ..... \* الفصل الأول / منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الألوهية
- المبحث الأول / منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الألوهية .
- ٥٤ ..... ١- حقيقة توحيد الألوهية :
- ٥٤ ..... — تعريف كلمة إله
- ٥٥ ..... — تعريف العبادة — وبيان إطلاقاتها الأربعة
- ٦٠ ..... — أمثلة لبعض ما ذكره السلف في توحيد الألوهية
- ٦٥ ..... أركان العبادة ( الخضوع والمحبة ) وشرطها: المتابعة
- ٦٨ ..... — بيان شرطي التعبد
- ٦٩ ..... — الله هو المستحق للعبادة لا غيره
- ٧١ ..... — السبب الذي تُستحق به العبادة
- ٧٥ ..... — تعريف توحيد الألوهية
- ٧٨ ..... ٢- شروط الانتفاع بكلمة التوحيد :
- ٧٨ ..... — العلم بمعناها المتضمن للإقرار واليقين القلبي
- ٧٩ ..... — اليقين
- ٨٠ ..... — الصدق المتضمن للقبول والإنقياد والمحبة
- ٨١ ..... — الإخلاص
- ٨٢ ..... — القبول
- ٨٣ ..... — الانقياد ظاهراً وباطناً

٨٤	— المحبة لها ولما اقتضته .....
٨٦	٣— توحيد الألوهية هو أول الواجبات وذكر أربعة أدلة كلية على هذا الأمر .....
٩٢	٤— بيان ما يضاد توحيد الألوهية ( وهو الشرك ) .....
٩٢	— قبح الشرك وخطره .....
٩٣	— حقيقة الشرك وبيان أنواعه .....
٩٤	— أصل المشركين وأسباب الشرك — الغلو وإساءة الظن بالله — .....
١٠٠	— حماية الرسول ﷺ للتوحيد .....
١٠٦	— المبحث الثاني / منهج أهل السنة والجماعة في أدلة توحيد الألوهية .....
١٠٦	١— أنواع الأدلة الواردة في القرآن لتقرير الألوهية : .....
١٠٧	— إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية — بنوعين من الإلزام .....
١١٣	— بيان ثلاثة أحوال للآلهة التي تعبد دون الله بصفة تقرر عدم استحقاقها للعبادة .....
١٢٢	— تذكير المشركين بما يمكن في نفوسهم من التوحيد — ومطالبتهم بالحجة والبرهان على شركهم ....
	— حكم الله الشرعي في الأمر بعبادته والنهي عن الشرك به — وحكمه الجزائي بإثابة الموحدين
١٢٨	ومعاقبة المشركين .....
١٣٤	— إجماع الكتب السماوية على استحقاق الله جل وعلا للعبادة .....
١٣٦	٢— وجه دلالة العقل والنقل على توحيد الألوهية : .....
١٣٦	— العقل يستقل بمعرفة حسن التوحيد وقبح الشرك — وهذا معنى تحسينه ودلالته ....
١٤٠	— النقل يقرر ما مضى ويزيد بالعقاب على ترك التوحيد .....
١٤٢	* الفصل الثاني / منهج الأشاعرة في توحيد الألوهية .....
١٤٣	— المبحث الأول : منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الألوهية .....

- ١- ثلاثة أسباب في عدم إفراد المتقدمين والمتأخرين من الأشاعرة لهذا التوحيد  
 ١٤٤ ..... بالتصنيف
- ١٤٥ - نقل هام عن الباقلاني في تعريف التوحيد وكذلك الباجوري .....  
 ١٤٩ - نقول هامة عن الرازي والخليمي وأبي شامة في بيان بعض مظاهر الشرك .....  
 ١٥٤ ٢- عدم وضوح المنهج الأشعري في توحيد الألوهية وبيان خمسة أسباب في ذلك  
 ١٥٤ - تعريف كلمة ( إله ) عندهم والرد عليهم .....  
 ١٥٧ - عدم إفرادهم لهذا التوحيد بالتصنيف في كتبهم .....  
 ١٥٧ - قد يردون أحياناً ردوداً قاصرة على أهل الملل .....  
 ١٦٢ - زعمهم أن أول واجب على المكلف هو النظر ! .....  
 ١٦١ - حملهم آيات الألوهية على أنها للربوبية .....  
 ١٦٢ ٣- صلة الأشعرية بالصوفية وأثر هذه الصلة : .....  
 ١٦٢ - ذكر الإسفراييني للصوفية ضمن الأشعرية ! .....  
 - لا تخلو طبقة من طبقات الأشعرية عن وجود صوفي . والنقل عن ابن عساكر  
 ١٦٢ ..... في ذلك  
 - ذكر تسعة أعلام من الأشعرية لهم صلة بالصوفية وكتبوا مدافعين عن بعض  
 ١٦٥ ..... مظاهر الشرك في العبادة  
 ١٦٩ - الاستشهاد بالواقع .....  
 ١٧١ - بيان درجات الأشاعرة في الموقف من مظاهر الشرك : .....  
 ٤- اعتراضات المتأخرين من الأشاعرة في إدخال توحيد الألوهية ضمن أنواع  
 ١٧٤ ..... التوحيد

- ١٧٤ - زعموا أن الأدلة دالة على أن توحيد الألوهية هو توحيد الربوبية والرد عليهم.....
- زعموا أن مما يدل على اتحاد مدلول التوحيدين أن الرب هو الإله نفسه - والرد عليهم.....
- ١٧٩ ..... عليهم
- ١٨١ - زعموا أنه يلزم أن يكون للكافر توحيد صحيح إذا قيل بالفرق والرد عليهم.....
- ١٨٢ - زعموا أن الرسول ﷺ ما بين للناس نوعين من التوحيد - والرد عليهم.....
- ١٨٥ - الشبهات الرئيسة للمتأخرين من الأشاعرة في بعض مظاهر الشرك.....
- ١٨٥ - تسميتهم الاستغاثة بغير الله توسلاً.....
- زعموا أن كل الآيات تدل على أن الدعاء المراد به العبادة - لا الطلب - وأما الطلب فليس بعبادة.....
- ١٨٩ ..... عليهم
- زعموا أن من دعا غير الله لا يكون مشركاً إلا إذا اعتقد تأثيره.....
- ١٩٢ ..... عليهم
- ١٩٦ \* المبحث الثاني منهج الأشاعرة في أدلة توحيد الألوهية:.....
- ١- تقرير توحيد الألوهية بالأدلة النقلية فقط وزعمهم أنه لا مدخل للعقل في تحسينه والرد عليهم.....
- ١٩٧ ..... عليهم
- ٢- حملهم للآيات الواردة بتقرير توحيد الألوهية على أنها لتقرير الربوبية.....
- ٢٠١ ..... عليهم
- ٣- منع المتأخرين منهم حمل عموم الآيات القاضية بالشرك على من تسمى بالإسلام إذا عمل عمل المشركين.....
- ٢٠٢ ..... عليهم
- الجواب عن شبهة المجاز العقلي.....
- ٢٠٤ ..... عليهم
- ٤- أدلة عقلية سلكها المتأخرون لتبرير بعض أنواع الشرك :.....
- ٢٠٧ ..... عليهم
- قياس الميت على الحي في الطلب منه والاستغاثة والرد عليهم.....
- ٢٠٧ ..... عليهم
- قياس الوساطة في العبادة على الوساطة في تبليغ الرسالة. والرد عليهم.....
- ٢٠٩ ..... عليهم

## الباب الثاني

## منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الربوبية

- ٢١٣ ..... \* الفصل الأول / منهج أهل السنة والجماعة في توحيد الربوبية
- ٢١٤ ..... \* المبحث الأول / منهج أهل السنة والجماعة في مسائل توحيد الربوبية:
- ٢١٤ ..... ١- حقيقة توحيد الربوبية
- ٢١٥ ..... - معنى كلمة ( الرب ) لغة
- ٢١٧ ..... - شرح اسم الله تعالى ( الرب )
- ٢٢٠ ..... - الربوبية العامة - والربوبية الخاصة
- ٢٢٦ ..... - تعريف توحيد الربوبية، وشرح التعريف
- ٢٢٩ ..... - تعريف آخر أخصر
- ٢٣٢ ..... ٢- مقتضيات الإقرار لله تعالى بالربوبية
- ٢٣٢ ..... - الإيمان بأن كل شيء من عند الله خلقاً وتقديراً
- ٢٣٢ ..... - الاعتراف له بالألوهية
- ٢٣٢ ..... - الإقرار بمباينته للعالم
- ٢٣٣ ..... - الإيمان بالقدر ومراتبه
- ٢٤٢ ..... ٣- توحيد الربوبية مدخل أساسي لتوحيد الألوهية - وليس هو أول واجب على المكلف
- ٢٤٤ ..... ٤- بعض الأحكام المتعلقة بأفعال الله:
- ٢٤٤ ..... - أفعال الله كلها خير ، والشر لا يدخل إلا في مفعولاته
- ٢٤٨ ..... - لله عز وجل حكمة في أفعاله وأحكامه

- ٢٦٠ - العقل يستقل بالعلم بحسن بعض الأشياء أو قبحها دون إحاطة أو ترتب جزاء .
- ٢٦٣ - للأسباب تأثير في مسبباتها بشروط .....
- ٢٦٨ - أفعال العباد خلق لله تعالى ، وهم فاعلون لها حقيقة .....
- ٢٧٥ \* المبحث الثاني / منهج أهل السنة والجماعة في أدلة إثبات الربوبية : .....
- ٢٧٦ ١- مسلك القرآن في الرد على من انحرفت فطرهم .....
- ٢٨٠ ٢- الأدلة الدالة على الربوبية : .....
- ٢٨٠ - دليل الفطرة .....
- ٢٩١ - دليل بعثة الأنبياء وآياتهم .....
- ٢٩٨ - دليل الآيات .....
- ٣٠٣ - المقاييس العقلية .....
- ٣٠٥ \* الفصل الثاني / منهج الأشاعرة في توحيد الربوبية : .....
- \* المبحث الأول / منهج الأشاعرة في مسائل توحيد الربوبية : -
- ٣٠٧ ١- حقيقة توحيد الربوبية .....
- ٣١٠ ٢- مقتضيات الإقرار بالله بالربوبية : .....
- ٣١٠ - منعهم قيام الأفعال الاختيارية بذات الله .....
- ٣١٠ - وجود مخالفة لبعض المتأخرين في وصف بعض البشر ببعض أوصاف الربوبية .
- ٣١١ - مخالفتهم بقولهم إن الله لا داخل العالم ولا خارجه .....
- ٣١٢ - القضاء والقدر عند الأشاعرة .....
- ٣١٤ ٣- أول واجب على المكلف عند الأشاعرة والرد عليهم .....
- ٣١٧ - اعتراف بعضهم بدليل الفطرة .....